صُورة غِلَاف كِتَاب "نَـقْـد الـصَـهْـيُـونِـيَّـة" :

رَحْمَان النُوضَة

نَقْد الصَهْيُونِيَّة

(الصيغة 20)

معلومات حول كتاب: "نَـقْـد الصَهْيُونِيَّة"

الكاتب: رَحْمَان النُوضَة.

عنوان الكتاب: "نَـقْـد الـصَّـهْـيُـونِـيَـة".

الصّنف: مقالة نظرية سياسية (Essai) في العُلوم السياسية.

الغلاف: من إِبْدَاع الكاتب.

تاريخ النَشْر الأول على الأنترنيت: 17 مارس 2017..

رقم الصّيغَة (أي رقم آخر مُراجعة أو تَحْيِين لِلكتاب) : 20.

الناشر: نشره الكاتب رحمان النوضة على الأنترنيت.

الرقم الدولي المعياري للكتاب (ردمك) (**ISBN**): **~~978-9920-30-357-6~~**.

رَابِط لِتَنْزِيل هذا الكتاب من مُدَوَّنَة المُؤَلّف :
https://livreschauds.wordpress.com/2017/08/07/نقد-الصهيونية/

عُنْوَان الكاتب: nouda.abderrahman@gmail.com

إعلان عن مَنْحِ رُخْصة مَجَّانِيَة إلى النَاشِرِين

يَمنح رحمان النوضة، مؤلّف هذا الكتاب، لأي ناشر يهتم بهذا الكتاب، أينما كان في العالم، ترخيصًا مجانيًا، وغيرَ حصري (non exclusif). ومعنى عبارة "غير حصري"، أنه يُمْنَعُ أن يكون هذا الترخيص خَاصًّا بناشر واحد. وهذا الترخيص غير قابل للنقل (non transférable) من ناشر إلى آخر. ويسمح هذا الترخيص للناشر أن ينشر هذا الكتاب، وأن يترجمه، وأن يوزّع نُسَخَه. ولا يسمح للنّاشر بِبَيْع نُسَخ هذا الكتاب، إلّا في حالة إذا كانت هذه النُسخ مَطبوعة على الورق. ولا يؤدي الناشر الذي ينشر هذا الكاتب أية واجبات مالية للكاتب. لكن هذا الترخيص مشروط باحترام الشّروط التّالية: 1) ألّا يُغَيّر النّاشر مضمون الكتاب إذا لم يَحْصُل مُسْبَقًا على موافقة مكتوبة من طرف الكاتب تُحدّد هذه التغييرات المرجوّة. 2) أن يبقى هذا الترخيص مُتاحًا، في نفس الوقت، لجميع الناشرين في العالم، [أي أنه يُمْنَعُ كُلِّيًا تحويل هذا التّرخيص للنشر إلى حقّ مَقْصُور (exclusif)، خاص بناشر واحد محدّد]. 3) أن يكون سعر بيع هذا الكتاب المطبوع على الورق منخفضًا إلى أدنى مستوى مُمكن. 4) في حالة عرض هذا الكتاب على الأنترنيت، يجب أن يكون تحميله متاحًا بالمجّان للعموم. 5) في بداية كل نسخة مَنْشُورة من هذا الكتاب (سواءً كانت على الورق، أم على الأنترنيت)، يجب إعادة نَشْر هذه الفقرة الحالية حول الترخيص للنشر. 6) هدف هذا التّرخيص هو نشر الثقافة، وليس كسب الأرباح التجارية. 7) لا يعني هذا الترخيص للنّشر تنازل المؤلف عن أيّ حقّ من حقوقه كمؤلّف، أو عن حقوق المِلْكِيَة الفكرية. 8) يحتفظ المؤلف، في نفس الوقت، بكل حقوقه كاملة (بما فيها إعادة إنتاج، وتغيير، ونقل، ونشر، وتوزيع، وبيع، وتسويق، هذا الكتاب، في أي شكل كان، وعلى أي سَنَد، وبأية وسيلة). وَخَسِئَ الّذين يَقْتَبِسُون أفكارًا، دون ذِكْر المَصَادِر التي أَلْهَمَتْهُم هذه الأفكار.

كُتُب نَشَرَهَا رَحْمَان النُوضَة

1- Le Sociétal, Version 8, pdf.
2- Le Politique, Version 9, pdf.
3- L'éthique politique, Version 11.3, pdf.
4- Impossible de sortir du sous-développement par le capitalisme, 2020, pages 140, Version 18,

5 ـ أطروحات حول الدّولة، الصيغة 16، pdf.
6ـ نَقْد الشّعب (حوار حول مُعيقَات إصلاح المُجتمع)، الصيغة 56، منشور على الورق.
7 ـ نَقْد أحزاب اليسار بالمغرب، الصيغة 60، pdf.
8 ـ هل ما زالت الماركسية صالحة بعد انهيّار الاتحاد السوفياتي؟ الصيغة 17، pdf.
9 ـ نَقد تعاون اليساريين مع الإسلاميين، الصيغة 8، pdf.
10 ـ طبقات المُجتمع، صيغة سنة 1983، pdf.
11 ـ نَقْد النظام السياسي بالمغرب، الصيغة 57، pdf.
12 ـ نقد الصهيونية، الصيغة 20، pdf.
13 ـ نَقد النُخَب، الصيغة 8، pdf.
14 ـ أيّة علاقة بين الدّين والقانون، الصيغة 24، pdf.
15 ـ حوار حول الجنس والدّين، الصيغة 12، pdf.
16 ـ كَيف نُسقط الاستبداد (في فنون النضال الجماهيري السّلمي المُشترك)، pdf.
17 ـ مشروع الرّبط القَار بين المغرب واسبانيا، دراسة جيو استراتيجية، صيغة سنة 1988، pdf.
18 ـ كَيْف؟ (في فنون النضال السياسي الثوري)، صيغة سنة 1982، pdf.
19 ـ كيف نتجاوز القمع، صيغة سنة 1973، pdf.
ـ ونشر مقالات ودراسات متنوّعة على جرائد ومجلات مغربية، وعلى الإنترنيت.

يمكن تنزيل هذه الكتب مجانًا من مَوقع مُدَوَّنَة الكاتب التَّالِية :
http://LivresChauds.Wordpress.Com

فِـهْـرِس الـكِـتَـاب

1 ـ لِمَاذَا سَتَنْهَار إِسْرَائِيل حَتْمِيًّا.....9
1) لماذا اِنْهِيَّار إِسْرائِيل حَتْمِيٌّ.....9
2) بُطْلَان مُبَرِّرَات إِنْشَاء إِسْرَائِيل.....21
3) بُطْلَان أُسُس الأَيْدِيُولُوجِيَة الصَّهْيُونِيَة.....28
4) السِرُّ في سَيْطَرَة إسرائيل على الدّوَل الغَرْبِيَة.....31
5) هَلْ تَحتاج حَقًّا الدّول الإمبريالية إلى وُجُود إسرائيل ؟.....34
6) نَتَائِج وُجود إسرائيل.....35
7) خُـلَاصَـة جُزْئِيَة.....36
2ـ التَرَابُط بَيْن اِنْهِيَّار إِسْرَائِيل وَانْهِيَّار هَيْمَنَة أَمْرِيكَا على العالم.38
3ـ نَقْد مَـنْطِـق "الـتَـطْـبِـيـع" مَـع الصَّـهْـيُـونِـيَـة.....49
4ـ دَوْلَة المَغْرِب هُيَ الأَكْثَرُ اِنْبِطَاحًا لِأَمْرِيكَا وَلِإِسْرَائِيل.....80
5 ـ نَقد مَـفْـهُـوم «الـشَّـعْـب الـيَـهُـودي».....84
6ـ تَجْنِيسُ الإِسْرَائِيلِيّين مِنْ أَصْلٍ مَغْرِبِي جَرِيمَة.....96
7ـ لِمَاذَا تَجْنِيسُ الْإِسْرَائِيلِيّين مِنْ أَصْلٍ مَغْرِبِي غَيْر قَانُونِي....106
8ـ إِسْرَائِيل تُدْخِلُ الطَائِفِيَةَ لِلْمَغْرِب.....137
9ـ لَـمْـحَـة مُـوجَـزَة عـن الـتَـارِيخ الـقَـدِيم لِـفَـلَـسْـطِـيـن...157
10ـ أَسْبَاب صُعُود الحَرَكَة الصَهْيُونِيَة.....160
11ـ لَـمْـحَـة عَـن تَارِيخ اِحْـتِـلَال واسْتِيطَان الصَـهَـايِـنَـة لِـفَـلَـسْـطِـيـن.....168
12ـ لِمَاذَا يَجِبُ الـقَضَاء على الكِيَّان الصَّهْيُونِي ؟.....184
13ـ خُـلَاصَـة : تَسَاؤُلَات وَدُرُوس مِن تاريخ فَلَسْطِين....194

مُلَاحَظَة : يُمْكِنُ لِلْقَارِئ، إِنْ أَرَادَ، أن يَقْرَأَ فُصُول هذا الكِتَاب في تَرْتِيب مُخَالِف لِتَرْتِيبِهَا الأَصْلِي. أَيْ أنه، لِقِرَاءَة وَفَهْم أيّ فصل مُحَدَّد، لا يَحْتَاج القَارِئُ لِقِرَاءَة الفُصُول التي سَبِقَتْ ذلك الفَصْل المَعْنِي.

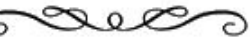

الكلمات المَفَاتِيح، وَمُلَخَّص الكتاب

الكلمات المَفَاتِيح (mots clefs):

الصهيونية، إسرائيل، فلسطين، يهود، تطبيع، المغرب.

مُلَخَّص الكتاب :

يَنتقد الكتاب الصهيونية من زوايا مختلفة (سياسية، وفلسفية، وتاريخية، وقانونية، وإنسانية، الخ). وينتقد أُسُس الصَّهْيُونِيَة، والتَطْبِيعَ مع إسرائيل. وينتقد مَفْهُوم الشعب اليهودي، وَتَجْنِيس الإسرائيليّين من أصل مغربي، وَتَبَعِيَّة النظام السياسي القائم في المغرب لإسرائيل. وَيُعطي الكتاب لمحة مُوجزة عن التاريخ القديم لِفَلَسطين، وعن صُعُود الحركة الصهيونية، وعن احتلال واستيطان فلسطين، وعن هجرة اليهود إلى إسرائيل. وأن مصير إسرائيل الحَتْمِي هو الزَوَال.

Keywords :

Zionism, Israel, Palestine, Jews, normalization, Morocco.

Article Summary :

This book criticizes Zionism from different angles (political, philosophical, historical, legal, humanitarian, etc.). He criticizes the foundations of Zionism, and the normalization with Israel. He criticizes the concept of the Jewish people, the naturalization of Israelis of Moroccan origin, and the subordination of the existing political system in Morocco to Israel. The book gives a brief overview of the ancient history of Palestine, the rise of the Zionist movement, the occupation, the settlement of Palestine, and the immigration of Jews to Israel. And Israel's inevitable fate is extinction.

1ـ لِمَاذَا سَتَنْهَار إِسْرَائِيل حَتْمِيًّا

هَل يُمكن حَقًّا أن تَنْهَار إسرائيل ؟ هل اِنْهِيَّار إسرائيل هو مُجرّد رغبة ذاتية، أم أنه تُوجد عَوَامِل تُؤَدّي مَوضوعيّا إلى هذه النتيجة ؟

1) لماذا انهيار إسرائيل حتمي

1. لِتَسْهِيل فَهم اِحْتِمَال حُدُوث اِنهيّار إسرائيل في المُستقبل، يُستحسن إعادة التفكير في نَمُوذَج ***اِنهيّار الاتحاد السّوفياتي*** سابقًا. لأن الانهيّأر المُحتمل لإسرائيل سيكون، ليس بالضّرورة على شكل اِنْهِزَام عسكري، وإنما على شكل اِنْحِلَال مُجْتَمَعِي، مُشابه نِسبيًّا لِانْهِيَّار الاتحاد السُّوفياتي.

مَنْ مِنَّا، قبل سنة 1989، كان يَتَنَبَّأُ بانهيّار الاتحاد السُّوفياتي ؟ لا أحد في العالم كلّه. كنّا لا نُفكّر في إِمْكانيّة انهيّار الاتحاد السوفياتي، ولم نكن نتصوّره، ولم نكن نقدر على افتراض وُقُوعه. وَلَوْ سُئِلْنَا، قبل سنة 1989، عن اِحْتِمَال وُقوع هذا الانهيّار لَسَخَرْنَا مِن الشّخص الذي يَطرح هذا السُّؤال. بل قد نعتبر من طرح هذا السُّؤَال شبه أحمق. ثُمَّ إِنْهَارَ فِعْلًا الاتحاد السُّوفياتي بشكل مُفاجئ في قُرابة سنة 1990. وتحوّل ما كُنّا نظنّه مُستحيلًا، إلى واقع ثابت. ***نَفس الشّيء، أو شَيْء مُشابه، سيحدث لإسرائيل.***

واليوم، مُعظم العالم لا يتصوّر، ولو لحظة واحدة، أنّ إنْهِيّار إسرائيل مُمكن. ولا أحد يقول اليوم في العالم أن إسرائيل ستنهار كُلِيًّا، وأنها سَتَزُولَ نهائيًّا. لكن غداً، في مُستقبل غير بعيد، سيصبح إنهيّار إسرائيل حدثًا مُسَلَّمًا به.

2. لَا يُمكن لأيّة قوّة في العالم أن تَمْنَع، بِلَا نِهاية، حُدُوث اِنْهِيَّار إسرائيل. ولماذا ؟ لِعِدَّة اِعْتِبَارات. ***أَوَّلًا،*** لأن إسرائيل تُجَسِّد أكبر ظُلْم مُمَوَّه في تاريخنا الحديث (ضِدّ شعب فلسطين، وضدّ الشعوب المجاورة). ***وَثَانِيًا،*** لأن إسرائيل تُناقض المَنطق البَشري. ***وَثَالِثًا،*** لأن ***إسرائيل اِسْتِعْمَارِيَة، وعُنصريّة، وإِمْبِرْيَالِيَة، وعُدوانية، وَتَوَسُّعِيَة.*** وهذه اِلْاِعْتِبارات هي كلّها أساسية، ولا يجوز الاستهانة بها. وذاك هو ما سَنُوَضِّحُه في هذا المقال.

3. حَسب قراءة مُوجَزَة لِتَطوّر الأحداث الأخيرة في العالم، فإن ***اِنهيّار إسرائيل، لَمْ يَعُد فقط تطوّرًا مُمكنا، بل أصبح أمرًا حتميًّا، في مُستقبل غير بعيد.*** وَكَمْ سَيتطلّب ذلك من الوقت ؟ قد يحتاج إلى عام، أو خمسة أعوام، أو عشرة. لا أَدْرِي. لكن، دَعْم الدُّول الغربية لإسرائيل، لَنْ يستطيع إنقاذها من مَصير الانهيّار؛ مثلما أن دَعْم الدّول الغربية لِجَنُوب إفريقيا (الماضية) التي كانت مَبنيّة على أساس العُنصرية لم يستطع إنقاذها من الانهيّار؛ ومثلما أن دَعم الدّول الغربية لِحَركات النَّازِيّين في أُوكْرَانْيَا لم يقدر على إنقاذها من الانهيّار؛ ومثلما أنّ تَآمُر الولايات المُتّحدة الأمريكية والدّول الغربية، بِهَدف إسقاط الحُكُومات التَقَدُّمية أو اليسارية، في بلدان أمريكا الجنوبية، أو بِهَدف تَعويضها بِحُكُومات دُمْيَات، لم يَنْجَح طَوِيلًا. إلى آخره.

4. ***تُوجد عوامل أُخرى كثيرة تُساهم في إِنْضَاج حُدُوث اِنْهِيّار إسرائيل.*** ومنها خُصوصًا تَصاعد المُقاومات الفلسطينية، على مُختلف المُستويات والجَبهات والمَحاور. ومنها أيضًا التَرَابُط القائم فيما بين التناقُضات البَيْنِيَة التي تُحرّك مُجمل بلدان المنطقة (مثلا

بين السعودية والإمارات وإيران). ومنها أيضًا تطوّر مَوَازِين القِوَى فيما بين دوّل الشّرق الأوسط التَقَدُّمِيَة وَدُوَلِه المُحافظة، أو الرّجْعية، أو المُفْرِطَة في التَبَعيَّة لِلْإِمْبِرْيَالِيَّات الغربية. وَتُساهم هذه العناصر كلّها ***في صيرورة إِنْضَاج شُروط اِنهيّار إسرائيل.***

5. في الماضي، كانت الحُروب بين إسرائيل والدّول العربية المجاورة تدوم خلال بضعة أيّام. لأن «التَفَوُّق العسكري الاستراتيجي المُطلق» الذي وَفَّرته، وَضَمِنَتْهُ، الإمبرياليات الغربية لإسرائيل، كان يَسمح لها بحسم هذه المعارك العسكرية بِسُرعة لصالحها. لكن المُقاومات المحلّية المناهضة لإسرائيل تعدّدت، وتنوّعت، وتنامت، وتطوّرت، إلى درجة أن إسرائيل (والإمبرياليات الغربية) أصبحت اليوم عاجزة على حسم هذه الحروب في وقت وجيز. بل ***تَحوّل طُول الحرب إلى نُقطة ضُعف قاتلة لدى إسرائيل.*** وَكُلَّمَا فَتحت إسرائيل اليومَ حربًا في جبهة مُعَيَّنَة (مثل غَزَّة في سنة 2023)، تَشْتَعِلُ فَوْرًا الحرب ضدّ إسرائيل على جبهات أُخريات (مثل جنوب لُبنان، والضِفَّة الغربية، والعراق، وسوريا، واليمن). وتحوّلت خُرافة «الجيش الإسرائيلي الذي لا يُقهر» إلى جيش مُهَدَّد بِالانهيّار، إذا لم تتدخّل بِسُرعة جُيوش الدّول الغربية الإِمْبِرْيَالِية لِدَعْمِه بشكل مُطلقة وَمُباشر.

6. إذا كانت المُقاومات الفلسطينية، واللبنانية، والسورية، والعراقية، واليمنية، وغيرها، قادرة (أو مُجبرة) على تحمّل ضَرَبَات إسرائيل المُدَمِّرَة، وَالمُتَكَرِّرَة، والفَظيعة، فإن ***ميزة إسرائيل هي أنها لا تقدر على تحمل ضَربات مُوجعة، أو مُتَوَاصِلَة، خلال أَمَد طَويل.*** وإذا ما تكاثرت وتواصلت الضربات المُوجعة المُوَجَّهَة إلى إسرائيل، فإن ***الكيّان الإسرائيلي يَتآكَل من داخله، وَيَنْحَل، ثمّ يتهاوى، وقد ينهار كُلّيًا إذا طالت الحرب.*** وتجربة الحرب الحديثة بين "حِلْف شَمال الأطلسي" (NATO) ورُوسيا في أُوكْرَانْيَا (Ukraine)، تُبَيِّن بِوُضُوح أن دَعم الدّول الغربية لِأُوكْرَانْيَا (وكذلك دَعم الدّول الغربية لإسرائيل)

يَتْعَبُ بِسُرْعَة نِسبية، وَيَتَضَاءَل، وَيَنْضُبُ، ثمّ يتوقّف، مهما كانت النتائج كارثيّة بسبب تَوقّف هذا الدّعم.

7. مثلا في حرب سنة 2023 الحالية في غَزَّة، وبعدما دخلت هذه الحرب في شَهرها الثّالث (أثناء كتابة هذا المقال)، ظَهَرَت تطوّرات مُتعدّدة، وَغَيْر مُتَوَقَّعَة، بَل مُدَمِّرَة، داخل إسرائيل. منها مثلًا : ***الهِجْرَة المُضادّة*** (إلى خارج إسرائيل)، حيث تجاوزت أعداد هؤلاء المُهاجرين الإسرائيليّين (خلال بضعة أيّام) نِصْف مليون شخص إسرائيلي؛ وَمنها تَوَسُّع ***عُجُوزَات*** (جَمْع كلمة عَجْز déficits) مِيزانيات مُختلف مُؤسّسات دولة إسرائيل؛ ومنها ***تَهَاوِي العُملة*** الإسرائيلية الشِيكَل؛ ومنها تَصَاعُد ***التَضَخُّم***؛ ومنها أنّ عددًا مُتزايداً من ***الأنشطة الاقتصادية الإسرائيلية تَتَعَرْقَل***، أو تُصبح شِبه مَشْلُولة (مثلًا الفلاحة، والصناعة، والخدمات، والتِكْنُولُوجيَات، والتصدير، الخ)؛ ومنها ***بُرُوز وَتَفَاقُم تَنَاقُضَات حَادَّة*** فيما بين مُختلف الفِئَات المُجتمعية المُكَوِّنَة لِلمُجتمع الإسرائيلي؛ ومنها ***فِرَار عدد مِن المُستوطنين*** (أكثر من 850 ألف شخص) الذين تَقع مُستوطناتهم بالقرب من مناطق الاشتباكات الحربية السّاخنة؛ ومنها اِنتشار ***مُظاهرات مُساندة لِلشّعب الفَلسطيني*** في العَديد من دُوَل العالم؛ ومنها ***تَهَاوِي أو زَوَال مَشْرُوعيّة وُجود إسرائيل*** لَدى سُكَّان مناطق واسعة من العالم؛ ومنها أنّ الثِقَة القَديمة في ***القِيَم المُؤَسِّسَة لإسرائيل*** تُصبح عُرْضَة لِلشَكّ، أو للمُراجعة، أو لِلنَّقْد، أو لِلرَّفْض؛ ومنها ***تَضَاءُل استعداد العساكر الإسرائيليّين*** للتضحية بحياتهم دفاعًا عن المشروع الصهيوني؛ ومنها تَصَاعُد ***غَضَب عائلات*** الجُنُود الإسرائيليّين المقتولين، وعائلات الجرحى، والمعطوبين، والأسرى، والمُختفين؛ ومنها ظُهُور وانتشار ***أَزَمَات نَفْسِيَّة*** شَدِيدَة لدى جُزء هامّ من الإسرائيليّين: ومنها ظاهرة الاِسْتِهْلَاك المُفْرط ***لِلْمُخَدِّرَات***؛ إلى آخره. وهذه التطوّرات تُؤَثِّر على بعضها بعضًا، وَيُمكنها أن تَتَفَاقَم بسرعة غير مُتوقّعة.

8. رَغم أن الطائرات الإسرائيلية تُهَيْمِنُ وحدها في سَماء "الحرب" على غَزَّة، وتطلق بسهولة مُتَفَجِّرات ثَقِيلة وَمُدمّرة (نحو أَلْفَ طُنٍّ من المُتَفَجِّرَات في اليوم) على المنازل، والمساكن، والعمارات، وعلى البُنَى التَحْتِيَة؛ وَرَغم أن إسرائيل تُدمّر المساجد، والكنائس، والمدارس، والمُسْتَشْفَيَات، وَمُوَلِّدَات الكَهْرَبَاء، والأوراش، وكلّ شيء؛ وَرَغم أن الفلسطينيّين يتعرّضون لحرب تَهْجِيرٍ وَإِبَادَة، في غَزّة، وفي الضِفّة الغربية؛ وَرَغم أن عدد القتلى الفلسطينيّين تجاوز 20 ألف قتيل، و 55 ألف جريح، بعد مُرور قرابة 75 يومًا على بداية الهُجوم الإسرائيلي المُضاد؛ وَرَغم أن إسرائيل اِعتقلت بِسُرعة (وبدون مُبرّر) في الضِفَّة الغربية المُحتلّة أكثر من 5 ألف أَسِير فلسطيني جديد؛ وَرَغْم أن إسرائيل قَتَلَت بالرّصاص أكثر من 300 فلسطيني مَدَنِي في الضِفَّة خلال هذه الفَتْرَة الوَجِيزَة (75 يومًا)؛ وَرَغم أن إسرائيل لا تَعْتَرِف سوى بِـ 153 قتيل وقرابة 5000 جريح من بين عساكرها (بينما المقاومة الفلسطينية تُقدّر عدد القتلى الإسرائيليين بما يقرب من 2000 قتيل؛ وإسرائيل تُقَدّر عدد قَتْلَى المُقاومة بِـ 2000 قَتِيل)؛ فإن أعدادًا مُتزايدة من المُراقبين (من داخل إسرائيل، ومن خارجها) يُحِسُّون أن إسرائيل تظهر قريبة من ***الانهيّار الشّامل***، بينما يَزْداد الفلسطينيّون إصرارًا على المقاومة، وعلى التضحية، من أجل تَحرّرهم الوطني.

9. لَوْ لَمْ تَكن إسرائيل قد شَعُرت (بعد هُجوم يوم 7 أكتوبر 2023) بِأَنّها ***بَدأت تَنْهار***، لَمَا ***طَلبت نَجْدَةً مُستعجلة*** من حُلفائها الدّول الغربية الإِمْبِرْيَالِية؛ وَلَمَا هَرَعَت بِسُرعة أقوى السُّفُن الحربية المتنوّعة، الأمريكية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، وغيرها، إلى شرق البَحر الأبيض المتوسّط؛ وَلَمَا نظّمت بِسُرعة الدّول الغربية قَنَاطِرَ جَوِّيَة ضَخمة وعاجلة لنقل المُقاتلين، والخُبراء،

والكَوَادِر، وَمُختلف مُستلزمات الحرب، من الدّول الغربية إلى إسرائيل.

10. عندما يُفكّر بعض الأشخاص في احتمال حُدوث ***اِنهيّار إسرائيل***، فإنهم لا يقدرون على تصوّر هذا الانهيّار سِوَى على شكل ***هَزيمة عسكرية***، في معركة حربية كبرى. وهذا التصوّر تنقصه ***الرُّؤيَة الجدلية***. لأن اِنهيّار إسرائيل لَا يَنْتُج فقط عن معارك حَربية، وإنما ينتج أيضا عن أشياء أخرى غير مَرْئِيَة، أو غير مُعتادة، أو غير مُتَوَقَّعَة. ولأن إنهيّار إسرائيل ليس مشروطا بِتَفَوُّق عسكري لدى المُقاومات الفلسطينية. كما أنه ليس مشروطًا بِقُدْرَة هذه المقاومات الفلسطينية على هَزْم إسرائيل عَسكريًّا، في ميدان معركة حَربيّة كلاسيكية ضخمة. ولماذا ؟

أوّلًا، لأنّ حرب الفلسطينيّين أو العرب ضدّ إسرائيل هي دائمًا حرب ضدّ تَحَالف الدّول الغربية الْإِمْبِرْيَالِيّة. ولأنّ كفاح المقاومات الفلسطينية، هو في عُمقه، كفاح ضدّ مُجمل مُعَسْكر الدّول الغربية الإمبريالية.

وثانيًا، لأن إسرائيل هي عَمَلِيًّا مُستعمرة مُشتركة لِمُجمل الدّول الغربية الإمبريالية.

وثالثًا، لأن اِستمرارية وُجود إسرائيل لا يَشترط فقط تَفَوُّقَها عسكريًّا، وإنما يشترط أيضًا عناصر مُجتمعية أخرى كثيرة (يضيق هنا المجال لتوضيح هذه العناصر المُجتمعية بالكامل).

وَرَابِعًا، لأنه يُستحسن أن نَتصوّر اِنهيّار إسرائيل على شكل ***صَيْرُورَة مُجتمعية*** (سيّاسية، واقتصادية، وفكرية، وعسكرية، وثقافية، وعالمية). وَيُستحسن أن نَتَخَيَّل اِنهيّار إسرائيل على شكل ***صَيْرُورَة*** مُشَابِهَة نسبيّا لذلك الانهيّار الذي حدث في الاتحاد السوفياتي. حيث أن إِنْهِيَّار الاتحاد السُّوفياتي، لم يَنْتُج عن مَعركة عسكرية كُبرى مع الولايات المُتّحدة الأمريكية. وإنّما اِنْهَار الاتحاد السُّوفياتي بِهُدُوء، خلال

عُقُود، ***نَتِيجةً لِاخْتِمَار تَنَاقُضَات دَاخِلِيّة.*** أيْ أنّ اِنْهِيَّار إسرائيل سيكون هو أيضًا على شكل ***اِنْحِلَال مُجتمعي عَمِيق، وَمُتواصل، على اِمْتِدَاد أَجَل مُتوسّط المَدَى.*** وبعبارة أخرى، فإن هذا الانهيّار، سيحدث داخل الكِيَّان الإسرائيلي على شكل ***صَيْرُورَة اِنْحِلَال داخلي،*** وَعلى شكل تَآكُل عَميق، وَتَفَسّخ مُتَسَارِع، في جميع الميادين، وعلى جميع الأصعدة المُجتمعية. وَمَآل هذه ***الصّيرورة،*** حينما سَتُصبح ناضجة، هو أن كلّ شيء داخل إسرائيل سَيَتَوَقَّف عن العمل، أو أنّ اِشْتِغَاله سَيَغْدُو مُتَعَذِّرًا، بالمُقارنة مع ما كان عليه في الماضي. بل اِشْتِغَال بعض المَرافِق المُجتمعية داخل إسرائيل سَيُصْبِح من شِبه المُستحيل. وفي النهاية، أي ***أثناء نُضْج عَمليّة الانهيّار، سَيَحدث تَسارع في هذه الظّواهر المُجتمعية.*** وَسَيَهْرُب من الكيّان الإسرائيلي الأشخاص الذين يُكَوّنُونَه، وذلك مثلما تهرب الفِئْرَان من سفينة في حالة الغَرَق. وهكذا سَنَرَى أفواجًا من جماعات مُتوالية، وهي تهرب من إسرائيل، مثل جماعات الجُنود، والضُبّاط، والاستخباراتِيّين، والسيّاسيّين، والكَوَادِر، والتِقْنِيّين، والمُسْتَثْمِرين، والعاملين في المؤسّسات البنكية، والباحثين، والمُستوطنين، والمُنتجين، والإداريّين، والبوليس، والسَجَّانِين، والمُعَذِّبين، والمُرْتَزِقَة، والانتهازيّين، وغيرهم. وكلّ إسرائيلي هَارِب سَتكون له مُبرّراته الخاصّة به. وَسَتُصبح ***جوازات السّفر الأجنبية*** (أي غير الإسرائيلية)، هي وَرَقَة النَجَاة من جَهَنَّم الصهيونية. وَسَيَتَسَابَقُ قُدماء الإسرائيليّين على اكتساب حقوق المُواطنة في الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وأوستراليا، وَنْيُو زِيلَنْدَا، وفي بعض بلدان أَوْرُوبَّا الغربية، أو حتّى في روسيا، الخ. وسيغدو كثيرون من قُدماء الإسرائيليّين سَعِيدين بالعَودة إلى ما بَقِيَ من عائلاتهم، وإلى مُمتلكاتهم العقارية العَتيقة، في بُلدان المَلجأ، وسيرجعون إلى حساباتهم البنكية القديمة، وإلى أنشطتهم الاقتصادية الماضية، في البلدان الغربية (أو في روسيا).

ولن يبقى في فلسطين سوى تلك الأقلية (من قُدماء الإسرائيليّين) التي اِكْتَشَفَت زَيْفَ الأَيْدِيُولُوجيَّة الصَّهْيُونية، وَقَبِلَت طَوْعِيًّا التَخَلُّص منها، وَقَبِلَت التَعَايُشَ مع «أعدائهم» القُدامى الذين هم الفلسطينيّون. ولن تَبْقَى في فلسطين سوى تلك الأقلّية (من الإسرائيليّين) التي رَضِيَت بأن تكون حُقوق المُواطنة في فلسطين الجديدة المُحَرَّرَة (من البحر إلى النهر) مُتَساويّة بين كل المُواطنين، بغضّ النظر عن دِينهم، أو تَعَبّدِهم، أو عِرْقِهِم، أو إِثْنِيَتِهِم، أو طائفتهم، أو لُغَتهم، أو لَوْن بَشَرَتهم، أو مُعتقداتهم.

11. ما دَام اليَهود المُتَصَهْيِنُون يَستعملون ***مَناهج التَحايُل، والتَضْلِيل، والكَذب، والخِداع،*** تُجاه شعب فلسطين الضحية، وَتُجاه المُجتمع الدُولي العام، فإنهم سَيستعملون بِالضّرورة نفس المَناهج فيما بينهم. ونتيجةً لِذالك، سَتكبر، وَسَتَتَفَاقم، التَناقُضات الحادّة فيما بينهم. بَل إن تلك الصِّفات الخُلُقِيَة السَّلْبِيَة المَنْبُوذَة، التي كانت في الماضي تُغَدّي كَرَاهِيَة اليهود، أو التي كانت تُبَرِّر اِضطهادهم، سَتصبح من جديد مَلحوظة، أو مُؤكَّدة، في سُلوكيّات كل فرد أو جماعة مُكَوِّنَة لهذا الكيّان الإسرائيلي الصّهيوني. خاصّة وأنّ أفراد الجماعات اليَهودية يَمِيلون إلى ***التَصَرُّف بِعَقلية القَبيلة، وَبِعَقْلِيَة الأَقَلّيَة المُضطهدة*** أو المَنبوذة. وَيَتَصَرَّفُون كَحِزب سيّاسي سِرّي. وَسَيزداد نُفور بعض الناس من اليهود المُتصهينين، بسبب إِفْرَاطِهِم في استعمال مَناهج التَحايُل، أو التَضْلِيل، أو الكَذب، أو الخِداع. وَسَتنغلق الدّائرة على نفسها في مجال السُلوكيّات المَنبوذة. وكما قال المثل الشّعبي: «مِثْلَمَا تَقْتُل، مِثْلَمَا تْمُوت» (بِمَعنى: «الوَسائل التي تستعملها لِقَتل خُصومك، هي نفس الوسائل التي سَتُقْتَل بها أنتَ بِنَفْسك»).

12. سَنُلَاحِظ أن ***اِنْهِيَّار إسرائيل*** من جهة أُولى، ومن جهة ثانية ***اِنْهِيَّار هيمنة الولايات المُتّحدة الأمريكية*** على العالم، هما شيئان

مُترابطان. لأن التَسَارُع في نُضُوج كلّ واحد منهما يُسهّل نُضُوج الآخر. وقد يكون اِنهزام أمريكا، وانهزام الدّول الغربية الإمبريالية، في صراع فلسطين، مُدَوِّيًا، وَمُؤَثِّرًا، أكثر من انهزامهم في الحرب الجارية في أُوكْرَانْيَا (Ukraine)، بين "حِلْف شَمال الأطلسي" (NATO) وَرُوسْيَا. وفي الماضي، أَيْ في قُرابة سنوات 1950، لم يُؤَثِّر كثيرا أُفُول الْإِمْبْرَاطُورِيَة الْإِنْجْلِيزِية على حَليفها إسرائيل، لأن هُبوط هذه الإمبراطورية الْإِنْجْلِيزِية الحليفة، كان يُوازيه تَنَامِي الحَلِيف الجديد الذي هو الإمبراطورية الأمريكية الصَّاعِدَة. أمّا اليوم (في سنة 2023)، فإن اِضْمِحْلَال هَيْمَنَة الولايات المُتّحدة الأَمْرِيكِيَة على العالم، لا يُمكن أن يُعَوِّضَه سوى تَعَاظُم قِيّادة نَقِيضِهَا، أَيْ رُوسْيَا، والصّين، ومجموعة «البْرِيكْسْ» (BRICS). الشيء الذي يَفتح آفاقًا لِتَطوّرات غير مُتَوَقَّعَة.

13. كُلّما اِنْهَزَمَت إسرائيل، في أَيَّة معركة كانت، فإن هزيمتها ستكون، في نفس الوقت، هزيمة للولايات المُتّحدة الأمريكية (ولحلف شمال الأطلسي NATO). كما أن أيّة هزيمة للولايات المُتّحدة الأَمْرِيكِيَة (أو لِحِلْف النَاطُو) ستكون، في نفس الوقت، هزيمة لإسرائيل. كما أنّ اِنْهِيَّار إسرائيل، حينما سيحدث في المُستقبل، سيكون كارثة كبيرة على الولايات المُتّحدة الأمريكية (وعلى حِلْف النَّاطُو). لكن حينما ستنهار إسرائيل في المُستقبل، ستكون الولايات المُتّحدة الأمريكية قد تَقَهْقَرَت نِسْبِيًّا في مجال هَيمنتها على العالم.

14. مِن بين ***مَظاهر الجَدَلية*** الأخرى في الصّراع بين فلسطين وإسرائيل، يُوجد ما يَلِي : لكي تُنْقِذ إسرائيل نفسها من التآكل، ومن الضّرر، ومن الانهيّار، ليس لها من خيّار سوى سحق المقاومات الفلسطينية. لكن المقاومات الفلسطينية مُنغرسة داخل الشعب الفلسطيني، ولا يُمكن فصلها عنه. وذلك إلى درجة أنه لا يُمكن سحق المقاومات الفلسطينية دُون سحق الشّعب الفلسطيني، أو تهجيره، أو إبادته. وكلّما حاولت إسرائيل سحق الشعب الفلسطيني، كلّما تَنامى

إصرار الفلسطينيّين على المُقاومة. وكلّما أجهزت إسرائيل على الفلسطينيّين، تصاعدت مَوْجات عارمة من الاستنكار والسُّخط عبر العالم، تُندّد بإجْرَام إسرائيل، وبالصّهيونية، وبجرائمها ضدّ الإنسانية. وتطالب هذه المُظاهرات الحاشدة عبر العالم بمُقَاطَعَة إسرائيل، أو بطَردها من المُنتظمات العالمية. وهكذا، تَتَكاثَرُ مُبَرّرَات تَجْرِيم إسرائيل، وَتَتَعَاظم عَوَامِل اِنْهِيّار إسرائيل. وَسَتُدَعِّم قِوَى مُتزايدة عبر العالم المُقاومات الفلسطينية. وَسَتَكْبُر قِوَى هذه المُقاومات الفلسطينية، وستتزايد فعاليّات كفاحها. فتحصل إسرائيل على عكس ما تطمح إليه. ***وفي هذه الجَدَلِيَّة، كل ما تَفعله إسرائيل، يُسَرّع اِنْهِيَّارَهَا.*** وحتّى إذا لم تفعل إسرائيل شيئًا، فإن عدم فعلها يُسَرّع هو أيضًا اِنْهِيّارَهَا. وَلِكُلّ هذه الأسباب، سيكون ***المصير الحتمي لإسرائيل، ومهما طال الزمان، هو الإنهيّار والزوال.***

15. لِإدْرَاك كَيْف ظلّت تَعمل دِعَايَة وَسائل إعلام الدّول الغربية، تخيّل الآن أنك مُواطن في بلد مُعَيَّن (في "العالم الثالث"). وتخيّل أن بلادك تَعَرَّضَت لِلغزو أو للاستعمار من طرف قِوَى أجنبية تَتَوَفَّر على أسلحة عسكرية فَتَّاكَة. وتخيّل أنك اِخْتَرْتَ أن تُشارك في مُقاومة الهَيْمَنَة الخارجيّة، أو الاستعمار الأجنبي. وتخيّل أنك قُمْتَ بأفعال مُقَاوِمَة لِلْاِسْتِعْمار. وتخيّل أنك اِستعملتَ الحِجَارة، أو العُنْف، أو السِّلاح، أو المُتفجّرَات، أو ما شابه ذلك. في هذه الحالة، ماذا ستقول عنك وسائل إعلام الدّولة المُسْتَعْمِرَة، وَوَسائل إعلام عامّة الدّول الغربية الإمبريالية ؟ سيقولون عنك أنك «إِرْهَابِيًّا»، وأنك «فَاشِيًّا»، وأنّك «هَمَجِيًّا». وَسَيُبِيحُون اِغْتِيَالَك، وسيقتلونك، أنتَ، وَأَهَالِيك، وشعبك. هذا ما فعلوه، وهذا ما سَيَفْعَلونه دائمًا، تُجاه المُقَاوِمِين في فلسطين المُحتلّة، وفي العراق، وفي سُورية، وفي لُبنان، وفي ليبيا، وفي كلّ مكان آخر. وَيَلْجَأُ دائمًا الْإِمْبِرْيَالِيُّون إلى اِضْطهاد شُعوب "العالم الثّالث". وَيَلْجَأُ دائمًا المُسْتَعْمِرُون إلى الحُكْم على المُسْتَعْمَر بِالتَهْجِير،

أو التَطْهِير العِرْقِي، أو القَتْل، أو الْإِبَادَة. هذا ما جرى في كلّ المناطق المُسْتَعْمَرَة، بما فيها فلسطين المُحتلّة. وَمُجمل المَفَاهِيم التي تستعملها القِوَى الإمبريالية في لُغَتِها، تَصِف ضَحاياها بِكَونهم هم المُجرمون. وَتُحَوِّل المَظلوم إلى ظَالِم.

16. قَد يَقول البعض أنّ أُطروحة «حَتْمِيَّة اِنْهِيّار إسرائيل» هي أُطروحة مُنْحَازَة، أو مُبَالَغ فيها، وأنّ الإسرائيليّين لَنْ يتخلّوا أبداً عن مشروع اِحتلال واستيطان فلسطين. لكن إذا نظرنا إلى ما يفعله الإسرائيليّون في الواقع، سنجد أن هؤلاء ***الإسرائيليّين لَا يَثِقُون هُم أَنْفُسُهُم في مُستقبل إسرائيل.*** ولماذا ؟ لأنه بدلًا من أن تَكون للإسرائيليّين جِنْسِيَة واحدة، هي جِنسية إسرائيل، نجد أنّ أكثر من 90 في المئة من الإسرائيليّين يُصِرُّون، وَبِكُلّ الوسائل، على الحُصول على جِنْسِيَّات مُتَعَدِّدة، وعلى جوازات سَفَر مُتعدّدة. لأنّ كلّ إسرائيلي، وَبِمَهَارَته المَعْهُودة، يُفَكِّر سِرًّا داخل نفسه قَائِلًا : «مِن باب الْاِحْتِيَّاط، وفي حالة غَرَق السَّفِينَة الإسرائيلية، مِن الأفضل أن تَكون لدي عَجَلَة اِحْتِيَاطِيَة، لِكَيْ أَنْجُوَ بِنَفْسِي». وهذه حُجَّة قاطعة على أن مُعظم الإسرائيليّين، وفي أَعْمَاق لَا وَعْيِهِم (inconscients)، لَا يَثِقُون هُم أنفسهم في مُستقبل إسرائيل. ويشعرون أن المشروع الإسرائيلي غير قابل للحياة. وهم دائمًا على اِسْتِعْداد لِكَي يُصبحوا مُواطنين في دُوَل أخرى غير إسرائيل، خاصّةً إذا كانت هذه الدول قويّة وغنيّة. إنهم يُفضّلون الترحال من بلد إلى آخر، بحثًا عن فرص الاغتناء السّهل والسّريع.

17. وَالسِرُّ في اِنْهِيَّار إسرائيل هو أنّه تُوجَد مَرْحَلَتَان في تَاريخ العلاقة بين إسرائيل والفلسطينيّين. وخلال المَرحلة الأولى، كان الفلسطينيّون في حَالَة دِينَامِيَّة (dynamique) إِضْعَاف (affaiblissement) اِسْتْرَاتِيجي مُتَوَاصِل، بينما كانت إسرائيل في حالة دِينَامِيَّة تَقْوِيَّة (renforcement) اِسْتْرَاتِيجيّة مُتَوَاصِلَة. وأثناء هذه المرحلة الأولى، كانت

إسرائيل تَضْرِب وَتُضْعِفُ الفلسطينِيّين بِلَا عِقَاب، وَبِلَا تَبِعَات. لكن خلال المرحلة التاريخية الثانيّة والأخيرة، يَحدث عَكْس ما حدث خلال المرحلة الأولى. حيث أنه، أثناء هذه المرحلة الثّانيّة، كلّما ضَرَبَت إسرائيل الفلسطينيّين، فإن إسرائيل تَضْعُفُ، وَتَقْتَرِب بِسُرْعَة مِن اِنْهِيّارها. وَحَتَّى إذا لم تَفْعَل إسرائيل شيئًا لِإِضْعَاف الفلسطينيّين (خلال هذه المرحلة الثانية)، فإن إسرائيل تَضْعُفُ أيضًا، وَتَسْتَمِرُّ في الْاِقْتِرَاب من اِنْهِيَّارِهَا، ومن زَوَالِهَا. وهذا هو مَصِير إسرائيل. ويستحيل أن تَنْجُوَ إسرائيل من اِنْهِيَّارِهَا. وَحَتْمِيَّة مَوْت إسرائيل مَكْتُوب أصلًا في طَبِيعَتِهَا. وَلَا يَنْحَصِر مُشكل إسرائيل فقط في اِحْتِلَالها غير المشروع لِلضِفَّة الغربية، وَلِقِطَاع غَزَّة. وَلَا يَنحصر مشكل إسرائيل في تَهَرُّبِهَا من «حَلّ الدَّوْلَتَيْن». ولا ينحصر مشكل إسرائيل في اِعْتِمَادها على الغَزْو، والاحتلال، والقَهْر، والاستيطان. وإنّما المُشكل هو أنّ مَشْرُوع إنْشَاء إسرائيل لَا يُمكن أن يُنْجَز، ولا يُمكن أن يُوجد، سِوَى بواسطة العُدْوان، والاحتلال، والاستعمار، والقَهْر، والتَطْهِير العِرْقِي، والإبادات الجماعية. والمُشكل هو أيضًا أن طبيعة إسرائيل هي كَوْنُهَا اِسْتِعْمَارِيَة، وَعُنْصُرِيَة، ودِّينِيَة. وَتَتَنَافَى طبيعة إسرائيل مع العَقْل، ومع العَدْل، ومع القانون. ورغم أن بعض الدّول العربية تَقْبَل "التَطْبِيع" مع إسرائيل، يَستحيل في الواقع المَلموس أن تَتَعَايَشَ إسرائيل مع الشُعُوب العربية المُسلمة المُجاورة.

18) اعتبارًا لِمُجمل تلك العَوَامِل التي سبق ذكرها، أُأَكِّدُ أنّ العناصر التي ستؤدّي إلى ***انهيّار إسرائيل*** هي نوعان. ***نَوْع أوّل*** هو ذو طبيعة عسكرية، ويجري في ميادين المعارك الحربية المُباشرة، والمَرئية. ***وَنَوْع ثان*** هو ذو طبيعة مُجتمعية عميقة، ويجري على مُستويات غير مرئية، أو غير مَحسوسة، أو غير مُعتادة، أو غير مُتَوَقَّعَة. وتلك هي أهمّ أسباب الْاِنْهِيَّار الحَتْمِي لِإِسْرائيل.

2) بُطْلَان مُبَرِّرَات إِنْشَاء إِسْرَائِيل

مُجمل المُبَرِّرات التي عَـلَّـلَ بها الصَّهَاينَة إنشاء إسرائيل، هي مَغلوطة، وَمُضَلِّلَة. وَلِفَهم ذلك، يكفي أن نَفْحَصَ، وَلَوْ بِشَكل مُوجَز، وَمِن مِنْظَار تاريخي، مع الحرص على احترام دقة العقلانية، ***كيف بَرَّرَت الحَرَكَة الصّهيونية (وكذلك الدّول الغربية) إِنْشَاء إسرائيل.***

قَديمًا في دُوَل أَوْرُوبَّا، ومنذ القُرُون الوُسطى وَحُرُوبها الدّينية (بين الكَنِيسَة والدّولة)، كان بعض المُواطنين الذين يَعْتَنِقُون الدِيَانَة اليَهُودية يَتَعَرَّضُون إلى درجة أو أُخْرَى من الاضطهاد، المُوجّه ضِدّهم بِصِفَتِهم يَهُود.

ولمّا وصلت الحركة النَازِيَة إلى السُّلطة السياسية في ألمانيا في سنة 1933، دَفَعَهَا حماسها المُفرط في كلّ شيء إلى تحويل ذلك ***الاضطهاد*** القديم، المُعادي لليهود، إلى عَمَلِيَّة مُمَنْهَجَة لِلتَخَلّص من اليهود. ودخلت السُّلطة السيّاسية النَازِيَة في أَلْمَانْيَا في مُحاولة ***إبادة اليَهود.*** فَنَظَّم النازيّون الألمان ***مَحْرَقَة لِليَهود،*** (ولكن ليس مَحْرَقَة لليهود وَحْدَهُم، مثلما يَدَّعِي الصَهَاينَة، بل مَحْرَقَة لكلّ أنواع الأشخاص الذين كان النَازِيُّون الْأَلْمَان يَكْرَهُونَهُم، بما فيهم الشِيُّوعِيّين، والاشتراكيّين، والغَجَرِيّين، والمِثْلِيّين، الخ).

وكان الأوروبيّون يُسَمُّون اِضطهاد اليَهود بِعبارة «مُعاداة السَّامِيَة» (anti-sémitisme). وَسَمَّوْا مُحاولة إبادة جزء من اليهود من طَرَف النَازِيّين الألمان بِعبارة «المِحْرَقَة»، أو «الهُولُوكُوسْت» (holocauste)، أو «الشُّوواَ» (Shoah).

وبعدما اِنهزم النازيّون في «الحرب العالمية الثانية» في سنة 1945، قَامت ***حركة يَهودية صهيونية،*** وزَعَمَت أن «الحَلّ لِتَلَافِي اِضطهاد اليهود في المُستقبل، هو خَلق وَطَن جديد خاص باليهود في

مُسْتَعْمَرَة إنجليزية مُعَيَّنَة» (هي فلسطين)، من بين المُستَعمرات التي كانت موجودة آنذاك في العالم. وساندت الْإِمْبِرْيَالِيّة المُهَيْمِنَة آنذاك على العَالَم (وهي الْإِمْبْرَاطُورِيَة الْإِنْجْلِيزِية المُسْتَعْمِرَة) هذا الحَلّ الصّهيوني.

لكن، لِنَتَسَاءَل الآن : مِن وُجْهَة نظر ***المَنْطِق، أو من زَاوِيَة العَقْل،*** هل حقيقةً «الحَلّ لِوَقْف اضطهاد المُواطنين اليَهود في دُوّل أَوْرُوبَّا هو خَلق وَطَن خاص باليهود وحدهم في مُسْتَعْمرة مُعَيَّنَة» ؟ لَا، هذا التَفكير (المُبَرّر لِخَلق إسرائيل) كان خَاطِئًا في أَصْلِه، وَمُعْتَلًّا في أُسُسِه، وَمُذْنِبًا في مَضْمُونِه، وَفَاسِدًا في مَنْطِقِه. إنه تَفْكِير مَغْلُوط، بَل هو مُضَلِّل. ولماذا ؟ لأنّ العَقْل (والعَدْل) كان يستوجب أن يكون الحلّ (لِمُشكل اِضطهاد اليهود)، هو نِضال هؤلاء اليهود، ونضال كلّ المُواطنين الآخرين غير اليهود، بهدف ***إِقَامَة وَتَنْفِيذ قَوانين تَضمن «الدّيموقراطية»، وَتُنْجِزُ «حُقُوق الإنسان»، لِفَائِدة كلّ المُواطنين، بِغَضّ النَظَر عن دِيَاناتِهِم، أو إِثْنِيَّاتِهِم، أو طَائِفَاتِهِم، أو مُعْتَقَدَاتِهِم، أو لُغَاتِهِم، أو أَلْوَان بَشَرَاتِهِم، الخ.*** لأن وُجود مَظَاهِر «اِضْطِهَاد اليَهُود»، أو «مُعاداة السَّامِيَة»، في بلدان أَوْرُوبَّا، كان حَلُّهُ المَنطقي، هو إقامة واحترام قوانين تضمن «حُقوق الإنسان»، و«المساواة فيما بين كل المُواطنين»، دون أيّ تَمْيِيز على أساس الدّين. ولم يكن مَعْقُولًا أن يكون الحَلّ لِمُشكل اِضْطهاد اليَهود في دُوّل أَوْرُوبَّا هو «خلق وَطَن جديد خاص باليهود في مُسْتَعْمَرَة إِنْجْلِيزِيَة مُعَيَّنَة» (فلسطين). مثلما أن الحَلّ لضمان حقوق الغَجَر (gi tans) في أَوْرُوبَّا، أو الحَلّ لضمان حُقوق السُّود في أمريكا، أو الحَلّ لِضَمَان حُقُوق السُكَّان "الرُّوهِنْجَا" في بِيرْمَانِيَا، أو الحَلّ لِضَمَان حُقُوق السُكَّان الْوِيغُور" في الصّين، أو مَن شَابَهَهُم من المَجموعات المُضْطَهَدَة، لم يكن هو «خَلْق وَطَن خاصّ بهم في إحدى المُسْتَعْمَرَات». خاصّةً وأنّه، إذا كانت الدّول الغربية قد وَعَتْ حَقِيقَةً

أَخْطَاءَهَا السّابقة، المُتجلّية في اِضطهاد اليهود، وإذا ما اِلْتَزَمَت بِصِدْق باِحْتِرام «حقوق الإنسان»، فإن اللُّجُوء إلى «خَلْق وَطَن جديد خاص باليَهُود وحدهم» يُصْبِح غَير مُبَرَّر.

هذا على مُستوى الدّول الأوروبّية. أمّا على مُستوى الأشخاص اليَهُود في دُول أَوْرُوبَّا، فإن الحلّ المَنْطِقِي (الذي كان ينبغي أن يبرز في أدمغتهم) هو البَقَاء في أوطانهم الأوروبية الأصلية، وخوض النضالات السياسية، والدّيموقراطية، بهدف فرض إقامة قوانين تضمن «الديمُوقْرَاطية»، و«حقوق الإنسان»، وتُلْغِي كلّ أشكال التَمْيِيز فيما بين المُواطنين على أساس الدّين.

فإذا كُنْتَ تَقبل بالفكرة (الصهيونية) القائلة (منذ العام 1945) : «لِتَجَنُّب اضطهاد اليهود في الدول الغربية، يجب أن يعيش هؤلاء اليهود في وطن (فلسطين) مُخَصَّص لليهود فقط»، فعليك أن تَقْبَل، بِنَفْس المنطق، أن يعيش المسيحيون منفردين فيما بينهم في وطن مُخصّص للمسيحيّين فقط؛ ونفس الشيء بالنسبة للمسلمين؛ وَلِلسِّيخ؛ وَلِلْوَثَنِيّين؛ وَلِلرُّوحِيّين؛ وَلِغَيْر المُتديّنين؛ ولجميع أنواع الأديان الأخرى. فهل ترون الآن السيناريو الذي يقودنا إليه هذا المنطق (الصهيوني) ؟ إنه فَصْل عالمي فيما بين الشُعوب على أساس الدّين! وَهُوَ ليس أمرا فَظِيعًا لَا يُطاق فَحَسْب، بل إنه يقودنا مباشرة إلى الحُروب الدّينية، مثلما كان الحال في العُصور الوُسطى. وَلَنْ يَقبل أي شخص عاقل مثل هذا الاختيار. لأن العقل يَسْتَوْجِبُ : الدَمَقْرَطَة (démocratisation)، والفَصْل بين الدّين والسياسة، وكذلك الفصل بين الدّين والدَّوْلَة، وَضَمَان حُرّية العَقِيدة، وَحُرّية العِبَادَة، وَحُرّيَة عَدَم العِبَادَة، وَمَنْع التَمْيِيز فيما بين المُواطنين على أساس الدّين، أو الإِثْنِيَة، أو اللُّغَة، أو لَوْن البَشَرَة.

ذَاكَ الحَلُّ السّابق (الصّهيوني)، هو نَفْس الوَهْم القَدِيم الذي يَتَكَرَّر، والذي يَزْعُم أنه «إذا تَجَمَّعْنَا، وإذا عِشْنَا فِيمَا بَيْنَنَا، دُون أن

يَخْتَلِطَ معنا غُرَبَاء أو أَجَانِب، فإن جميع قَضَايَانَا سَتُصبح على أحسن مَا يُرَام» ! إنه نفس الوهم العائلي، أو الوَهْم القَبَلِي (tribal)، الذي يَعتقد أن «مُجمل المشاكل المُجتمعية المُسْتَعْصِيَة على الحَلّ تَأْتِي من الأشخاص الذين يَخْتَلِفُون عَنَّا». وفي وَاقِع المُجتمع، ليس «الاختلاف» هو سَبَب صُعُوبَة أو اِسْتِحَالَة إيجاد حَلّ لِلمَشَاكِل المُجتمعية. وَلَا يُمكن أن يُوجد أشخاص إلَّا وَهُم مُخْتَلِفُون عَن بَعضهم بعضًا. وَلَا يَختلف الأشخاص فقط عن بَعضهم بَعْضًا، بَلْ يَدْفَعُنَا القَبُول بِالجَدَلِيَة إلى فَهْم وَتَقَبُّل فِكْرَة أنّ كلّ شَخص يَتَطَابَقُ مع نَفسه، وفي نَفس الوَقْت، يَخْتَلِفُ عَنْ نَفْسِه، وَيَتَحَوَّل إلى أَجْنَبِي عن نَفْسِه، وَيَتَنَاقَض مع نَفْسِه.

زِيَّادَةً على مَا سَبَقَ عَرْضُه، فإن ***الصهيونية، ومشروع بناء إسرائيل، يقومان هُمَا مَعًا على أساس الدِّيَانة اليَهُودية.*** وجميع الدول الإمبريالية الغربية تَعْتَبِرُ بناء الصهيونية، أو بناء إسرائيل، على أساس الدِّين اليَهُودي، تَعْتَبِرُه أمرًا طبيعيًا، وَمَقْبُولًا. وهذا ***الخلط بين الدِّين وَالسياسة، أو اِسْتِغْلَال الدِّين في السِيَاسَة،*** مقبول عندهم. ولو أنّ هذا الخلط بين الدِّين والسياسة يُؤَدِّي دَائِمًا إلى اِنْحِرَافَات سيّاسية خَطيرة. ولكن بِمُجرد أن يَفْعَل الفلسطينيون شَيْئًا مُشَابِهًا، أي بِمُجَرَّد أن تَتَنَظَّمَ بعض تَنْظِيمَات المُقاومة الفلسطينية على أساس الدِّين الإسلامي (مثل حَرَكَة حَمَاس، أو الجِهَاد الإسلامي، الخ)، تَهْتِفُ جميع وسائل الإعلام الغربية على الفَوْر : «هؤلاء هم مُقاومون فلسطينيُّون إسلاميُّون ! أَيْ أَيْ أَيْ، هذا أمر خطير جداً ! إنهم فَاشِيُّون (fascistes)» ! لأن الدِّين الإسلامي يُوقظ في عُقُول مُواطِنِي الدّول الغربية مَخَاوِفَ دَفِينَة، أو كَراهية قَديمة، تَعُود إلى الحُروب الصَّلِيبِيَّة في العُصُور الوُسْطَى. وَتَرْفُضُ الدُّوَل الغربية أن تَقُول عن إسرائيل مَا قَالَتْهُ عن المُقَاوَمَات الفَلسطينية الإسلامية. حيثُ تَرفض الدُّوَل الغربية أن تَقول عن إسرائيل أنّها «فَاشِيَة، لِأَنَّهَا مَبْنِيَة على أَسَاس الدِّين»

اليَهُودِي، مثلما قَالَت عن المُقاومة الفَلسطينية الْإِسْلَامِيَة أنها «فَاشِيَة، لأنها مَبْنِيَة على أساس الدّين» الْإِسْلَامِي.

وعليه، إذا اختار يَهُود دُوّل أَوْرُوبَّا، وإذا اِختارت كذلك دول أَوْرُوبَّا، حَلَّ «خَلْقِ وَطَن جديد خاص باليهود وَحْدَهُم» (في مُستعمرة فَلسطين)، ***فهذا الاختيّار يعني*** : ***أَوَّلًا***، أن يَهود دول أَوْرُوبَّا لم يَكُونوا يَثِقُون في إمكانية «دَمَقْرَطَة» (démocratisation) دول أَوْرُوبَّا. وَلَم يَكونوا يَثِقُون في إمكانية اِلْتِزَام الدّول الغربية بعدم اِضطهاد اليهود في المُستقبل. ويعني ***ثَانِيًا*** ذلك الاختيّار، أن دُول أَوْرُوبَّا هي نفسها لم تكن تَثِق في إمكانية اِلْتِزَامِهَا باحترام قوانين «الديموقراطية»، و«حقوق الإنسان»، تُجاه مُواطنيها اليَهُود. وَيَعْنِي ***ثَالِثًا*** هذا الاختيّار، أنّ الدُّول الغربية كانت هي أيضًا تُريد سِرًّا أن تَتَخَلَّص كُلِّيًا، أو نِهَائِيًّا، من اليهود المُتَوَاجِدِين داخل حُدودها، عَبْرَ جَمْعِهِم في «وَطَن خاصّ باليَهُود وَحْدَهُم»، بَعِيدًا عن أَوْرُوبَّا. وَيَعْنِي ***رَابِعًا*** هذا ***الاختيّار أنّه، ما دامت الدّول الغربية تُوافِقُ على وُجُود «وَطَن خاصّ باليهود وَحْدَهُم»، فهذه المُوافقة هي حُجَّة على اِسْتِمْرَارِيَة وُجُود كَرَاهِيَة سِرِّيَّة لَدَى هذه الدُّول الغربية تُجاه الْيَهُود.*** لأنه، لَوْ كانت هذه الدّول الغربية تُحِبُّ فِعْلًا، أو تَلْتَزِم فِعْلًا، بِالمُساواة بين كلّ مُواطنيها، دون اِعْتِبَار لِدِيَّانَاتهم، أو لِإِثْنِيَّاتِهِم، أو لِطَوَائِفِهِم، الخ، لَمَا قَبِلَت هذه الدول الغربية التَخَلُّص من مُواطنيها المُعْتَنِقِين لِلدِّيَانَة اليَهودية.

إنّ الحلّ الذي قَبله اليَهود المُتَصَهْيِنُون، والذي قَبِلَتْهُ الدّول الغربية، يَدفعنا إلى طَرح التّسَاؤُل التّالي : ***مَا عَلَاقة الفَلسطينيّين بِاضطهاد اليهود في دُول أَوْرُوبَّا ؟ إن كانت الدّول الغربية تضطهد مُواطنيها اليهود، لماذا الحَلّ هو الانتقام من الفلسطينيّين، واستعمار وَطَنِهِم، وَتَهْجِيرِهِم، أو إِبَادَتِهِم*** (بِدَعْوَى أنهم «إِرْهَابِيّين») ؟ ومن كان يجب عليه أن يُؤَدِّيَ ثَمَن اضطهاد اليهود في دُوّل أَوْرُوبَّا، هل الفلسطينيّون أم الدّول الأوروبية ؟ أَلَيْسَ هؤلاء اليَهود المُتَصَهْيِنِين

جُبَنَاء، وانتهازيّين، وَمُسْتَلَبين (aliénés) ؟ حيث كان يجب على هؤلاء اليهود المُتَصَهْيِنين أن يُوَاجِهُوا مُواطني وَمُؤَسّسات الدُول الأوروبية، الذين كانوا يَضْطَهِدُونهم. وكان يجب عليهم أن يُناضلوا من أجل إِقَامَة وَتَنْفِيذ قَوَانين «ديمُوقْرَاطِيَة»، ومن أجل فرض احترام «حقوق الإنسان» كاملة، وَلِفَائِدَة كل المُواطنين، وَدُون تَمْيِيز. أمّا الهُجوم على الشعب الفلسطيني البَعِيد، وَالضَّعِيف، والبريء من اضطهاد اليهود في دُوَل أَوْرُوبَّا، فهو عَمل جَبَان، وَمُنَافِق، وَمُخَادِع، وخارج عن الموضوع المَعْنِي. ومثلما يقول المَثَل الشّعبي: «اِنْهَارَت مِئْذَنَةُ المَسْجِد، فَشَنَقُوا الحَلَّاق». وَيَعْنَي هذا المثل : «لَا عَلَاقَة بين هَذَا وَذَاكَ». وَكُلّ مَن يُصِرّ على ***مُعالجة اِضْطِهَاد اليَهُود في دُوَل أَوْرُبَّا بِواسطة اِستعمار وَطَن فَلَسطين***، يرتكب تَعَسُّفًا مُنَافِيًا لِلْعَقْل، وَمُنَاقِضًا لِلْعَدْل.

وَلَوْ كانت الدُوَل الأَوْرُوبّيَة صَادِقَة، وَنَزِيهَة، في إِيمانها بأنّ «حَلّ مُشْكِل اِضْطِهَاد اليَهُود في الدُوَل الْأَوْرُوبّيَة هُو خَلْق وَطَن جَدِيد خَاصّ باليَهُود وَحْدَهُم»، كان على هذه الدُوَل الْأَوْرُوبّيَة، في هذه الحالة، أن تَقْتَطِعَ مِسَاحَة، أو مِنْطَقَة كَافِيَة، من أَرَاضِيهَا في أَوْرُوبَّا، وَأَنْ تُعْطِيَهَا لِلْحَرَكة الصَّهْيُونِيَة، لِكَيْ تُقِيمَ عليها «وَطَنًا جَدِيدًا خَاصًّا باليَهُود وَحْدَهُم». لكن الدُوَل الأَوْرُوبّيَة كانت كَاذِبَة، وَمُنَافِقَة، وَمُتَآمِرَة. حيثُ فَرَضَت بِالقُوَّة العَسْكَرِيَة، أن تُنْتَزَع أَرْضُ هذا «الوَطَن الجَديد الخاص بِاليَهُود وَحْدَهُم» من شعب فَلسطين، البَعِيد، والضَّعِيف، والمُسْتَعْمَر، والمَقْهُور، والذي هو بَرِيءٌ من اِضْطِهَاد اليَهُود في أَوْرُوبَّا. وَرَفَضَت هذه الدُوَل الْأَوْرُوبّيَة أن تَقْتَطِعَ أَرْض هذا «الوَطَن الجَدِيد» من أَرَاضِيهَا الخاصّة بها. هذا هو التَحَايُل، والظُّلْم، والاستعمار. والآن، ما هو الحَلّ لِتَصْحِيح ذلك الخَطَأ ؟ الحَل هو تَصْحِيح ذلك الخَطَأ الأَصْلِي، ليس عَبْر التَفَاوُض مع المُسْتَعْمِرِين الصَهَاينَة، وَليس عَبْر مُحَاوَلَة إِقْنَاعِهِم بِخَطَأِهِم، وَإِنَّمَا الحَلّ هو الكِفَاح

المُسَلَّح الثوري ضدّ مُسْتَعْمِرِي فَلَسْطِين، إلى أن تَزُول كُلِّيًا إسرائيل، وأن يذهب الإسرائيليّون إلى دُول أَوْرُبَّا وأمريكا.

ومن بين العَناصر التي تَفْضَح زَيْفَ مَزَاعِم الصَّهَاينَة وَمُسَانِديهم، أنّه كُلّما قَاوَمَ الفَلسطينيّون المُسْتَعْمَرُون الْإِسْرَائِيلِيّين المُسْتَعْمِرين، تَصِيح وَسَائِل إِعْلَام الدّول الغربية بِصَوت مُوَحَّد : «أُنْظُرُوا إلى هؤلاء الفَلسطِينِيّين، إنهم إِرْهَابِيُّون، بَرَابِرَة، مُتَوَحّشُون»! وَكُلَّمَا هَاجَمَت إسرائيل الفلسطينيّين، أو اِسْتَوْلَت على أراضيهم، أو خرّبت بيوتهم، أو اِعْتَقَلت شُبّانَهم، أو اِغْتَالت طَلَائِعَهم، تُعْلِنُ وَسَائِل إِعْلَام الدّول الغربية بصوت مُوَحَّد : «مِنْ حَقّ إِسْرَائِيل أن تُدَافِع عَن نَفْسِهَا» ! وَمَعْنَى مَوْقِف الدُّوَل الغربية هو أنه لَا يَحِقُّ لِلْفَلسطينيّين سِوَى الخُضُوع لِلْقَهْر العُنْصُرِي الإسرائيلي، والقَبُول بِالْاِسْتِعْمَار الْإِسْرَائِيلِي، وَبِالتَهْجِير، أو الْإِبَادَة. هذا هو الْاِنْحِيَاز السَّافِر ! هذا هو الكَيْل بِمِكْيَالَيْن ! هذا هو نِفَاق الدول الغربية الْإِمْبِرْيَالِيَة. وهذا هو جُرْمُهَا.

وَاخْتِيَار «خَلْق وَطَن جديد خاص باليهود»، في مُستعمرة إِنْجْلِيزِيَة مُعَيَّنَة (فلسطين)، قد تَكون ***له أهدافها أخرى سِرّيَة***، وغير مُعْلَنَة، ومُخالِفة لِلْمُبَرِّرَات التي قُدّمَت عَلَنِيَّةً. ومن ضِمْنَ هذه الأهداف السِرّيَة، خَلْق قَاعِدة عسكرية مُتَقَدّمَة في الشّرق الأوسط. وهذه القَاعِدة ستكون بالضَّرُورة تَبَعِيَّة (dépendante) للدّول الغربية الْإِمْبِرْيَالية. والغاية من هذه القاعدة هي مُزَاحَمَة الدّول العربية في اِسْتِغْلَال آبَار النَفْط والغَاز المَوجودة في منطقة الشّرق الأوسط، وَإِزَاحَة بعض هذه الدّول، وَتَعْوِيضها. وقد يَتَأَكَّد هذا الهدف السِرّي مِن خلال إِقْدَام إسرائيل (وأنصارها) مُؤَخَّرًا على ***مُحاولة اِسْتِغْلَال حُقُول غَاز وَنَفْط موجودة في شَوَاطِئ فلسطين المُحتلّة***. ويقول البعض أنّ مخزون هذه الحُقُول هَائِل. وَيَتَأَكَّد أيضا من خلال اِسْتِعمال إسرائيل عُمَلَائِهَا في كُرْدِسْتَان العراق بِهَدَف سَرِقَة النَّفْط من آبَار سُورْيَا والعراق.

ما معنى العناصر المَعروضة سابقًا ؟ معناها أن كلّ مُبَرِّرَات خَلق الكِيّان الإسرائيلي، هي مَغْلُوطَة، وَمُضَلِّلَة. وكل ما هو مَبْنِي على أساس بَاطِل، فهو أيضًا بَاطل.

3) بُطْلَان أُسُس الأَيْدِيُولُوجِيَة الصَّهْيُونِيَة

الأَساس الفكري الذي بُنِيَّ عليه مَشروع إنشاء إسرائيل، هو ***الْأَيْدِيُولُوجِيَّة الصّهيونية***. وَأُسُس هذه الْأَيْدِيُولُوجِيَّة هي كلّها مَغْلُوطَة. ولا تُوجد وَلَوْ ذُرَّة عَقْلَانِية واحدة في هذه الْأَيْدِيُولُوجِيَّة الصَّهْيُونِيَة. وتتكوّن هذه الأيديّولوجية الصّهيونية من ***مُعتقدات سَاذَجَة*** (naïves)، أبرزها ما يلي :

ـ أُطْرُوحَة «***الشّعب اليهودي***» : وهذا «الشّعب اليَهودي» المَزْعُوم، لَا يُوجد، وَلَا يُمكن أن يُوجد. مثلما أنه لَا يُوجد «الشّعب المَسيحي»، أو «الشعب المُسلم»، أو «الشعب الهندوسي»، أو غير ذلك. وكلّ شخص يستعمل عبارة «الشّعب اليَهودي»، فهو تحت تأثير الدّعاية الصهيونية. وما يُوجد في بلدان العالم، هُم «مُواطنون يهود»، و«مُواطنون مَسيحيّون»، و«مُواطنون مُسلمون»، وَمُواطنون غير مُتَدَيِّنِين، الخ. وهذه الأصناف المُختلفة من المُواطنين، تُوجد وهي مُختلطة في 193 دولة (عُضْوَة في "منظمة الأمم المُتّحدة" ONU). ولماذا تُصِرُّ الحركة الصهيونية (ودولة إسرائيل) على الكلام عن «***الشّعب اليهودي***»، وعن «الدّولة اليهودية» ؟ لأنها تُريد اِحْتِكَار تَمْثيل كلّ يَهود العالم. بينما لا يحقّ لأية دولة في العالم، أن تَزْعُم أنها تُمثّل مُعْتَنِقِي أيّة دِيَّانَة مُحَدَّدة في العالم. ولماذا ؟ لأن مُختلف أصناف المُواطنين المُتَدَيِّنِين (وغير المُتديّنين)، يُوجدون (وهم مُختلطين) في مُعظم دول العالم.

وَلَمْ، وَلَنْ، يُفَوّض الأشخاصُ (الأحرار) المُعْتَنِقُون لِأَيّ دِين مُحَدّد، لِأيّة دولة مُعَيَّنَة، أن تتحدّث باسمهم.

ـ أطروحة «***الدولة اليهودية***» : والكلام عن «الدولة اليَهودية» هو مَظهر مِن مَظاهر اِسْتِغْلَال الدّين في ميدان السياسة. بَيْنما تَختلف «الدّولة» جَذْرِيًّا عن «الدّين» (سواءً كان هذا الدّين هو اليَهودية، أو المَسيحية، أو الإسلام، أو أيّ دِين آخر). بَلْ تَتَنَاقَضُ «الدّولة» مع «الدّين». و«الدّولة» هي مجرّد أجهزة، ومؤسّسات، وعلاقات مُجتمعية، وعلاقات سِيَّادَة وَخُضُوع، الخ. أمّا «الدّين» فهو مُعتقدات، وَمُقَدَّسَات، وَعِبَادَات، وَطُقُوس، وَعَادَات، الخ. حيث لا يُمكن لِـ «الدّولة» أن تكون «دولة يَهودية»، أو «دولة مسيحية»، أو «دولة مُسلمة». والإِصْرَار على تحويل «الدّولة» إلى «دولة دِينِيّة»، هو مُحاولة لِتَحْوِيل «الدّولة» إلى نَوْع من «الكَنِيسَة» الإجبارية، التي تُريد «الدّولة» فَرضها على كلّ المواطنين. وَتُريد إسرائيل أن تَكون هي «المُمثّل الشّرعي والوحيد لكلّ يهود العالم»، وهذا الزَّعم هو اِفْتِرَاء جَائِر، ومرفوض. وأعداد مُتزايدة من اليهود (غير المُتَصَهْيِنِين) في العالم يرفضون أن تَتَصَرَّف «دولة إسرائيل» باسمهم.

ـ أطروحة «***الشعب اليهودي المُختار***»، أو «المُفَضَّل»، من طرف الْإِلَـه : أي الشّعب الذي «يُفضّله» اَلْإِلَـهُ على كلّ شُعوب العالم. وهذه الأطروحة هي اِفْتِراء وَكَذِب على الإله، وعلى البَشر. لأنه لا يُعْقَل أن يَنْحَطَّ الإله إلى مُستوى المُناورة بِمَجموعة بَشَرِيَة ضدّ مجموعات بَشَرِيَة أخرى. ولأنه لا يُوجد أيّ مُبرّر عَقْلَانِي لِتَفْضِيل جماعة بشرية على أخرى، باستثناء أَنَانِيَة، أو غُرُور، الأشخاص الذين يزعمون أنهم «مُفَضَّلِين» لدى الإلـه.

ـ أطروحة «***الأرض المَوْعُودة من طرف الإله***» : وهذا أيضا اِفْتِرَاء، وَكَذِب، على الإله، وعلى البشر. لأن الإله لا يتدخّل في شُؤون البَشَر. ولا يُوجد ما يُثبت أنّ الإله يُمَيِّزُ فيما بين الجماعات البشرية. ولا يُوَزِّع

الإله الهَدَايَا على جماعات بشرية على حِسَاب جماعات أخرى. ولا يَتَدَخَّل الإله في مجال التَحْكِيم، أو التَدْبِير، لِلْمِلْكِيَّات العَقَارَات المُتنازع عليها فيما بين البَشَر.

ـ أُطروحة «***أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض***» : وهي أيضا كذب وَقِح. وهدفه هو تَبرير اِستعمار فلسطين. حيث يزعم الصّهاينة أن الشعب الفلسطيني غير مَوجود، ويدّعون أن أرض فلسطين كانت فارغة حينما اِحتلّها واستعمرها اليهود الصّهاينة في سنوات 1948. إنهم ينفون التاريخ، وينكُرون وُجود المُقاومات الفلسطينية التي اِصطدموا بها. كأنّ هذا الشّعب الفلسطيني سَقط من السّماء، فيما بعد، فَوْرَ اِنْتِهَاء اِحتلال واستعمار فلسطين. وهذا كذب مُعتاد عند المُستَعْمِرين.

ـ أطروحة «***الهُولُوكُسْت هي أكبر جريمة في تاريخ البشرية***» : وهي كذبة لَا تُبرّرها سوى ***الْأَنَانِيَّة المُفْرِطَة*** لليهود الصهاينة. لأن الجرائم الفَظِيعَة المُرتكبة في تاريخ البشرية هي كثيرة. ولا يقدر أيّ بَشر على أن يُحدّد بشكل عَقْلَانِيّ مَن هي الجريمة الأكثر إِيلَامًا أو فَظَاعَةً في تاريخ البَشرية. لأن كلّ ضحية تزعم أن الجريمة التي تَعرّضت لها هي «أكبر جريمة في تاريخ الشرية». ولماذا لَا يَحِقُّ لِلْفَلَسطينيّين، وَبِمَنْطِق مُشابه، أن يَعْتَبِرُوا أنّ الاضطهاد الذي يَفرضه الصّهاينة على الفلسطينيّين، هو أَكْبَر، أو أَفْضَع، من «الهُولُوكُسْت».

ـ إلى آخره.

وهذه ***الأَيْدِيُولُوجيَّة الصَّهْيُونِيَة***، هي مَنْظُومة فكرية اِستعمارية، وَعُنصرية، وَإِمْبِرْيَالِيَة، وَبَسِيطَة، وَسَاذَجَة. بَلْ هي مُفْرِطَة في الأنانية، وفي الانتهازية، وفي الغُرُور، إلى درجة أن الوَصْف الوحيد، الصّريح، والمُلائم لِنَعْتِهَا، هو كَوْنُهَا «بَلِيدَة». وهذا الوَصْف ليس شَتْمًا، وإنما هو وَصْف سياسي موضوعي. وعلى عَكس الخُرَافَة التي تَدَّعِي أن «الشَّعب اليهودي» هو «شَعْبُ عَبَاقِرَة»، وعلى عَكس ما يَظُنُّه غَالِبِيَّة

اليَهُود المُتَصَهْيِنين حَوْل أنفسهم، نَرَى أنّ هذه ***الْأَيْدِيُولُوجيَّة الصَّهْيُونية هي سَخِيفَة، وَمُضَلِّلَة، بَل غَبيَة.*** وندرك أن الأشخاص الذين يتبنون هذه الأيديولوجية الصهيونية، هُم غير مَبدئِيّين، بَلْ هُم أيضًا أنانيّين، أو مُتَعَجْرِفين، أو انتهازيّين.

وكلّ إنسان سَلِيم في عَقْلِه، إذا إطَّلَع على مضمون هذه ***الأَيْدِيُولَوجيَة الصّهيونية،*** سيقول لك تِلقائيّا أن المَآل المَحتوم لِلْأَشخاص الذين يُؤمنون بهذه الأَيْدِيُولَوجيَة سيكون هو الفشل، والإفلاس. وإذا أَجَبْتَ هذا الشّخص بأن إسرائيل هي واقع حقيقي، وَمُسْتَقِر، وَمُسَيْطِر، وَقَاهِر، وَمَوْجُود على الأرض، قد يُجيبك هذا الشخص العاقل أنه، مهما كانت قوة إسرائيل المؤقتة، ومهما طالت قصتها، فإنّ مَآل هذا الكيّان الإسرائيلي المَحتوم، سيكون هو الانهيّار الشّامل. لأن ما بُنِيَ على بَاطِل، سَيكون هو نفسه بَاطِلًا.

4) السرُّ في سَيْطَرَة إسرائيل على الدّوَل الغَرْبِيَة

رغم تخلّف الْأَيْدِيُولُوجيَّة الصَّهيونية، ورغم غَبَائِهَا السياسي، نُلاحظ بِانْدهاش أنّ الحركة الصَّهيونية اِستطاعت أن تُؤَثِّر بِقُوّة، إلى حُدُود سَيْطَرة نِسبيّة، في وَسائل الإعلام، وفي الثقافة، وفي المؤسّسات المَالية، وفي الحُكومات، في الوِلَايَات المُتّحدة الأَمْرِيكِيَة، وفي المملكة المُتّحدة، وَبَلْجِيكَا، وَاسْوِيسْرَا، وكندا، وأستراليا، وفي مُعظم دُوَل أوربّا.

وقد تَقَوَّى تَأثير المُخابرات الإسرائيلية إلى درجة أن أيّ مُشْتَغِل في وسائل الإعلام في الدول الغربية، إذا ما اِنْتَقَد إسرائيل، أو اِسْتَهْجَنَ الأطروحات الصَّهيونية، يَتعرّض حَتْمًا لِلتَّهْمِيش، أو العَزْل، أو الفَصْل، أو الإبعاد، أو الطّرد. بل أصبح من شِبْه المُستحيل على أيّ شخص

مُرَشَّح لِمَنْصِب رِئَاسَة الحُكومة، أو لِمَنصب وزاري، أو لِقِيّادة أيّة مؤسّسة مهمّة، أن يَنْجَح في الانتخابات إذا لم يَكن مُناصرًا لإسرائيل، أو إذا لم يَكن مُسانداً لِلأطروحات الصَّهيونية.

وفي فرنسا مثلًا، أصبحت حالة المُمَثّل الفُكَاهِي دْيُو دُونِي امْبَالَا (Dieudonné M'bala) رَمْزًا مُعبّرا عن قُوّة تَأْثِير اللُّوبِي (lobby) الصَّهيوني. حيث حاربته الحَركة الصَّهيونية إلى أن صدرت قرارات قَضَائِيَة وَحُكُومية تَمْنَعُه كُلِّيًا، وَنِهَائِيًّا، من الظهور في وسائل الإعلام، وفي المَسَارِح، والأفلام، وما شَابَهَهَا. والسّبب هو أن الفُكَاهِي دْيُو دُونِي اِنتقد إسرائيل والصَّهْيُونِيَة. وفي عدّة بلدان غربية، مثل فرنسا، واسْوِيسْرا، وبَلْجِيكَا، وكَنَدَا، أدانه قُضَاةٌ مُتَصَهْيِنُون بِتُهَم مثل : «التحريض على التمييز، أو على كراهية اليهود، أو التَحريض على العنف العنصري، أو الديني، أو الإهانة العنصرية، أو إِنْكَار الهُولُوكُوسْتْ، أو الدّعوة إلى الإرهاب» ! لأن الصَهَايِنَة الإسرائيليّين يَعتبرون نَقْد سياسات إسرائيل مَظْهَرًا من مَظاهر «كراهية عنصرية ضد اليهود» ! بمعنى آخر، إمّا أن تتركوا الصهاينة يستعمرون كما يريدون، وإمّا أنهم سيتّهمونكم بِـ «الكَراهية العُنصرية ضدَ اليَهود» !

وفي الولايات المُتّحدة الأمريكية، غَدَت العادة المُتكرّرة والمُثِيرَة لِلسُّخْط، هي أن كل مرشّح للرئاسة يُصبح مُجبرا على الإفصاح عن وَلَائِه لإسرائيل، وعن مُساندته للصَّهيونية، وإلَّا فإنّ دِعَايات وسائل الإعلام القَوِيَّة تَتَكَفَّل بِمُحاربته، وَبِإِفْشَالِه في الحملات الانتخابيّة.

فَكَيْف اِستطاعت الحركة الصهيونية أن تُلَوّثَ عُقُول العديد من مُواطِنِي العالم، وأن تُؤثّر في العالم كلّه، وبهذه القُوّة ؟

السِرُّ المُفَسِّر لهذا التَأْثِير المُدهش، هو ما شرحه المناضل اليهودي، المُناهض لِلصّهيونية، جَاكُوب كُوهِين (Jacob Cohen)، في بعض كُتبه، ومُحاضراته (رغم الهجمات الإرهابية التي نَفّذها ضدّه عملاء الموساد الإسرائيلي لإسكاته). حيث أوضح أن قُوّة المُخابرات

الإسرائيلية مَبْنِيّة على أساس جيش واسع من «الصَيَانِيم». وفي اللّغة العِبْرِيَة، كلمة «صَيَانِيم» هي جمع كلمة «صَيَان». والشّخص «الصَيَان» هو الذي يُعِين، أو يُسَاعِد، أو يُنَاصِر. وشرح جَاكُوب كُوهِين أن كلّ شخص يَهودي في العالم، ومهما كان البلد الذي يتواجد داخله، ومهما كانت المُؤَسَّسَة التي يَشتغل فيها، يَتحوّل تِلْقَائِيًّا، وَطَوعيّا، إلى «صَيَان»، أيْ إلى مُسَاعِد، أو عَمِيل سِرّي، مُجَنَّد، وَمُنْضَبِط، لخدمة إسرائيل، وَلِتَنْفِيذ أَوامر مُؤسّساتها المُخابراتية. وهذا يفضح أن مُجمل اليهود الصهاينة يرفضون الاندماج في البلدان التي يعيشون فيها، ويظلون مخلصين قبل كل شيء لدولة إسرائيل. وَمُجمل الحركة الصَّهيونية تَخضع، وَتَنْضَبِط، لِتَوجيهات الأجهزة المُخابراتية الإسرائيلية (المُوسَاد [الخارجي]، والشِّينْ بِيتْ، أو الشَّبَاك [الداخلي]، والأَمَان [العسكري]، الخ). وكل مؤسّسة في العالم يَتَوَاجَد فيها يَهُود مُتعاطفين مع إسرائيل، أو مع الصَّهْيُونِيَة، تُصبح المُخابرات الإسرائيلية قادرة على التَسَرُّب داخلها، وعلى التَأْثِير فيها، وعلى توظيفها لِخدمة أهداف إسرائيل. وهكذا اِسْتَطَاعَت إسرائيل أن تُجَنِّدَ مُجْمَل الأشخاص اليَهُود المُتَصَهْيِنِين في العالم، وأن تُحَوِّلَهُم إلى عُمَلَاء سِرِيّين، وَمُنْضَبِطِين لِأَوَامِر الأجهزة الإسرائيلية المُخابراتية. وكلّ مُؤسّسة تَمَّ التَحَكُّم فيها، تُصبح هي نَفسها وَسِيلة لِلتَحَكُّم في مُؤسّسات أخرى. واستطاعت إسرائيل أن تُؤَثِّر سِرًّا في الكثير من المُؤسّسات المُتنوّعة الموجودة في العالم. وقليلون هم الأشخاص المَسْؤُولُون في العالم الذين يَقدرون على مُعارضة إسرائيل، أو نَقْدِهَا، أو تَحَدّيهَا.

5) هَلْ تَحتاج حَقًّا الدّول الإمبريالية إلى وُجُود إسرائيل ؟

خلال تحليل وَنَقد الْأَيْدِيُولُوجِيَّة الصَّهيونية، يَبْرُز فورًا في الذّهن السؤال التالي : إذا كان ***المشروع الصّهيوني*** إجراميًّا (أيْ فيه ظُلم ضدّ الشّعب الفلسطيني المُسْتَعْمَر)، وإذا كانت ***الأَيْدِيُولَوجِيَة الصَّهيونية*** فعلًا ***أيديولوجية حَمقاء***، فَكَيْف أَمْكَن تَبَنّيها على نطاق واسع عبر العالم ؟ وكيف أمكن الدِّفاع عنها ؟ وكيف أمكن الإنفاق عليها بلا حساب، على امتداد أكثر من 75 سنة، من طرف أقوى الدّول الإمْبِرْيَالِية في العالم ؟ ***ولماذا سقطت كلّ هذه الدّول الغَربيّة، المُدَعّمَة لإسرائيل، في فَخّ المُشاركة في دَعْم مشروع إجرامي، وأحمق، ومحكوم عليه بإفلاس حَتْمِيّ*** ؟ هذا سُؤال بَالِغ الأهمّية.

والسِرّ في الجواب على هذا السؤال الجوهري، هو ما علّمه لنا كَارْل مَارْكَس، وَافْرِيدْرِيش إِنْجَلْس. وهو أن الحماقات التي يرتكبها الرَّأْسَماليّون، والإمبرياليّون، لَا حُدود لها. بل من المُمكن أن يَقُود الإمبرياليّون، والرّأسماليون، العالمَ كلّه إلى مَجَازِر، وإلى كَوارِث شاملة، دون أن يستفيق ضميرهم الإنساني.

لكن الغريب أيضا، وخلافًا لآراء منتشرة على نطاق واسع، هو أن الإمبرياليّين، والرّأسماليّين، لا يحتاجون إلى وُجود إسرائيل لِخِدْمَة مصالحهم المادّية الأساسية في الشّرق الأوسط، أو في مختلف مناطق العالم. لأنّه أثناء عَمليّات تَصْدِير مَنْتُوجاتهم الصناعية، وأثناء تَصدير خدماتهم والمالية، وَأثناء اسْتِثْمَار رَسَامِيلهم في مختلف بُلدان العالم، وَأثناء تَأْسِيس فُروع لِشَرِكَاتِهم فيها، وَأثناء اسْتِرْجَاع أرباحهم إلى أوطانهم الأصلية، فإن الرَّأْسَماليّين والْإِمْبِرْيَالِيّين لا يحتاجون إلى وُجود

إسرائيل. كما أن هَيمنة الدّول الغربية الإمبريالية على الدُّوَيْلَات العربية النَفطية في الشّرق الأوسط، والتَلاعب بِبَعض حُكّامها، وَنَهْب ثرواتها، كان وما زال مُمكنا، بَل سَهْلًا، ولا يَحتاج بَتَاتًا إلى وُجود إسرائيل في الشّرق الأوسط.

بل قد يكون العكس هو الصحيح. أيْ أنّ اليَهُود الرَّأْسَماليّين المُتَصَهْيِنين، هم الذين يحتاجون إلى تَوْرِيط مُجمل الدّول الرَّأْسَماليّة والْإِمْبِرْيَالِيّة الغَربيّة، في دَعْم شَامِل، وَلَا مَحْدُود، لمشروع تَأْسِيس هذا الكِيَّان الإسرائيلي. خاصّة وأنّ المُبَرِّر الأساسي لخلق إسرائيل، كان في البداية هو «خلق وَطَن خاص بِاليَهود، لِكَيْ لَا يَتَعَرَّضُوا مرّةً أخرى لاضطهاد مُشابه لِلْاضْطِهاد الذي عَانَوْا منه في بلدان أَوْرُوبَّا».

٦) نَـتَائِـج وُجود إسرائيل

وما هي نَتَائِج وُجود إسرائيل اليوم ؟ من بين نتائجها، أنّ اليهود المُتَصَهْيِنين الإسرائيليّين، يُمارسون على الفلسطينيّين اِضْطِهَادًا أكبر، وَأَعْنَف، من ذلك الاضطهاد الذي كان اليهود في الدّول الأوروبية يُعانون منه. أيْ أن ***اليَهُود تَحَوَّلُوا إلى ضِدّهم. وهكذا تَحوّلت الضَحيَّة إلى مُجرم.*** وَيُسَمّي الماركسيّون هذه الظّاهرة في الجَدَلِيّة بِـ «***قانون تحوّل الشَّيء إلى نَقِيضه***». حيث تحوّل اليهود المُتَصَهْيِنُون إلى شبه نَازِيّين. وأصبح الفلسطينيّون اليومَ مُعَذَّبِين أكثر مِمَّا كان اليهود مُضْطَهَدِين في ألمانيا النَّازِيَة.

ومن بين نتائجها أيضًا، أن إسرائيل، والصهاينة، وأنصارهم، يُحَاوِلُون ***إِبَادَة الفلسطينيّين***، مِثلما كان النَازِيُّون الألمان يحاولون إِبَادَة اليَهُود بواسطة المَحرقة أو غيرها. وإذا كانت مُحاولة إبادة اليهود

في أَوْرُوبَّا، من طرف النازيّين الألمان، تُعتبر **جَرِيمَة** مرفوضة من طرف الدّول الغربية، فَكَيْفَ يُعْقَل أن تُصبح اليوم ***إِبَادة الفلسطينّيين*** (والتَطْهِير العِرْقِي، وَتَهْجِير البَقِيَّة منهم) مَقْبُولَة تَمَامًا من طرف الدّول الغربية، بهدف تَحقيق المشروع الصَّهْيُونِي الاستعماري في فلسطين المُحتلّة ؟ هل كانت الدّول الغربية تَكْذِب في تَبَاكِيهَا على مُحاولة إبادة اليَهود ؟ هل الدّول الغربية الْإِمْبِرْيَالِيّة مُسْتَلَبَة (aliénés)، أو مُتَخَلِّفَة سيّاسيًّا، أو مُتَهَاوِيَة أخلاقيًّا، إلى درجة أنها لَا تَرَى، وَلَا تَعِي، وَلَا تُدْرِك، ما يَجْرِي مِن مُحاولة ***إِبَادة لِلفَلسطينّيين*** ؟ هل يَلزم أن يَمُوت الفلسطينيّون بِالمَلَايين، وليس بِعَشَرَات الآلاف، لِكَيْ تَسْتَفِيقَ ضَمَائِر المَسْؤُولِين في الدّول الغربية ؟ وما الخُلاصة من ذلك ؟

7) خُـلَاصَـة جُزْئِيَة

الحَدّ الأدنى في الخُلاصات، هو أن الحَلّ الذي جاءت به الحركة الصّهيونية، هو مُجرّد غَبَاء سيّاسِي، وظُلم، وانحراف عُنْصُرِي، وَمَفْتُون بِالْامْتِيَّازَات الأنانية لِلْإِسْتِعْمَار. وكلّ مَن يُساند مشروعًا ظَالِمًا، وَغَبِيًّا، سَيَكُونُ هُو نَفْسُه ظَالِمًا، وَغَبِيًّا.

وَيُوجَد تَنَاقُض وُجُودِي، وَمُطْلَق، بين كِيَّان إسرائيل، والشّعب الفلسطيني. فَإِمَّا أن يُوجَد كِيَّان إسرائيل، وَأَنْ يُبَادَ، أو يُهَجَّرَ، شعب فَلَسْطِين، وَإِمّا أن يُوجَدَ الشَّعْب الفَلسطيني، وأن يَزُولَ كُلِّيًا الكِيَّان الْإِسْرَائِيلِي. وَلَا يُوجد حَلٌّ ثَالِثٌ بَدِيل. لأن التَعَايُش بين المُسْتَعْمَرِين والمُسْتَعْمِرِين، قد يُوجَد مُؤَقَّتًا، لكن مِن المُسْتَحِيل أن يَدُوم أَبَدِيًّا. وَلِأَنّ التَعَايُش بين الشعب الفلسطيني وَإِسْرَائِيل مُسْتَحِيل. وحتّى إذا

تَعَايَشَ شَعب فَلسطين وإسرائيل خلال مرحلة مُعَيَّنَة، فإن هذا التَعَايُش سَيَنْكَسِر حَتْمًا، وَسَيُؤَدّي إمَّا إلى زَوَال شَعب فَلسطين، وَإمَّا إلى زَوَال إسرائيل. وفي كِلْتَا الحَالَتَيْن، فإن طَبِيعَة الكِيَّان الصَّهْيُونِي (بِاعْتِبَاره اِسْتِعْمَارِيًّا، وَعُنْصُرِيًّا، وَتَوَسُّعِيًّا، وَإِمْبِرْيَالِيًّا، وَمُنَاقِضًا لِلْبَشَرِيَة كُلِّهَا) تَفْرِضُ بِالضَّرُورَة بِأَنْ يَكون مصير إسرائيل، وفي آخر المَطَاف، هو الْاِنْهِزَام، والتَأَزُّم، والْاِنْهِيَّار، ثُمّ الزَّوَال. وَيَسْتَحِيل على الدُّوَل الغَربية الْإِمْبِرْيَالية أن تُنْقِذَ إسرائيل من هذا المَصِير الحَتْمِي. وَكُلَّمَا حَاوَلَت الدُول الغَربية الْإِمْبِرْيَالِيَة أن تَحْمِيَ إسرائيل، أو أن تُدافِع عنها، فإن عملها هذا سَيَدْفَعُهَا نَحْو الْاِنْهَاك، والضُعْف، ثُمّ الْإِفْلَاس (سيّاسيًا، وعسكريًا، واقتصاديًا، وثَقافيًا، وأخلاقيًا). الشّيْء الذي يُؤَدّي هو نفسه إلى زَوَال إسرائيل.

وهكذا، تُوجد العديد من التَنَاقُضَات، والمَظالم، في الْأَيْدِيُولُوجِيَّة الصَّهيونية، وفي مَشروع إنشاء إسرائيل. وعليه، سيكون مَآلُهُمَا الحَتْمِي، هو الفَشَل، والْاِنْهِيَّار، والإفْلَاس.

[نشر رحمان النوضة هذا النَصّ لأوّل مرّة على موقع "الحوار المُتمدّن"، في يوم 29 ديسمبر 2023. وهذا النَصّ هو فصل حديث، مُقتطف مِن كتاب : رحمان النوضة، "نقد الصّهيونية"، نشر 2017، الصفحات 204، الصيغة 19].

2ـ التَّرَابُط بَيْنَ إِنْهِيَّار إِسْرَائِيل وَإِنْهِيَّار هَيْمَنَة أَمْرِيكَا على العالم

إنني أعي جيّداً، وأحرص على، عدم تحويل رغباتي إلى واقع مُؤَكَّد. لكن ما يحدث حاليًّا، هو بالضّبط أن بعض رغباتنا القديمة، التي كانت تظهر مُستحيلة، تَتَحَوَّل اليوم، بِوَتِيرَة مُتسارعة نِسْبِيًّا، إلى وَاقِع. لأنّه، ***في بعض الفَتَرَات التاريخية، يتحوّل المُستحيل إلى شيء مُمْكِن،*** أو كبير الاحتمال. حيث يُصْبِح سَهْل الإنجاز بالمُقارنة مع الصُعُوبَات التي كان عليها في الماضي. بَلْ قَدْ يَغدو ذلك المُسْتَحِيل القَدِيم حَتْمِيَّ الوُقُوع. وكيف ما حاولت القِوَى المُحَافِظَة أو الرّجْعِيَة تَلَافِيَ حُدُوث ذلك التَطَوُّر الجديد الحَتْمِي، الذي يُخيفها، فإن محاولاتها هذه لا تُؤَدّي سِوى إلى التَعْجِيل بِحُدُوث ذلك التَطَوُّر غير المَرْغُوب فيه.

والسِرُّ في المرحلة التاريخية الحالية، هو أنّنا نعيش في طَوْر اِنْهِيَّار الْإِمْبَرَاطُورية الأمريكية (أي أننا نَحْيَا في زَمَان هَدْم اِحْتِكَار هَيْمَنَة الولايات المُتّحدة الأمريكية على العالم). وقد يتطلّب اِكْتِمَال هذا الانهيّار بضعة سنوات. ونعيش كذلك في ***طَوْر تَحَوُّل العالم من هَيْمَنَة القُطْب الأمريكي الوَحِيد على العالم، إلى تَعَدُّد الأقطاب*** السَّائِدَة في العالم[1] (عَبر الصُعود التَدْرِيجِي لِدُوَل "البْرِيكْسْ" [BRICS]

(1) أُنْظُر مقال: رحمان النوضة، مَصْلَحَتُنَا تَعَدُّد أَقْطَاب العالم، نشر في (يُنْظَر) 9393

إلى مُسْتَوَى أَقْطَاب عَالَمِيَّة جديدة ومُؤَثِّرَة. وهذه الدّول هي البرازيل، وروسيا، والهند، والصّين، وجنوب إفريقيا، وبعض الدول المُلْتَحِقَة بها).

وَالجديد في المرحلة التاريخية الحالية، هو أن ***قضية تَحَرُّر شَعب فَلسطين سَتَسْتَفِيد بِالتَّأْكِيد من صَيْرُورَة سُقُوط اِحْتِكَار هَيْمَنَة الإمبراطورية الأمريكية على العَالَم.*** حيث يُوجَد ***تَرَابُط عُضْوِي*** بين صَيْرُورة سُقُوط اِحْتِكَار هَيْمَنَة الْإِمْبَرَاطُورِيَة الأمريكية على العالم، وَصَيْرُورَة ضُعْف أو اِنْهِيَّار الكِيَان الْإِسْرَائِيلِي. وسيصبح تنامي المُقَاوَمَات الفلسطينية أَسْهَل، وَأَسْرَع، بِالمُقارنة مع ما كان عليه في الماضي. كما أن الدَّعْم العَمَلِي والمُتَنَوِّع الذي تُقَدِّمه إيران إلى المُقاومات في فلسطين، ولبنان، والعراق، وسوريا، واليمن، سَيُساهِم في تَسْهِيل هَزْم المشروع الصّهيوني الاستعماري. وَاعْتِبَارًا لِكَوْن إيران مُناهضة للإمبرياليّات الغربية، فإنها تَقوم بدور جديد، وحاسم، في الشّرق الأوسط. وفي إطار هذه الدِينَامِيَة الجديدة، فإن انتصار الشعب الفلسطيني، أو اِنْهِزام المشروع الصّهيوني الاستعماري، سَيُسَاهِم هو أيضًا في التَعْجِيل بِانْهِيَّار هَيمنة الإمبراطورية الأمريكية على العالم.

ومن بين ***العلامات الأوّلية الكثيرة، المُعبّرة عن صَيْرُورَة اِنْهِيّار هَيْمَنَة الإمبراطورية الأمريكية، والمُعَبّرَة كذلك عن صَيْرُورَة بِدَايَة اِنْهِيَّار إسرائيل،*** نذكر العَنَاصِر التَالِيَّة : 1) انهزام أمريكا في حرب فِتْنَام، أمام جيش من الفلّاحين الفِيتْنَامِيّين الفُقراء (بِفَضْل قيّادة الحزب الشِيُّوعِي الفِيتْنَامِي، وبفضل دَعم الخَلْفِيَة الاستراتيجية المُتَجَسِّدة آنذاك في الاتحاد السُّوفياتي، وفي الصّين الاشتراكية)؛ 2) ثمّ انهزام أمريكا مَرَّتَيْن في أَفْغَانِسْتَان؛ 3) ثمّ فشل مشروع أمريكا في

(تَتِمَّة) 38 سنة 2022، الصفحات 49، الصِيغَة 4. ويمكن تَنْزِيله من مُدَوَّنَة الكاتب: https://livreschauds.wordpress.com/2015/01/03/listes–لوائح/

غَزْو العِراق، واحتلاله، والسَّيْطَرة عليه؛ 4) ثمّ فشل مشروع أمريكا في مُحاولة السَّيْطَرة على سُورْيَا؛ 5) ثمّ فشل مشروع أمريكا (وأَوْرُوبَّا) في التَحَكُّم التَّام في لِيبْيَا؛ 6) ثمّ فشل أمريكا وَحِلْف النَاتُو (NATO) في حربهما في أُوكْرَانْيَا ضِدَّ رُوسيا الصّاعدة؛ 7) ثُمّ فشل أمريكا وعامّة الغرب الإمبريالي في منع الصّين من التَحَوُّل إلى ***قُطْب عَالَمِي جَدِيد*** (اقتصادي، وعسكري، وسيّاسي، وَعِلْمِي، وَتِكْنُولُوجِي، وَثَقَافِي)، 8) ثمّ فشل أمريكا والغرب في مَنع صُعُود إِيرَان في العَدِيد من المَيادين (العِلْمِيَة، والتِكْنُولُوجِيَة، والعَسْكَرِيَة، والاقتصادية)؛ 9) ثُمّ فشل أمريكا والغرب في مَنع وُصُول قِوَى سيّاسية تقدّمية إلى السلطة السياسية في فِينِيزْوِيلَا الغنية بالنّفط؛ 10) ثُمّ فشل أمريكا في منع كوريا الشمالية من أن تُصبح قُوّة عسكرية؛ 11) ثُمّ اِكْتِشَاف واستعمال المقاومات الفَلَسْطِينِيّة المُناهضة لإسرائيل لِوَسَائل تُمَكِّنُها من كَسْر تَفَوُّق إسرائيل العسكري المُطلق (مثل الصَّوَارِيخ، والطائرات المُسَيَّرَة، والأسلحة المُضادّة لِلدرُوع، الخ)؛ 12) ثُمّ تَشْيِيد رَدْع المُقاومة اللُّبْنَانِيَة في جَنُوب لُبْنَان؛ وَتَحَوُّل هذا الرَّدْع في جَنُوب لُبْنَان إلى تَوَازُن مُتَوَاصِل؛ 13) رَغم ضُعْف أسلحة المُقاومة الفلسطينية في قِطَاع غَزَّة، فإن كِفَاحَهَا المُقاوم اِسْتَطَاع أن يَسْتَنْزِفَ قُوَّة إسرائيل، دون أن تستطيع إسرائيل القَضَاء على هذه المُقاومة الفلسطينية؛ 14) ثُمَّ ظُهُور سَاحَات أو جَبَهَات مُقاومة لإسرائيل في الضِفَّة الغَرْبِيَة المُحْتَلَّة، وفي غَزَّة، وفي العِرَاق، وفي سُورْيَا، وفي اليَمَن؛ 15) ثُمّ تَنَوُّع وَاحْتِدَاد التَنَاقُضَات داخل إسرائيل، بين «الصَهَايِنَة العِلْمَانِيّين» و«الصَهَايِنَة الدّينِيّين»، وبين «اليَهُود الأَشْكِينَاز» و«اليَهُود السِّيفَارَاد»، وبين مُخْتَلَف التِيَّارَات والأحزاب السيّاسية الإسرائيلية، وبين مُختلف مُؤَسَّسَات دَولة إسرائيل؛ 16) ثُمّ تَهَرُّب أعداد مُتزايدة من الإسرائيليّين مِن الْاِنْخِرَاط في الجيش الإسرائيلي، ومن المُشَارَكَة في معاركه القتالية؛ 17) ثُمّ الهِجْرَة المُضَادَّة إلى خارج إسرائيل؛ إلى آخره.

وحينما كانت رُوسْيَا والصّين اِشْتِرَاكِيَّتَيْن وَثَوْرِيّتين، كانتا حَرِيصَتَيْن على دَعم حركات التحرّر الوطني في بُلدان العالم الثّالث. لكن بعدما تَحوّلت رُوسيا والصّين إلى رأسمالية الدّولة، أصبحتا مُحَافِظَتَيْن، ولم تَعُودا تَهتمّان بِدَعم الثورات في العالم الثّالث. لكن ما دامت المقاومات الفلسطينية لَا تستفيد من دَعم «خَلْفِيَة اِسْتْرَاتِيجِيَة ثَورية» (مثل رُوسيا أو الصّين)، فسيكون من الصّعب عليها أن تَتنامى، أو أن تَتَقَوَّى. أَمَّا إذا اِرْتَقَت إِيرَان إلى مُستوى «خَلْفِيَّة اِسْتْرَاتِيجيّة» مُسَانِدَة لِلشّعب الفلسطيني، سَيُصْبِحُ بِإِمْكَان المُقَاوَمَات الفلسطينية أن تَمْنَع إسرائيل من تَنْفِيذ خُططها الاستعمارية.

ومن بين العلامات الحَاسِمَة، التي سَتُعَبّر في المُستقبل القريب، وَبِشَكل قَوِيّ، عن اِنْهِيَّار هَيْمَنَة الإمبراطورية الأمريكية على العالم، سَنَجِدُ : ***أَوَّلًا،*** اِنْهِيَّار الأَيْدِيُولَوجِيَة الصَّهْيُونِيَة، وفشل مشروعها الاستعماري في فلسطين؛ ***ثَانِيًا،*** بِنَاء منظومة مَالِيَة جديدة لتسهيل المُبادلات التجارية فيمَا بين دُوَل "الْبْرِيكْس"، وفيما بين دول "العالم الثّالث"، وَسَتَكُون هذه المنظومة المالية مُتَمَيّزَة بِاستقلالها عن المُؤَسَّسَات المصرفية الغربية؛ ***وَثَالِثًا،*** اِنْهِيّار الدُّولَار الأمريكي، وما يُرافقه من استحالة اِسْتِرْدَاد جزء هام من الدُيون الهائلة المُتراكمة فيما بين كثير من الدول، وكذلك مع صُندوق النَّقْد الدّولي، والبنك الدّولي. وسيكون اِنهيّار هَيْمَنَة إمبراطورية أمريكا مُدَوّيًا، وَمُؤَثّرًا، أكثر من اِنْهِيَّار الْإِمْبْرَاطُورِيَة الْإِنْجْلِيزِية، وأكثر من تأثير الاِنهيّار السّابق للاتحاد السُوفياتي في قرابة سنة 1990.

فَهَلْ يُمكن حَقًّا أن يَحْدُث اِنْهِيَّار الأيديولوجية الصَّهْيُونية، وكذلك اِنْهِيَّار المشروع الصّهيوني الهادف إلى اِسْتِعْمَار فلسطين ؟ لِفَهم هذه المَسْأَلَة، يجب أن نُدرك أنّ ***الجَوْهَر في قضية الصِرَاع بين إسرائيل وفلسطين، هو صِرَاع وُجُودِي بين مُسْتَعْمِرِين وَمُسْتَعْمَرِين.*** وَمَن لَا يَفهم هذا الجوهر، فَهُوَ إمّا جَاهل مُخْطِئٌ في آراءه، وَإِمّا عَمِيل سَافِر

وَمُسَانِد لِلْمُسْتَعْمِرين. **والأساس النَظَرِي** لِمَشْرُوع اِسْتِعْمَار فَلسطين، هو بالضّبط **الْأَيْدِيُولُوجيَّة الصَّهْيُونِيَة**. وهذه الأَيْدِيُولُوجِيَة الصَّهْيُونية الإمبريالية، هي في ظَاهِرِها دِينِيَة يَهُودِيَة، لكنها في جَوْهَرِهَا رَأْسَمَالِيَة، وَاِسْتِعْمَارِيَة، وَعُنْصُرِيَة، وَإِمْبِرْيَالِيَة. وعندما يَرَى اليهود المُتَصَهْيِنُون (في الدُول الغربية) مُواطنين يَنْتَقِدون بشكل ثَاقِب إسرائيل أو الصّهيونية، يُحِسُّ هؤلاء اليَهود المُتَصَهْيِنُون بِخَطر اِنْهِيَّار الأيديولوجية الصّهيونية. فَيُصِيبُهُم الهَلَع أمام احتمال حُدوث مثل هذه الكارثة، وَيَوَدُّون إِسْتِحْدَاث قَوَانِين جديدة تَضَع تَطَابُقًا بين «نَقد الصّهيونية» و«مُعَادَاة السَّامِيَة». أي قَوانين تُبَرِّر مُعَاقَبَة كلّ من يَتَجَرَّأُ على نَقد إسرائيل أو الصّهيونية.

والحَلّ الوحيد، وَالسَّلِيم، لِلتَنَاقُض بين المُسْتَعْمِرين والمُسْتَعْمَرِين، في فَلسطين المُحتلّة، لَا يُمكن أن يَأْتِيَ سِوَى عَبْر مُقَاوَمَة وَمُحاربة المُسْتَعْمِرين، دُون تَمييز بين «الجُنود» الإسرائيليّين، و«المُستوطنين المَدَنِيّين» الإسرائيليّين. ولماذا ؟ لأن «الجُنُود» يَتَحَوَّلون إلى «مُسْتَوْطِنِين مَدَنِيّين»، و«المُسْتَوْطِنُون المَدَنِيُّون» يَتَحَوَّلون إلى «جُنُود». ولأنّ «الجنود»، و«المُستوطنين المَدَنِيّين»، هما معًا شَرِيكان في تَنْفِيذ جَرائِم اِحْتِلَال، وَاسْتِعْمَار، وَاسْتِيطَان فَلسطين، وَقَتْل، أو اِضْطِهَاد، أو تَهْجير، أو إِبَادَة شعب فَلسطين. ويجب أن تَسْتَمِرَّ مُقاومة وَمُحَارَبَة المُسْتَعْمِرِين الْإِسْرَائِيلِيّين، إلى أن يَنْهَزِم هؤلاء الصَّهاينة، أو إلى أن يَهْرِبُوا من فَلسطين المُحْتَلّة، وذلك دون الْاِكْتِرَاث بِتُهَم «الْإِرْهَاب»، أو «الفَاشِيَة»، التي تَصِفُ بها وسائل الإعلام الغربية الإمبرياليّة كلّ مَن يُخالفها في الرَّأْي، أو يُقَاوِمُ مَشَارِيعَها، أو يُحارب قِوَاهَا المُعْتَدِيَة.

وَيَسْتَغِلُّ اليَهُود المُتَصَهْيِنُون سَيْطَرَتهم على بعض الأنشطة الافتصادية، مثلًا في مجالات الأَبْنَاك، أو المَال، أو التَأْمِين، كما يَسْتَغِلُّون سَيْطَرَتَهُم على وَسَائِل الإِعْلَام، داخل الدّول الغربيّة، لِكَيْ

يَفْرِضُوا على هذه الدّول الغربية الْاِنْحِيَّاز التَامّ إلى دَعْم المَشروع الصَّهْيُونِي الاستعماري. وذلك إلى درجة أنّ هذه ***الدّول الغربية الْإِمْبِرْيَالية أصبحت هي نَفْسُها «شِبْه مُسْتَعْمَرَة»، أو مَسُودَة، من طرف الحركة الصّهيونية العالمية.*** ومن واجب شُعوب هذه الدّول الغربية أن تُكافح بهدف التَحَرّر من سيطرة الحركة الصّهيونية العالمية، ومن هَيْمَنَة الرّأسمالية، والإمبريالية.

وَتُساند الدّولُ الغربيةُ الْإِمْبِرْيَاليةُ الحَرَكَةَ الصّهيونيةَ العالميّةَ، وَتُسَانِدُ كذلك إسرائيل، وَتُدعّم المَشروع الاستعماري الصّهيوني، وَتُمِدُّهُم بكلّ ما يحتاجون إليه من سِلَاح، وَدَعْم، وَمُسْتَلْزَمَات، وَمَنْتُوجات مُستهلكة في الحَرب، الخ. بَينما مُعظم الحُكَّام في الدّول العَربية، هم عُمَلَاء خاضعون لِلدّول الغربية الإمبريالية، وَمُتَوَاطِئُون مع مَشروع الاستعمار الصّهيوني، وَمُتَخَوّفُون مِن، أو مُعَادُون لِـ، الشّعب الفلسطيني المُقَاوِم لِلاِسْتِعْمار الصهيوني. لأن هؤلاء الحُكّام العرب التَبَعِيّين (dépendants)، يُحِسُّون أن الدِينَامِيَّات التي تَخلقها المقاومات الفلسطينية في منطقة الشّرق الأوسط، ستكون بالضّرورة دِينامِيّات ثورية، أو تَحَرُّرِيَة، أو اشتراكية، بَلْ مُعْدِيَة. ولأن هؤلاء الحُكَّام العرب يَخَافُون من أن تُؤَدّيَ هذه الدِينَامِيَّات إلى ثَوَرَات شَعْبِيَة تُسْقِطُهم من السُّلْطَة السياسية.

وَلَنْ يَأْتِيَ تَحرّر الشّعب الفلسطيني عبر الخُضوع للقانون الدّولي، ولا عبر اِتّفَاقِية أُسْلُو، ولا عبر القبول بِحُدود الاحتلال الإسرائيلي في سنة 1967، ولا عبر حَل الدّولتين؛ وإنما يَسْتَوْجِبُ تَحرّر الشعب الفلسطيني ***القَضَاء التَامّ على إسرائيل بِصِفَتِهَا كِيَانًا اِسْتِعْمَارِيًا، والقضاء على الأيديولوجية الصّهيونية، بِصِفَتِهَا مشروعًا إِمْبِرْيَالِيًا، واستعماريًا، وعُنصريًا. كما يَستوجب تحرّر الشعب الفلسطيني الاعتماد على استراتيجية الكفاح المُسَلّح الثوري، والمُتَوَاصِل، والطَوِيل الأمد، حتّى النّصر، وَمَهْمَا كانت التَضحيّات. وكلّ ما يُؤلم***

الفلسطينيّين، يَضُرُّ في نفس الوقت بِالصَهَايِنَة، وَلَوْ بشكل غير مُباشر، بَلْ إنه يُعَجِّل بِانْهِيّار مشروعهم الاستعماري.

وَإِثْرَ هُجُوم المُقاومات الفَلسطينية (حركة حَمَاس، وحَرَكة الجِهَاد الإسلامي، والجبهة الشّعبية، والجبهة الديموقراطية)، في يوم 7 أكتوبر 2023، كان عدد هؤلاء الفَلسطينيّين المُهاجمين يَتَرَاوَح بين 2000 و 3000 مُقاوم. وكانت أسلحتهم فَرْدِيَة بَسِيطَة. وكانت حَصِيلَة الهُجوم هي : قُرابة 1200 قتيل إسرائيلي (من بينهم قُرابة 800 مُسْتَوْطِن)؛ و 240 أَسِير إسرائيلي. ثُمّ اِرْتَفَعَ فيما بَعد عَدد المُسْتَوْطِنِين الذين أُضْطُرُّوا إلى النُزُوح عن مُستوطناتهم إلى قُرَابَة 200 ألف شخص. وَبَدَأَت إسرائيل هُجومها الحَربي المُضاد والشَّامِل في يوم 27 أكتوبر 2023.

ويجب الانتباه إلى أنّ «حَرْب» إسرائيل ضدّ الفَلسطينيّين ليست «حَرْبًا» عَادِيَّة. ولماذا ؟ لأن «الحَرب» تَكُون عادةً بين جَيْشَيْن نِظَامِيَّيْن مُتَشَابِهَيْن في العُدَّة أو العَتَاد. ولأنّ المُقاومين الفَلسطينيّين قَلِيلِين، وَغَيْر مَرْئِيّين (سواءً في قِطَاع غَزَّة، أم في الضِفَّة الغَربية). ولأن المُقاومين الفلسطينيّين لا يتوفّرون سوى على أسلحة فَرْدِيَة بَسيطة. وَلِأَنَّ الفِعْل الرئيسي في هذا الهُجوم الإسرائيلي المُضاد، هو قَصْف بِنَايَات المَدَنِيّين الفَلسطينيّين في قِطَاع غَزَّة، بِالطَيَرَان الحَرْبِي المُتَطَوِّر، وَبِقَنَابِل ضَخْمَة، وَتُدَمِّرُ إسرائيل هذه البِنَايَات فَوْق رُؤُوس سُكَّانِهَا. وكانت إسرائيل تَقْتُل في كل يوم ما يَتَرَاوَح بين 150 و 250 فلسطيني. وبعد مُرور قُرَابَة 100 يَوم على هذه «الحرب»، تَجَاوَز عدد القَتْلَى الفَلسطينيّين 25 ألف قَتِيل. و 70 % من هؤلاء القتلى هُم نساء وأطفال. وحدثت هُدنة مُؤَقَّتة لِتَبَادُل الأَسْرَى المَدَنِيّين بين يومي 24 و 30 نُونبر 2023.

وعندما تُكافح المقاومات الفلسطينية ضد إسرائيل، مثلما حدث خلال هُجوم حركتي "حَمَاس" و"الجِهَاد الإسلامي"، في يوم 7 أكتوبر

2023[2]، في المناطق المُجاورة لِقِطَاع غَزَّة، فإن ***العِرَاك لَا يَنْحَصِر فقط في الاشتباكات العسكرية.*** وَلِفَهْم ذلك، يَكْفِي أن نَنْتَبِهَ إلى التَّأْثِيرَات التي أحدثتها «حَرْب» إسرائيل على قِطَاع غَزَّة داخل المُجتمع الإسرائيلي. وَبَعْدَ مُرُور قرابة 70 يومًا (وهو تاريخ كتابة الصِّيغَة الأولى لهذا النَصّ) على بِداية الهُجوم الإسرائيلي المُضَادّ على قِطَاع غَزَّة، نُلاحظ ***النَتائج أو التَأْثِيرَات*** التالية :

1) رَكَّزَت إسرائيل على استغلال تَفَوُّقها المُطلق في مَجَال الطَيَرَان.

2) قَصَفَت إسرائيل مُعْظَم البِنَايَات المَدَنِيَة في قِطَاع غزّة، وَهَدَّمَتْهَا فوق رؤوس سُكَّانِهَا، وَبِدُون إِنْذَار مُسْبَق.

3) أَلْقَت طَائِرَات إسرائيل قَذَائِفَ (أمريكية الصُّنْع) يَتَرَاوَح وَزْنُهَا بين 200 و 1500 كِيلُوغْرَام. وَيُقَدَّر مَجْمُوع القَنَابِل التي أَلْقَتْهَا طَائِرَات إسرائيل على غَزَّة (خلال قُرابة 3 شُهُور) بِـ 40 أَلْف طُنّ. وفي المُعَدَّل، تَقْتُلُ إسرائيل في كل شهر من «الحَرْب» على غَزَّة 11 أَلْف قَتِيل (من بينهم 4325 طفل، و 8825 اِمْرَأَة)[3].

---

(2) بعد مُرور 24 ساعة على بداية هجوم حركة "حَمَاس" على المناطق المُجاورة لِقِطَاع غَزَّة في يوم 7 أكتوبر 2023، لَاحظ سُكّان مدينة الدار البيضاء في المَغْرِب، أنّ حركة هبوط وإقلاع الطائرات الضخمة في مطار الدار البيضاء تَضَاعَفَت قُرابة 4 مرات. ودامت هذه الحركة الضّخمة أكثر من أسبوعين. والمُحتمل هو أنه، في إطار «التَطْبِيع» بين المغرب وإسرائيل، جزء من الطائرات الضّخمة المتنقِّلَة من الولايات المتحدة الأمريكية إلى إسرائيل، والتي تحمل المَنْتُوجَات المُسْتَهْلَكَة في الحرب، تَهْبِط في مطار الدار البيضاء للتزوّد بالوقود، أو للصِيَّانَة. ويعني ما سبق، أنه في إطار «التَطْبِيع» بين المغرب وإسرائيل، تستعمل إسرائيلُ المَغْرِبَ، كَقَنْطَرَة جَوِّيَة، في حربها ضد شعب فلسطين... كيف يُعْقَل أن ترفض دولة المغرب مساعدة المقاومة الفلسطينية، وأن تَقْبَل مساعدة إسرائيل ؟ «الشّعب يُريد إِسْقَاط التَطْبِيع».

(3) https://www.bbc.com/arabic/articles/cmjrd063dz5o

4) دَمَّرَت إسرائيل أكثر من 50 ألف وحدة سَكَنِيَة.

5) يَبْلُغ عَدَد سُكَّان قِطَاع غَزَّة قُرابة 2 مليون نَسَمَة. وقد أصبح أكثر من 60 في المِئَة من سُكّان غزة بدون بُيُوت.

6) بَعد مُرُور قُرابة شهرين على بداية «الحَرب» على غَزَّة، تجاوزت أعداد القتلى المدنيّين الفلسطينيّين 23 ألف شخص، وأكثر من 65 ألف جريح، 70 في المِئَة منهم من الأطفال والنساء. وَبَلَغَ عَدد المَفْقُودين 7 آلاف شخص.

7) دَمَّرَت إسرائيل 70 % من البِنْيَات التَحْتِيَة (الماء، الكهرباء، التَغْذِيَة، الوَقُود، الطُرُقات، المُسْتَشْفَيَات، قَنَوَات الصَّرْف الصِحّي، الخ) التي كانت موجودة في قِطَاع غَزَّة. وَلَوْ أنّها ليست أَهْدَافًا عَسكرية. وهدف إسرائيل المُتَعَمَّد هو تَخْرِيب الشُرُوط الضرورية لِلحياة في قِطاع غَزَّة، لِفَرْضِ الهِجْرَة على الفَلسطينيّين المُتَبَقّين أَحْيَاء.

8) صَعَّدَت إسرائيل الحِصَار الذي تَفْرِضُه على قطاع غَزَّة (منذ سنة 2007). وَمَنَعَت إسرائيل دخول الماء، والكهرباء، والتغذية، والدواء، والوَقُود، الخ. وبدأت مَظاهر المَجَاعَة في قطاع غزّة منذ نهاية شهر ديسمبر 2023.

9) وصل عدد الفلسطينيّين المُجبرين على النُزُوج قُرابة 2 مليون شخص.

10) في الطَّرَف الإسرائيلي، نَجِد أن التَوَجُّه الْإِعْلَامِي الثَّابِت لإسرائيل، هو إِخْفَاء خَسَائِرَهَا. وَلَا تَعترف إسرائيل سوى بالجُزء القَليل مِن خَسائرها. وَتَحْصِرُ إسرائيل عدد قَتْلَاهَا العَسكريّين في قُرابة 250 شخص. وَاضْطُرّ إلى النُزُوح أكثر من 80 ألف مُسْتَوْطِن في شمال إسرائيل. وفي اِقتصاد إسرائيل، تَصاعد التَضَخُّم (inflation)، وانخفضت قِيمة العُمْلَة الإسرائيلية الشِيكَل. وَانْكَمَشَ النشاط الاقتصادي. وَأُغْلِقَت العديد من مُقَاوَلَات الإنتاج. وَتَصَاعَدَت الهجرة المُعَاكِسَة (الفارّة من إسرائيل)، وَبَلَغَت قُرابة 800 ألف شخص. وفي العديد من

دُوّل العالم، نُظِّمَت العديد من المُظاهرات التي تُنَدّد بِالْإِبَادَة الجماعية في قِطَاع غَزَّة، وَتُطَالِب بالوَقْف الفَوْرِي لِإِطْلَاق النَّار. وَحَدَثَ تَصاعد غير مسبوق في أعداد الأشخاص المُناهضين لإسرائيل وللصَّهْيُونية عبر العالم. وفي الولايات المُتّحدة الأمريكية نَفسها، اِرْتَفَعَت أعداد الأشخاص المُتَحَفِّظِين على، أو المعارضين لِـ، الدّعم الأمريكي غير المشروط لإسرائيل،

وَأَمَام هذا الكَم الهائل من التَضْحِيَّات الفَلسطينية، بما فيها مِئَات الْآلَاف من القَتْلَى، والمُغْتَالِين، والشُّهداء، والجَرحى، والمَعطوبين، والمُشَرَّدين، والمُهَجَّرِين، والأسرى، والمُعَذَّبِين، سَيكُون في المُستقبل غَيْرَ مَقبول أن تكون فلسطين المُحَرَّرَة رأسمالية، أَيْ مَبْنِيَة على أساس المِلْكِيَة الخُصُوصِيَة لِوَسَائِل الإنتاج، وعلى أساس اِسْتِغْلَال الإنسان للإنسان، في إطار نظام رأسمالي. بل تَفْرِض تَضْحِيَّات التَحْرِير أن تَكون فلسطين المُسْتَقِلَّة اِشْتِرَاكية، وشعبية، وديموقراطية. وفي إطار هذه الدِينَامِيَة التَحَرُّرِيَة الثورية، سَتَكون ***حركات المُقاومة الفلسطينية الإسلامية*** مُجْبَرَة على أن تَتَطَوَّر إلى أحزاب أو تنظيمات تَلْتَزِم بِالفَصْل بين الدِّين والدّولة، وَبِالفَصْل بين الدِّين والسياسة. وَتُؤْمِن بحرّية العَقِيدة، وحرّية العبادة، وحرّية عدم العبادة، مع عدم التَمْيِيز بين المُواطنين على أساس التَدَيُّن، أو العبادة. لأن قضية فلسطين المحتلّة، ليست صراعًا بين الدِّين الإسلامي والدِّين اليهودي، وَلَا هي صِرَاعًا بين المُسْلِمِين واليَهُود. وإنما قَضِية فَلسطين هي صراع بين مُسْتَعْمِرِين وَمُسْتَعْمَرِين. ولا يَهم في الأمر أن يكون المُسْتَعْمِرُ يَهوديّا، أو مَسيحيًّا، أو مُسلمًا، أو مُلْحِدًا، أو غير ذلك. كما لَا يَهُمّ أن يكُون المُسْتَعْمَر يَهُوديًّا، أو مَسِيحِيًّا، أو مُسْلِمًا، أو غَيْر مُتَدَيِّن.

وما زال الكثير من مُواطني البلدان الناطقة بالعربية لا يَفهمون أن مُجمل الأحداث التاريخية التي حدثت في هذه البلدان العربية، تُثْبِتُ كلّها أنّ الدّول الغربية (مُتفرّقة ومُجتمعة)، تُريد أن تَبقى هذه البلدان

الناطقة بالعربية مُـقَسَّمَة إلى دُوَيْلَات صغيرة، وَضَعِيفَة، ومُتخلّفة، لكي يَسهل على الدّول الغربية التَلَاعُب بهذه البلدان العربية، واستغلال ثرواتها.

وإذا بقيّت الدّول النَّاطِقَة بالعربية مُـقَسَّمَة إلى دُوَيْلَات صَغِيرة، أو قَزَمَة، فإنها ستبقى كلّها ضعيفة، وعاجزة، وستغرق حتمًا في سلسلة من الأزمات، وَسَتَسْقُط في حَالَة مَديدَة من التخلّف، والانحطاط. وستتعرّض هذه البُلدان العربية لِهَجَمات استعمارية، أو إمبريالية، جديدة، وَمُتَكَرِّرَة، وَلَوْ بِأَشْكَال مُتَنَوّعَة ومتطوّرة. ومن مصلحة شُعوب مُجمل الدّول الناطقة بالعربية، أن تَتَوَحَّد في نوع من الفِيدِيرَالِية، أو الوِلَايَات المُتّحدة النّاطقة بالعربية. ويلزم إنجاز هذا التَوْحِيد، إمّا بشكل طَوْعِي، وإمّا بِشَكْل مَفْرُوض. وذلك ليس على أساس «القَوْمِيَة العربية»، ولكن على أساس العَقْلَانية الثورية، وبناءً على المصالح الاستراتيجية المشتركة. ولا قُوّة، دون وحدة.

[نَشَرَ رحمان النوضة هذا النَص لأول مرّة، على شكل مقال، على مَوْقع "الحِوَار المُتَمَدِّن"، في يوم الجمعة 15 ديسمبر 2023].

3ـ نَقْد مَنْطِق "التَّطْبِيع" مَع الصَّهْيُونِيَّة

صُورة مُظَاهَرة نُظِّمَتْ في يوم 25 نُوفَمبر 2012، في مدينة الدار البيضاء بالمغرب، للاحتجاج ضدّ قَنْبَلة إسْرائيل لقِطاع غَزَّة المُحاصَرة

8) ***كُلُّ مَن يُطَبِّعُ عَلَاقَاتِهِ مع إِسْرَائِيل، يُصْبِحُ هُو نَفْسُه صَهْيُونِيًّا، وَعَدُوًّا لِلْفَلَسْطِينِيِّين.*** وكما قال الرئيس الأمريكي جُو بَايْدَنْ في القُدْس المُحْتَلَّة، في 14 يوليوز 2022، «يُمْكِن أن تَكُون صَهْيُونِيًّا، دُونَ أن تكون يَهُوديًّا». وَمِثْل الكَثِيرين مِن أمثاله رُؤَسَاء الدول الغربية، كان جُو بَايْدَنْ صَهْيُونِيًّا، دُونَ أن يكون يَهُوديًّا. وَكَمِثَال آخر، فقد كان لِلملك المُستبد الحسن الثاني وجهان، وجه عَلَنِي هو رَئِيس

لجنة تَحرير القُدْس، وَوَجْهٌ سِرِّي، هو مُنَاصِر لِلصَّهْيُونِية، وَعَمِيل لِإِسْرَائِيل، وَعَمِيل لِلْمُخابرات الإسرائيلية الْمُوصَاد، وَعَمِيل لِلْإِمْبِرْيَالِيَة الأمريكية، وَلَوْ أنه كان غير يَهُودِي.

في يوم 14 يوليوز 2022، وَخِلال زِيارته إلى إسرائيل، قال الرئيس الأمريكي جُو بايْدَنْ في الـقُدْس المُحْتلّة، «يُمْكِن أن تكُون صَهْيُونِياً، دُونَ أن تـكون يَهُودِياً».

وفي ظَاهِر الأُمُور، المغرب هو البلد العربي السادس الذي وافق رَسْمِيًّا على «تَطْبِيع» علاقاته مع دولة الاحتلال، بعد مصر (في سنة 1979)، والأردن (1994)، والإمارات، والبحرين، والسودان (2020). لِكِن في الخَفَاء، كانت لِمَلِك المَغْرب المُسْتَبِد، المَلِك الحسن الثاني، علاقات سِرِّيَة مع إسرائيل، منذ سنوات 1960. وَتَزَايَدَت فيما بعد هذه العَلاقات مع الملك محمد السَّادس.

إسرائيل هي جَريمة. وَمَن يُطَبِّعُ عَلَاقَاتِه مع إسرائيل، يُصبح هُو نَفْسُهُ مُجرمًا، لأنه يُصْبِحُ شَرِيكًا في تَنْفِيذ جرائم إسرائيل، وفي دَعْمِهَا، وفي شَرْعَنَتِهَا.

ولماذا ***إسرائيل جريمة*** ؟ لأن إسرائيل هي تَطْبِيق لِنَظَرِيَة ***الصَهْيُونِيَة.*** وما هي الصهيونية ؟ الصهيونية هي أَيْدِيُولُوجِيَة دِينِيَة يَهُودِيَة، مُتَطَرِّفَة، وَعَنِيفَة، وَإِرْهَابِيَة. وَالصَهْيُونِيَة هي مَبْنِيَة أَوَّلًا على

أساس عُنْصُرِيَة دِينِيَة يَهُودِيَة؛ وَمَبْنِيَة ثانيًا على أَسَاس تَجْمِيع يَهُود العالم، وَتَحْقِيق مَشْرُوع غَزْو، وَاحْتِلَال، وَاسْتِعْمَار، وَاسْتِيطَان، أرض فَلَسْطِين وَمَا جَاوَرَهَا، وَتَحْوِيلها إلى وَطَن جديد لكل يَهُود العالم. وذلك بناءً على مُعتقدات في الدّين اليَهُودِي، وعلى أطماع اِسْتِعمارية، وأهداف اِسْتْرَاتِيجِيَة.

وَتَعْمَلُ إِسْرَائيل كَأَنَّهَا مُسْتَعْمَرَة مُشْتَرَكَة لِمُجْمَل الدُول الغَرْبِيَة الإمبريالية. وكل دولة غربية تَتَوَفَّرُ على أشخاص إسرائيليّين يَحملون جِنْسِيَتَهَا. بَلْ إِسْرَائِيل هِي عَمَلِيًّا قَاعِدَة عَسْكَرِيَة ضخمة، وَمُشْتَرَكَة لِمُجْمَل الدول الإِمْبِرْيَالِيَّة الغربية. وَتُوجد داخل إسرائيل على الأقل قاعدة عسكرية واحدة للولايات المُتّحدة الأمريكية، تُودَعُ فيها أَسْلِحَة اِسْتْرَاتِيجية، وَذَخَائِر هَامَّة. وتعمل إسرائيل كَمَرْكَز عَسكري مُتَقَدّم للغرب الإمبريالي في الشرق الأوسط.

وَيَزْعُمُ الصهَاينَة أن «اليَهُود هُم شعب الله المُخْتَار». وَيَتَصَرَّفُ الصهَاينَة كَأَنَّهُم «المُمَثّل الشَرْعِي والوَحِيد لِـ الشَّعْب اليَهُودِي». وَمَفْهُوم «الشعب اليَهُودِي» هُو وَهْم، أو تَحَايُل في الدعَايَة الصهيونية. حيث لَا يُمكن أن يُوجد «الشعب اليَهُودِي»، مثلما لَا يُمكن أن يُوجد «الشعب المُسْلِم»، أو «الشعب المَسِيحِي»، أو «الشعب الهِنْدُوسِي». وَإِنَّمَا تُوجد بُلدان أو دُوَل يَسْكُنُهَا خَلِيط من المُسْلِمِين، والمَسِيحِيّين، وَالهِنْدُوس، واليَهُود، وَغَيْرِ المُتَدَيّنِين، الخ.

وَيَتَكَلَّمُ الصهَاينَة بِاسْم الله. وَيَزْعُمُون أن الله هو الذي وَهَبَهُم أَرْض فَلَسْطِين. والله بَرِيءٌ مِنْهُم.

وَيَدَّعِي الصهَاينَة أن «يَهُود العَالم هُم شَعْب بِلَا أَرْض، وَأن الله مَنَحَهُم أَرْضًا بِلَا شعب (هي أَرْض فَلَسْطِين)». بَيْنَمَا السُكَّان الأصليّون في فَلسطين يُقَاوِمُون الاحتلال الصهيوني منذ نَشْأَة إسرائيل إلى اليوم. ولا يَمْضِي أيّ يَوم مِن أيّة سنة، إلَّا وأقدم فيه الإسرائيليون الصهاينة على قَتْل بعض الفلسطينيّين، أو تَخْرِيب بُيُوتهم، أو اِقْتِلَاع أشجارهم،

أو الاستيلاء على أراضيهم. وَتَتَفَنَّنُ إسرائيل في تَحويل كل مَجموعة سَكَنِيَة فَلسطينية إلى سِجْن مُحَاصَر. وَتَفْصِل إسرائيل بين مُختلف الأحياء أو المَجموعات السَكَنِيَة الفلسطينية بِالعَديد مِن نِقَاط التَفْتِيش والمُرَاقَبَة. وَتَمْنَع إسرائيل كل مجموعة سكنية فلسطينية من القيّام بِأَيّ نَشَاط مُجتمعي، مثل التِجارة، أو الإنتاج الصناعي، أو المُبادلات التجارية مع الخارج، أو إِنْجَاز، أو تَطْوِير، أيّة تِقْنِيَة كَيْفَ مَا كانت. والهدف من هذا القَهْر، هو إِبْقَاء الفلسطينيّين في حالة تَخَلُّف مُجتمعي مُطْلَق، وذلك لِتَسْهِيل قَهْرِهِم وَإِبَادَتِهم.

وَيَعْمَل الصَهَايِنَة على تَهْجِير يَهُود بُلْدَان كثيرة في أَوْرُوبَّا، وأمريكا، والبلدان الناطقة بالعربية، وإِثْيُوبْيَا، الخ. وَيُحَوّلُ الصَهَايِنَة هؤلاء اليَهُود المُرَحَّلِين إلى غُزَاة مُسْتَوْطِنِين لِأَرْض فَلَسْطِين.

وَلَا يَقْنَع الصهاينة بِاسْتِيطَان أرض فَلَسْطِين، وَإِنَّمَا يُخَطّطُون أيضا لِاحْتِلَال وَاسْتِيطَان أجزاء كبيرة مِن مَصْر، والأُرْدُن، وَلُبْنَان، وَسُورْيَا، والعِرَاق. والعديد من المسئولين الكبار في إسرائيل يَتَحَدَّثُون عن مَشروع إسرائيل من النّيل (في مَصْر) إلى الفُرَات (في العِراق). وذلك بِمُبَارَكَة وَرِضَى الدول الإمبريالية الغربية. وَيُرِيد أَيْضًا الصهاينة التَحكُّمَ في مَصِير كلّ البُلدان المُسلمة، والناطقة بالعربية.

وَيُرِيد الصَهَايِنَة أن يُبْقُوا كل هذه البلدان المُسلمة، أو الناطقة بِالعَرَبِيَة، في حالة تَخَلُّف مُجتمعي شَامِل، لِكَيْ يَسْهُلَ عليهم هَزْمُهَا، والسَّيْطَرَة عليها.

وَيَنْكُرُ الصَهَايِنَة وَجُود شعب فَلَسْطِين. وَلَا يَعْتَرِف الصَهَايِنَة لِلسُكَّان الأَصْلِيّين لِفَلَسْطِين بِأَيّ حَق. لَا حُقُوق الإنسان، وَلَا حُقوق الشُعُوب في اِسْتِقْلَالِهَا، وَسِيَّادَتِهَا، وَتَقْرِير مَصِيرِهَا.

وَيَتَفَنَّنُ الصَهَايِنَة الإسرائيليّون في إِرْهَاب الفَلَسْطِينِيّين، وَتَشْرِيدِهِم، وَقَتْلِهِم، وَتَهْدِيم بُيُوتِهِم، وَطَرْدِهِم من وَطَنِهِم، بَل وَإِبَادَتِهِم.

وَيُبْدِعُ الصَهَايِنَة في اِغْتِيَّال كل الأشخاص الفَلَسْطِينِيّين المُتَقَدّمِين، أو البَارِزِين، أو الطَلِيعِيّين.

ومنذ تَأسيس إسرائيل في سنة 1948، لَا يَمُر أيّ يَوْم دون أن يَقْتُل الصَهَايِنَة فَلَسْطِينِيّين، أو يُهَدّمُوا بُيُوتَهَم، أو يُصَادِرُوا أَرَاضِيَهُم، أو يَطْرُدُونَهُم مِن وَطَنِهِم.

وَلَوْلَا الدَّعْم المُطلق مِن طرف الدول الإِمْبِرْيَالِيَة الغَرْبِيَة لَمَا وُجِدَت إِسْرَائِيل.

فَالصَهيونية هي إِذَن جَرِيمَة ضِدَّ الشعب الفلسطيني، وَضِدَّ الإِنْسَانِيَة. وَمَن يُطَبّعُ عَلَاقَاتِه مع إسرائيل، يُصبح هُو نَفْسُهُ مُجرمًا، لأنه يُصْبِحُ شَرِيكًا في تَنْفِيذ جَرائم عُظْمَى.

(9) نَشَر الصحافي الاِنْتِهَازِي رَشيد نِيني مقالًا في صحيفة شركته الخاصّة. وَدَافَع فيه على إِقْدَام النظام السياسي بالمغرب على «تَطْبِيع» العلاقات مع إسرائيل. وَفَعَلَ مثله الكثير من الصحافيّين، وَغَيْر الصحافيّين. ولا يَرْجِعُ أيّ فضل إلى رشيد نِيني سِوَى أنه لَخَّصَ في مقاله مُجْمَل «المُبَرِّرَات» التي اِسْتَعْمَلَهَا العديد مِن أنصار النظام السياسي القائم بالمغرب، وأنصار «التَطْبِيع» مع إسائيل، بِهَدف تَبْرِير هذا «التَطْبِيع». ***ومعنى «التَطْبِيع»، هو اعتبار إسرائيل دولة عاديّة، وإِقَامَة علاقات كاملة وطَبِيعِيَة معها.*** وَفي مَا يَلِي، نَفْحَصُ مَدَى سَلَامَة المَنْطِق المُسْتَعْمَل في هذه التَبْرِيرَات.

وَمِمَّا كتبه رَشيد نِيني:

«نُطَبّعُ لأن القَادَة الفلسطينيين ***يتعاملون*** مع إسرائيل ويسترزقون بالقضية الفلسطينية». وَهذا خَطَأ. والصَّحِيح هو أن

الفلسطينيّين لَا «يُطَبِّعُون» علاقاتهم مع إسرائيل، وَإنما يُقَاوِمُون الاستعمار الإسرائيلي، ويُكافحون ضِدَّه، وَيُضَحُّون بكلّ شيء، وفي كل يوم، حسب إمكانِيَّاتِهم المتواضعة، وحسب مَدَى دعمهم مِن طرف الشعوب الأخرى. خاصّة وأن إسرائيل تُحَاصِرُ الفلسطينيّين مِن كلّ الجهات، وَتَمْنَعَهُم مِن التَفَاعُل بِحُرِّيَة مع بَاقِي شُعُوب العالم. لَكن تَخاذُل، أو خِيَّانة، بعض الأنظمة السياسية العربية، بالإضافة إلى ضعف الإمكانات المادية للفلسطينيين، هي التي تَدفع الفلسطينيّين إلى مُمارسة تَكْتِيكَات مَرْحَلِيَّة، أو مُؤَقَّتَة، في تَعامُلهم مَع العَدُوّ المُحتل. وحتّى وإن قام بعض الفلسطينيّين بِـ «اتِفَاقية سلام» (مؤقّتة) مع العدو الاستعماري، فَلَا شيء يفرض على الدول العربية أن تَحْذُوَ حَذْوَ الفلسطينيّين المقهورين مِن طرف تَكَالب مُجْمَل الدول الإمبريالية العالمية. لأن إسرائيل هي مُسْتَعْمَرَة ومَحْمِيَة مُشتركة لِكلّ الدول الإمبرياليّة العالمية. وقد طالب الفلسطينيّون عَلَنِيَّةً من الدول العربية وغيرها أن لَا «تُطَبِّع» علاقاتها مع إسرائيل.

(10) كتب رشيد نِيـنِي: «نُطَبِّع لأن تُركيا طَبَّعَت مِن زمان، ولا أحد ينتقدها». وهذا خطأ. والصَّحِيح هو أن سُلُوك طَرَف ثالث، مثل تُركيا، لَا يُبَرِّر أن نُقَلِّد هذا السُلُوك، حيث بِالإمْكَان أن يكون هذا السُّلُوك خَاطِئًا، أو مُتخلّفًا، أو شَاذًّا، أو اِنْتِهَازِيًّا، أو إِجْرَامِيًّا، أو مُنْبَطِحًا، أو خَائِنًا.

(11) كَتَب نِيني: «نُطَبّعُ لأنه، في هذا الظرف، كل بلد يُراعي مصالحه». وهذا خطأ. والصَّحِيح هو أنه، إن كان مِن المَشْرُوع أن يُراعِيَ كلّ بلد مُحدّد «مصالحه»، فهذا لَا يُبَرّرُ أن تَذْهَبَ مُرَاعَاة هذه «المَصالح الخُصُوصِيَة» إلى حَدّ مُشاركة هذا البلد المَعني (المغرب) في مُؤَامرة، أو في خِيَّانة، أو في دَعْم مَشروع ظَالِم، أو استعماري، أو اِسْتِيطَانِي، أو عنصري، ضدّ شعب آخر (هو هُنا الشعب الفلسطيني المظلوم). وَإِلّا تَحَوَّلَت «مُرَاعَاة المصالح الخُصُوصِيَة» إلى مُبَرّر حتّى لِلسَّرِقَة، وَلِلنَّهْب، وَلِلجَريمة، ولِلقَتْل. ودور القانون، وكذلك دَوْر الأَخْلَاق، هو أنه يَمْنَعُكَ من خِدْمَة مَصَالِحِك الخُصُوصِيَة، دُون مُرَاعَاة مَصَالِح الجَمَاعَة، أو مَصَالِح الغَيْر.

وَيَفْتَرِضُ رشيد نيني، وأنصار «التطبيع» مع إسرائيل، أن هذا «التطبيع» سَيُفِيد مَصالح المَغْرِب (في مَجالات اقتصادية، أو تِكْنُولُوجية، أو دِبْلُومَاسِيَة، أو في قضية الصحراء الغَرْبِيَة، الخ). وهذا الْاِفْتِرَاض هو مُجرّد وَهْم. بل سَتُؤَكّد السنوات المُقبلة أن هذا «التطبيع» سَيَعُود على المَغْرِب (دولةً وشعبًا) بِأَضْرَار غير مَحْسُوبَة.

وإن كانت مصلحتنا الأنانية تَدْفَعُنَا إلى الغِشّ، وإلى السَّرقة، فإن الأخلاق، والقانون، وَوَاجِبَات العَيْش في مُجْتَمَع مُشْتَرَك (وطني وعالمي)، يَمْنَعُونَنَا مِن ذلك. وكُلَّمَا إِتَّخَذْنَا قرارات سياسية حَصْرِيًّا على أساس «مصالحنا الخُصُوصية»، سنكون قد دخلنا في التَقَيُّد باستعمال «المنطق النَفْعِي» الأناني، المُبَرَّر بِـ «وَاقِعِيَة» انتهازية، والذي يَتَنَاسَى، وَيَتَنَاقَض مع، الأخلاق الحَمِيدة، وكذلك مع القانون المُجتمعي (بما فيه القانون الوطني، والدولي). وهذا هو سُلُوك الانحطاط بِعَيْنِه !

ومِن أين أَتَى رَفْضُنَا وَشَجْبُنَا لِـ «التَفكير الأناني»، الذي نَصِفُه بِالسَّطْحِيَة، وبالبِدَائِيَة، وبِالانتهازية ؟ لَقَد أتى مِمَّا عَلَّمَتْهُ لَنَا جميعًا التجربة المُجتمعية. فَعِنْدَمَا يتّخذ شخص أو شعب موقفًا سياسيًّا

بهدف الاقتصار على خدمة «مصالحه الخُصُوصيّة»، وعندما يَشْرَعُ في تنفيذ هذا الموقف، نُلَاحِظُ أن لَا شيء يضمن له أنه سَيُحَقّقُ بالتَّأْكِيد خدمة «مصالحه الخصوصية». بل يمكن أن يُؤدّي اِخْتِيَّارُه لهذا السُّلُوك الأناني، أو الانتهازي، إلى الإِضْرَار بِـ «مصالحه الخصوصية»، أو حتّى إلى تخريبها على المَدَى الطَّويل. وهذا هو ما سيحدث لدولة المغرب مِن خلال اختيّارها «التطبيع» مع إسرائيل. وَلَوْ كان حقيقةً التركيز على اختيّار خدمة «المصالح الخصوصية» يضمن النجاح في هذا التَوَجُّه المُتَمَرْكِز على الذَّات، على المَدَيَيْن المُتَوَسّط والطويل، لأصبح السُّلوك الأناني أو الانتهازي هو السُّلوك الوحيد الموجود في حياة كُلّ المُجتمعات. لكن هَيْهَات !

وإذا كانت الأخلاق الحميدة المُفَضَّلَة لدى غالبية أفراد المجتمع (الوطني والعالمي)، وكذلك لَدَى نُخَبِهِ المُحترمة، تَحُثُّ على نَبْذِ الاقتصار على اِسْتِهْدَاف «المصالح الخُصوصية»، وإذا كانت هذه الأخلاق تُشَجّعُ على اِسْتِهْدَاف الرَّبْط المُنْصِف والعَادِل بين «خدمة المصالح الخُصوصية» و«خدمة المصالح المُشْتَرَكَة»، فذلك يَرْجِع لِكَوْن التجربة المُجتمعية (وَطَنِيًّا، وَعَالَمِيًّا) تُذَكّرُنَا دائمًا أن هذا المَنْهَج الجَمَاعِي، أو المُجتمعي، أو الاشتراكي، هو الوحيد الذي يُؤَدّي إلى نجاح المُمَارسة (سَوَاءً كانت فَردية أم مُجْتَمَعِيَة). بينما الاقتصار على مَنْهَج الأنانية، أو الانتهازية، يُـؤدّي إلى الفشل، وإلى الهَلَاك، والخَرَاب، على الصعيدين الفردي والجماعي، وعلى المَدَيَيْن المتوسّط والطويل. وفي النهاية، يجب على كلّ فَاعِل أن يتحمّل مسؤولية اختياراته، وأن يُؤَدّيَ ثَمَنَ أخطائه.

(12) كَتب رَشِيد نِيـنِي: «نُطَبّعُ لأن الجزائر عَدُوّ يُهَدّد بلادنا». وهذا طَرْحٌ خَاطِئٌ. والصّحيح هو أن الجزائر هي شعب شقيق لِشعب المغرب، وَلَا تُفرّقه عن شعب المغرب سِوَى حُدود مُصطنعة مَوْرُوثَة عن الاستعمار الفرنسي. وأن مصالح الشعبين الجزائري والمغربي مُتَدَاخِلَة، وَمُتَكَامِلَة، وَمُشْتَرَكَة. وأن مَصِير هذين الشعبين هو حَتْمًا مَصِير مُشْتَرَك. وأن العدو الحقيقي لِشعب المغرب هو إسرائيل، وليس الجزائر. وبعض الفِئَات في المغرب، وفي الجزائر، تَعْمَل كلّ مَا في وُسْعِهَا بِهدف تَأْجِيج عَدَاوَة مُصْطَنَعَة بين المغرب والجزائر، وذلك بِهدف صَرْف المُواطنين عن المشاكل الخطيرة الموجودة داخل كلّ واحد مِن بين هذين النظامين السياسيّين. وإن كانت تُوجد تَنَاقُضات سياسية بين النظامين السياسيّين القائمين حاليًّا في المغرب والجزائر، فهذا لَا يعني أن هذه التناقضات تُوجد أيضًا بين الشعبين المغربي والجزائري. والتناقضات الموجودة بين دولتي المغرب والجزائر، لَا تُشَكّلُ آلِيًّا (أُتُومَاتِيكِيًّا) تناقضات بين الشعبين المغربي والجزائري. وبعض الفِئَات في المغرب، وكذلك في الجزائر، تَعْمَل لِخَلق ***عَدَاوَة مُصْطَنَعَة*** وَدَائمة بين شَعْبَيْ المغرب والجزائر، وذلك بِهدف إخْفَاء الأزمات الحادّة الموجودة داخل كلّ واحد مِن بين هذين النظامين السياسيّين. وعلى خلاف بعض الظُنُون، ***لَا يُوجد تَطَابُق بين «الشعب» و«الدولة»***. كما أنه ***لَا يُوجد تَطَابُق بين «الشعب» و«النظام السياسي» القائم***. حيث أنه مِن المُمكن أن تَكُون «الدولة» القائمة في خدمة «الشعب»؛ كما يُمكن أن تُصبح هذه «الدولة» "عَدُوًّا" لِلشعب الذي تَحْكُمُه. وَمُجْمَل «الثورات» المُجتمعية الماضية كانت تَعْبِيرًا عَن ***حُدُوث تَنَاقُض حَادّ بين «الشعب» ونظام «الدولة» القَائِم*** القديم في هذه البلاد المَعْنِيَة. وَإِذا وَضَعْنَا تَطَابُقًا آلِيًّا (أُتُومَاتِيكِيًّا) بين «الشعب» و«الدولة»، سَقَطْنَا في نزعة «وَطَنِيَة ضَيّقَة وَبَلِيدَة»، تُحَوّلُ شعوبنا إلى

دُمْيَات سَخِيفَة، تَتَلَاعَبُ بها أنظمة سياسية مُسْتَبِدَّة، أو فاسدة، أو مُتخلّفة، أو حَمقاء. وقد رأينا إبّان "الحربين العالميّتين الأُولَى والثانية"، كيف أن «النَزْعَة الوَطَنِيَة الضَيِّقَة»، سَهَّلَت التَلَاعُب بالشعوب، وَقَادَت إلى تَعْطِيل عُقُولِ هَذه الشعوب، والزَجّ بها في حُروب قَاتِلَة، وَمُدَمِّرَة لِلْمَلَايين مِن البَشَر، وَغَير مُبَرَّرَة، وَحَمقاء، وبدون أية فائدة.

(13) كَتَبَ رَشيد نِينِي: «نُطَبِّعُ لتعزيز وحدتنا الترابية». وهذا طَرْحٌ خَاطِئ. والصحيح هو أنّ «تعزيز الوحدة التُرابية» لِأيّ بلد كان، لَا تَتَحَقَّق إلّا إذا كانت أُسُسُ هذه «الوحدة الترابية» عَادِلَة. وَأَنَّ «تَعزيز الوحدة التُرابية» لِأَيّ بَلد مُعَيَّن، لَا يُمكن أبداً أن تَنجح عبر «التطبيع»، أو عبر الاعتراف بشرعية احتلَال واستعمار بَلَد آخر، هو هنا فلسطين. زِيّادة على أنه يُعَدُّ مِن باب الجهل، والتخلّف، والسَّذَاجَة، الاعتقاد أن «تعزيز وحدتنا الترابية» يَسْتَوجِبُ بالضَّرُورة الاعتراف بإسرائيل، والتطبيع معها، والتَحَالُفَ الاستراتيجي مع رَاعِيَتِهَا أمريكا، والخُضُوع لِنَزَوَاتهما الاستعمارية، والعُنْصُرِيَة، والظّالمة. وَسَيَكُون مِن باب الجَهل، أو السَذَاجَة، أن يَثِقَ أيّ شخص كان في إِمْكَانية تَحقيق «التَحَرُّر الوطني» لِبَلَدِه، عَبر عَقْد تَحَالُف اِسْتْرَاتِيجِي مع إسرائيل، أو مع الولايات المتّحدة الأمريكية، أو أيّ دولة أخرى غازية، أو مُسْتَغِلَّة. وَمَن لَا يُدرك أن الإمبريالية العالمية، وَمَحْمِيَتِها إسرائيل، هما مِن بين أكبر أعداء «الوحدة الترابية» لِلعديد مِن شعوب العالم، فهو جاهل لِلتاريخ، وَمُتخلّف في مَيدان السياسة.

(14) كتب رَشيد نِيـنِي: «نُطَبّعُ لأن لنا إخوان يهود مغاربة في إسرائيل». هذه مَزْحَة خَاطِئَة، وَسَادِيَة ! كيف يُعْقَل أن تعتبر أن يَهُودًا صَهَايَنَة، يشاركون في استعمار واستيطان فلسطين، هم «إِخْوَان لك»، وأن تعتبر، في نفس الوقت، الضحايا الفلسطينيّين «أعداءًا» لك، وأنهم لَا يستحقّون لَا اعتبار، وَلَا شفقة، وَلَا رَحمة، وَلَا تَضامن ؟ هذه التناقضات هي مِن علامات المَنْطِق الانتهازي، وَاللَّامَبْدَئِي، وَالغَدَّار، والمُفْتَرِس !

(15) كتب رشيد نِيـنِي: «نُطَبّعُ لأننا وطنيون، و لنا غَيْرَة على المغرب، وعلى مصالحه». وهذا كَلَام خاطئ. والصّحيح هو أن كلّ مَن يَعمل بِمِثل هذا المنطق الانتهازي (المَوْصُوف أعلَاه)، يَستحيل عليه أن يكون «وطنيًّا» صادقًا، وَيَسْتَحِيلُ عليه أن يُضَحّيَ دِفَاعًا عن «وطنه»، وَلَو بِشَعْرَة واحدة مِن رأسه. وكلّ مَن يُدافع عن «التَطْبِيع» مع إسرائيل، لَا يُدافع عن «وطنه» المغرب، وإنما يُدافع عن النظام السياسي القائم في المغرب، وَيُدَافع عن سِيَّاسَاتِه الاِسْتِبْدَادِيَة، ويدافع عن إسرائيل، وعن الإمبريالية الأمريكية. وَلَا شيء يُثْبِتُ أن «التطبيع» مِن مصلحة شعب المغرب. زِيَّادة على أنه، مِن الناحية المَنْطِقِيَة، لَا تُوجد أيّة علاقة مَنْطِقِيَّة بَين «وَطَنِيَة» المُطَبّعِين المزعومة، وَتَبْرِيرِهم لِلْإِسْتِسْلَام الفكري، والسياسي، والاقتصادي، لِلصَّهيونية، المَبْنِية على أساس مشروع استعماري، واستيطاني، وعُنصري.

16) إضافةً لِلنَّقد السابق، تُوجد قَضَايَا أخرى إِضَافية مُخْتَفِيَة في هذا «المَنْطِق» الذي يُحاول تَبْرِير «تَطْبِيع» العلاقات مع إسرائيل. وَيَلزم تَمْحِيصُ هذه القضايا، وَتَعْرِيَة أَوْهَامِهَا، وفضح انتهازيتها، وَتَوْضِيح أن حَرَكِيَة (أو دِينَامِيكِيَة) هذا «المَنطق» المُنْبَطِح سَتُؤَدِّي إلى خَرَاب شَامِل. ومن بين هذه القضايا، العناصر التالية :

17) منذ أن قرّرت السُّلطة السّياسية بِالمغرب تَرْسِيم «تَطْبِيع» العَلاقات بين المغرب وإسرائيل، في ديسمبر 2020، دخل مُسَلْسَل ***التَفْرِيط في اِسْتِقْلَال المغرب*** (السياسي، والاقتصادي، والثقافي) في مرحلته النِهَائِيَة. وإسرائيل التي كانت مِن بين الفَاعِلِين القَائِمِين وَرَاء احتلال وَتَخْرِيب العراق، ثمّ سُورية، ثم لِيبْيَا، سَتَكُون أيضًا في المستقبل مِن بين الفاعلين الذين يَعملون في الخفاء بِهدف تَخْرِيب الأُرْدُن، والمغرب، والجزائر، ثمّ مَصْر. لأن إسرائيل (وَحُلَفَاؤُها الإِمْبِرْيَالِيّين الغَرْبِيّين) لَا يَعْمَلُون سِوَى بِطَرِيقَة وَحِيدة لِضَمَان أَمْنِ إسرائيل : وهي تَخْرِيب البلدان المُجاورة لها، وَتَدْمِير الشُّعُوب المُعَادِيَة لها، أو المُنَافِسَة لها. وَمَن لَا يُصَدّق ذلك، سَيَرَاه بِأَعْيُنِه بعد مُرُور 5، أو 10، أو 20 سنة القادمة. وَآنَذَاك، سَيَكُون وَقْت التَفْكِير قَد فَاتَ.

18) مِن بَين مُعْضِلَاتِنَا، نحن الشُعوب المُسلمة، أو الناطقة بالعربية (المتواجدة في الشّرق الأوسط، وفي شمال إقريقيا)، هي أننا لَا نُعاني فقط من ***التَخَلُّف*** الاقتصادي، والثَقَافِي، والمُجتمعي، ولكننا نُعاني أيضًا مِن ***البَلَادَة السياسية*** لِبعض النُّخَب الحاكمة. أَلَيْسَ غَبَاءً

أَنْ تَثِقَ نُخَب حَاكِمَة عربية في عَلاقاتها، وَفي «تَطْبِيعِهَا»، مع إسرائيل، وفي اِسْتِجْدَاء حِمَاية اِفْتِرَاضِيَة مِن طرف الإمبريالية الأمريكية، وفي نفس الوقت، أَنْ لَا تَثِقَ هذه النُخَب الحاكمة في شُعوبها ؟ أَلَا تُخْضِع النُخب الحاكمة العربية شُعوبها لِلتَجَسُّس مِن طَرف العديد مِن الأجهزة المُخابراتية ؟ أَلَا تُعِدُّ النخب الحاكمة العربية لِشُعُوبها جُيُوشًا شَرِسَة من الأجهزة القمعية، تَسْتَعِدُّ في كلّ يوم لِلْاِنْقِضَاض على هذه الشعوب، وَسَحْقِهَا، في حالة تَمَرُّدِهَا، أو انتفاضتها، أو ثورتها، ضِدَّ النُخب الحاكمة المُتَخَلِّفَة ؟

(19) تُريد الأنظمة السياسية العربية، وكذلك إِمْبِرْيَالِيَات العالم، أن يُوهِمُونَنَا أن «***إسرائيل هي دولة عَادِيَة***»، مثل جميع الدول. وهذه مُغالطة كُبرى. لأن الكِيَّان الإسرائيلي هو الوحيد في العالم الذي يَنْبَنِي عَلَنِيَّةً على أساس أَيْدِيُولُوجِيَة دِينِيَة أُصُولية خُرَافِيَة، وعلى أساس الغَزْو، والاستعمار، والاستيطان، والعنصرية، وعلى أساس تَقْتِيل، وتَشْرِيد، وتَهْجِير، الشعب الضحية، أي الشعب الفلسطيني.

(20) في الوقت الذي كان فيه رئيس الوزراء الإسرائيلي بَنْيَمِينْ نَاتَانْيَاهُو مُتَابعًا أمام المحاكم الإسرائيلية بِسبب عِدّة ***قضايا فَسَاد***، وفي الوقت الذي بَدأت إسرائيل تعيش فيه ***أزمة سياسية*** شاملة، وفي الوقت الذي كانت فيه إسرائيل مُجبرة على إِعَادَة تنظيم انتخابات عامّة لِلْمَرَّة الرَّابعة في أقلّ من سَنَتَيْن، وَفي الوقت الذي تَبْنِي فيه إسرائيل عشرات الآلاف المُتَتَالِيَة مِن المُسْتَوْطَنَات والمنازل في

المناطق الفلسطينية المُحْتَلَّة، وَفي الوقت الذي كانت فيه وِلَايَة رئيس الولايات المُتحدة الأمريكية، اليَمِينِي المُتطرّف، ***دُونَالْد اتْرَامْبْ*** (Donald Trump) سَتَنتهي بَعْدَ حَوَالَيْ شهر، في هذا الوقت بالضَّبْط، قرّر النظام السياسي المَلَكِي بالمغرب، وَبِشَكل مُفاجئ، قَرَّر مَنح ***هَدِيَة لِإِنْقَاذ نَتَانْيَاهُو،*** على شكل ***تَقْرِير «تَطْبِيعَ»*** العَلَاقَات بين المغرب وإسرائيل، ***مُقَابِل «اعتراف»*** شَكْلِي مَزْعُوم لِرَئِيس الولايات المُتحدة الأمريكية دُونَالْد اتْرَامْبْ (Donald Trump) بِسيادة المغرب على الصحراء الغربية المُتنازع عليها ! وَبَرَّر النظام السياسي القائم في المغرب «التَّطْبِيع» مع إسرائيل بِمَكْسَب «***اعتراف» أمريكا بِسِيَّادة دولة المغرب على الصحراء الغَرْبِية***» ! كأن النظام السياسي القائم في المغرب ***يَشتري «شَرْعِيَة سِيَّادَتِه» على الصحراء*** الغربية بِثَمَن، أو بِواسطة، ***اعتراف دولة المغرب بِـ «شَرْعِيَة استعمار الصهاينة لِفلسطين»***، وَلِهَضَبَة الجُولَان السُورية، وَلِجَنُوب لُبْنَان ! وهذه ***المُقَايَضَة هي بَاطِلَة في القانون الدولي،*** لكونها تَنْبَنِي على بَاطِل. وَلَا تَقُوم سِوَى على أساس حُجَّة السلطة السياسية (argument de l'autorité politique). وَلَا يُمكن أن يُؤْمن بمثل هذه الاتفاقيات الانتهازية سِوَى الأشخاص اليَمِينِيُّون السُذَّجُ، الذين يَجهلون القانون الدولي، وَيَجهلون طَبِيعة الصَّهْيُونِيَة وَتَاريخها. وذاك هو مَا أَكَّدَتْهُ افتتاحية جريدة "الوَاشِنْطُنْ بُوسْت" (لِيَوم 30 أبريل 2021)، مُخَصَّصَة لِلمُطالبة بِإِطلاق سراح الصَّحَفِيِّين المُعتقلين في المغرب. وَجَاء في هذه الافتتاحية "لِلْوَاشِنْطُنْ بُوسْتْ" أن اعتراف الرئيس دُونَالد اتْرَامْب بِسيّادة دولة المغرب على الصحراء الغربية كان «مُتَهَوِّرًا»، وَأنّه «وَضَعَ الولايات المُتّحدة الأمريكية في خِلَاف مُحْرِج مع حُلفائها الأوروبيّين، ومع الدول الإفريقية، وعَاكَسَ قرارات الأمم المُتَّحِدَة». واعتبرت الافتتاحية أن هذه «***الصَّفْقَة كانت مُكافأة غير عادلة، وغير ضرورية***».

21) يَدْعُو النظام السياسي بالمغرب الشعبَ المغربي إلى القَبُول بتوقيع إتّفَاقِيَّات جديدة «لِتَطْبِيع» العَلَاقَات مع إسرائيل، بينما ***ميزَة إسرائيل (منذ نشأتها إلى الآن) هي أنها لَا تَلْتَزِمُ أبدًا بِأيّة إتّفاقيّة،*** وَمَهْمَا كانت نَوعية هذه الاتفاقية (بما فيها اتّفَاقية السلام في أُوسْلُو). ولم يسبق لإسرائيل أن إلْتَزَمَت بِأَيّة إتّفَاقية. ***وتستعمل إسرائيل أيّة إتّفاقية كَتَغْطِيَة، أو كَخُدْعَة، لِاحتلَال مَزيد مِن الأراضي،*** بِهَدف استعمارها، واسْتِيطَانِهَا. فَمَن مِنكم نَسِيَ أن إسرائيل لَمْ تَتَرَدَّد في تَسْمِيم وقتل الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات، رغم أن يَاسِر عَرفات وَقَّع معها «اتّفاقية السّلام»، ومنحها تَنَازُلَات إضَافِيَة !

22) يَحْتَوِي توقيع إتّفَاقِيَة «التَطْبِيع» بين المَلَكِيَة المغربية وإسرائيل على حَرَكِيَة (أو دِينَامِيكِيَة) سياسية تُؤَدّي إلى لُجُوء النظام السياسي بالمغرب إلى ***اِسْتِجْدَاء مُساعدات أمنية مِن إسرائيل،*** وقد تَتَطَوَّر هذه العلاقة إلى إقامة نوع مِن ***الحِمَايَة*** الإسرائيلية والأمريكية على المغرب.

23) تَشتري بعض الأنظمة السياسية العربية المُستبدّة (مثل المغرب) ***بَرْمَجِيَّات*** (logiciels) إلِكْتْرُونِيَة مثل بَرْمَجِيَة «بِيغَاسُوسْ» (Pegasus)، وَ «سَانْدْفِين» (Sandvine)، وَ «سِيرْكَلْزْ» (Circles). وَهِيَ بَرْمَجِيَّات تُقَدَّمُ على أنها مِن صُنْع شركات إسرائيلية (مثل مَجموعة "

NSO Group"). لكن هذه الشركات الإسرائيلية تَستعمل تِكْنُولُوجيات مَسْرُوقَة من الولايات المتّحدة الأمريكية، أو مِن رُوسْيَا. وهذه الشركات تعمل في اِرْتِبَاط عُضْوِي بِالجَيْش الإسرائيلي. وَهَدف هذه البرمجيّات هو ***مُراقبة شبكة الأَنْتِرْنِيت*** (Internet)، ***والتَّجَسُّس الإِلِكْتْرُونِي*** على سُكّان بَلد بأكمله، وخاصّة منه، التَجَسُّس على المعارضين السياسيّين، وعلى الصحفيين المُستقلّين، وعلى المُناضِلين النقابيّين، والحُقُوقِيّين، والثوريّين، وغيرهم. حيث تَتْبَعُ، وَتُسَجّلُ، سِرِّيًا، هذه البرمجيات كل مَا يجري في حَوَاسِيب وَهَوَاتِف الأشخاص المُسْتَهْدَفِين، وَلَو كان هؤلاء الأشخاص يُعَدُّون بِعَشَرَات الآلاف.

وَيُنَفَّذُ هذا التَجَسُّس الإلكتروني على المواطنين، رَغم كَوْنِهِ يُخالف الدستور، ويتعارض مع القانون القائم. وتجد الأنظمة السياسية العربية فائدة اِسْتْرَاتِيجية هامّة في استعمال هذه البَرمجيّات الإسرائيلية. لكن هذه الأنظمة السياسية لا تُدرك أن هذه البَرمجيّات المُتَجَسّسَة تُخْبِرُ، في نفس الوقت، المُخَابَرَات الإسرائيلية، عبر تِقْنِيَة "الباب الخَلْفِي" (Back Door). فَتَتَحَوَّل هذه البرمجيّات إلى وسيلة بين أَيْدِي المخابرات الإسرائيلية، ***وَتُعطي لإسرائيل إمكانية التَأْثِير على "تَدْبِير السياسة الأمنية"*** للدول التي تستعمل هذه البرمجيّات. وَيُصْبِحُ المُتَجَسّسُ مُتَجَسَّسًا عَلَيْه.

كما تُعطي هذه البرمجيّات الإلكترونية إلى إسرائيل إمكانية القيّام بِعَمَلِيَّات سِرِّيَة، مُباشرة أو غير مُباشرة، بِمَا فيها الاغتيّال السِرِّي، ضدّ المُعارضين السياسيّين، أو ضِدّ المناضلين الثوريّين، أو ضِدَّ المُنَاهِضِين للصهيونية، المُتواجدين في داخل البلدان الناطقة بالعربية، وذلك سواءً بِاتِّفَاق مع الأنظمة السياسية المُسْتَعْمِلَة لهذه البرمجيّات، أم بِدُون موافقتها، وَلَا حتّى عِلْمِهَا.

وهكذا يُصبح بإمكان إسرائيل التحكّم في تعامل هذه الدول مع مُجرميها، ومع نُقَّادِهَا، ومع مُعارضيها. ***ويصبح الاستقلال السياسي لهذه البلدان مُهدّدًا بالاختراق، وَبِالتَلَاعُب، وبالتَلَاشِي.***

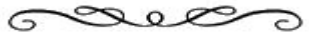

24) يوم تَوْقِيع النظام السياسي القائم بِالمغرب على إِتِّفَاقِيَة «التَطْبِيع» مع إسرائيل (في 22 ديسمبر 2020) هو يوم بداية ***خُضُوع هذا النظام المَلَكِي بِالمغرب لِحِمَايَة إسرائيل وأمريكا.***

25) إن قَام النظام السياسي المَلَكِي بالمغرب بِـ «التطبيع» مع إسرائيل، فإن عامّة شعب المغرب تَرفض أيّ «تطبيع» مع الصهيونية.

26) ***لَقَد أصبح الصَهَاينَة مِن بين الفَاعِلِين السَّائِدِين في المغرب !***

في يوم 30 ماي 2022، مَنَحَ النظام السياسي القائم في المغرب ***لِقَنَاة تَلْفَزِيَة إِسْرَائِيلِيَة صَهْيُونِيَة فَضَائِيَة (هي قناة i24) فَتْحَ مَكْتَبَيْن لهذه القناة التَلْفَزِيَة،*** واحداً في مدينة الدار البيضاء، والثاني في مدينة الرباط. بَيْنَمَا يَمْنَع هذا النظام السياسي، في نفس الوقت، ومنذ عشرات السِنِين، الجمعيات المغربية، والنقابات، والأحزاب، مِن إِقَامَة إِذَاعَات أو قَنَوَات تِلِفِزْيُونِية خاصّة بها؛ بَلْ يَمنعها حتّى مِن تنظيم أَنْشِطَتِهَا، أو لقاءاتها، أو محاضراتها، أو مُؤْتَمَرَاتِهَا، في قاعات عُمومية، مثل «المراكز الثقافية»، أو «دُور الشَبَاب»، أو «المَسَارِح

العُمُومِيَة»، الخ. وكلّ الجَرَائِد التي كانت مُسْتَقِلَّة عن السُلطة السياسيةُ في المغرب، أو التي كانت مُنْتَقِدَة لِلنظام السياسي، تَعَرَّضَت لِلمُضَايَقَات، ولِلضُغُوطَات، إلى أن مَاتَت. وَلَفَّقَت أَجْهِزَة الدولة القَمْعِيَة تُهَمًا ثَقِيلَة إلى الصحافِيّين المُستَقِلّين، والنَاقِدِين، والتَقَدُّمِيّين، وَرَمَتْهُم في السّجن. وَتَمْنَع الدولة المواطنين المغاربة التَقَدُّمِيّين، أو المُنْتَقِدِين، من أن يُنْشِؤُوا إِذَاعَةً، أو تَلْفَزَةً فَضَائِيَة مُسْتَقِلَّة عن السّلطة السياسية. الخ.

المَشْهَد واضح اليوم إذن : ***المواطنون المغاربة التقدّميّون، أو المُنْتَقِدُون، يُصبحون أجانب مَقْمُوعِين دَاخل وَطَنِهِم، والصهاينَة الإسرائِيلِيّون يحصلون في المغرب على اِمْتِيَّازَات الأَبْطَال، أو الأمراء، أو الحُكَّام، في كلّ الميادين (الاقتصادية، والبنكية، والمالية، والإعلامية، والاستثمارية، والعقارية، الخ)***. وَمُخْتَلَف ***الاِمْتِيَّازَات (المعنوية والمادية)، المَمْنُوحَة لِـ «الْاِسْرَائِيلِيّين من أصل مغربي»، تُحَوّلُ هؤلاء الاسرائيليّين إلى مُوَاطِنِين من الدَرَجَة الأُولَى، أو المُمْتَازَة، وَتُحَوّلُ المُواطنين المغاربة العَادِيّين إلى مُواطِنِي من الدَرَجَة الثَانِيَة، أو الأَدْنَى***. وأصبح الصَهَاينَة مِن ضِمْن الفَاعِلِين السَّائِدِين في المغرب... ***لَقَد فَقَد الشعب المغربي استقلاله، وَسِيَّادَتَه !***

(27) جميع المَلَكِيَّات، والإِمَارَات، والسَّلْطَنَات، الموجودة في العالم الإسلامي، أو الناطق بالعربية، كانت كُلُّهَا، وما زالت، عَمِيلَة للإمبريالية، وعَمِيلَة للاستعمار، وعَمِيلَة لإسرائيل. ***وَتُفَضّل كلّها ضَمَان دَوَامِهَا، عَبر الاِحْتِمَاء بِحِمَايَة الإمبريالية،*** مُقَابِل اِسْتِبَاحَة أوطانها لِصَالِح الاستعمار والإمبريالية. ولَا تَتَرَدَّد هذه المَلَكِيّات في

قَمع شُعوبها. وَمُجْمَل البُورْجْوَازِيَّات الكُومْبْرَادُورِيَة تَخُونُ بِسُهولة شُعوبها، وَلَا تهتمّ سِوَى بِتَنْمِيَة ثَرَوَاتِهَا الشّخصية.

(28) لَا يقدر النظام السياسي القائم في المغرب على ***الإيمان بِقضية*** الصحراء الغربية، ولَا بأية قضية وطنية أخرى. ومُجمل سيّاساته في الصحراء كانت خاطئة، وذات نتائج سلبية. وخلال قرابة 15 سنة الأولى في تاريخ قضية الصحراء الغربية (منذ سنة 1975)، جَرَّبَ النظام السياسي المغربي أَوَّلًا ***التَرْكِيز على القمع*** الشَّرس لِسكّان الصحراء الغربية، وخلال 20 سنة الثانية، جَرَّبَ النظام السياسي ***التَرْكِيز على شِرَاء وَلَاء أَسْيَاد وأَعْيَان*** القبائل الصحراوية، عَبْر تَوْزِيع الرّيع (rente) السَّخِي علي نُخَب سُكّان الصحراء الغربية. ومنذ قُرَابة سنة 2010، بدأ النظام السياسي يُجَرّب التَرْكِيز على ***شِرَاء مُساندة الدُوَل*** الأَجْنَبِيَة لِـ «سِيَّادَة المغرب على الصحراء الغربية»، عبر مَنح كل واحدة من هذه الدول الأجنبية الامتيّازات المادّية التي تَهُمُّهَا داخل المغرب.

وفِي اِتّفَاقية «التَطْبِيع» الأخيرة بين المغرب وإسرائيل، يحصل النظام السياسي المغربي على ***اعتراف أمريكا بِشَرعية سِيَّادَة دولة المغرب على الصحراء الغربية، مُقابل اعتراف المغرب بِشرعية استعمار إسرائيل لِفلسطين،*** بالإضافة إلى *«وُعُود حُصول المغرب على* ***اِسْتِثْمَارَات*** *مَالِيَة»* هَائِلَة تُقَدَّر بِمِلْيَارَات الدُّولَارات الأمريكية. ***وهذه الوُعُود الأمريكية والإسرائيلية، تَبقَى مُجرّد أَوْهَام مُضَلِّلَة.*** ولَا يمكن أن يُصَدّقَ هذه الوُعُود سِوى مَن يَجهل أن ***أمريكا وَإسرائيل، لم يَلْتَزِمَا أبدًا بِأَيّة وُعُود، وَلَا بِأَيَّة اِتّفَاقِيَة دُوَلِيَة سَابِقَة.***

وَيكفِي أن نُذكّر مثلًا أن الملك الحسن الثاني (الذي دام حُكمه من سنة 1961 إلى 1999) رَاهَنَ على تَقَارُبِه مِن، وَعلى خَضُوعِه إلى، الإمبرياليات الغَربية وَإسْرَائِيل، لِتَحْقِيق التَقَدُّم الاقتصادي الرَّأْسَمَالي في المغرب. ثمّ اِسْتَمَرَّ ابنه محمد السادس في نَفْس التَوَجُّه. والنَتِيجَة المُحَصَّلة بعد مُرور قُرَابَة سِتّين سَنة من التَبَعِيَة، هي بَقَاء المغرب في التَخَلُّف المُجتمعي الشَّامل.

وَسَوَاءً في المغرب، أم في الأُردن، أم في مَصْر، أم السُودان، أم غيرهم، ظَلَّ مُجْمَل أنصار «التَطْبِيع» مع إسرائيل يَتَوَهَّمُون أنه يكْفِي أن يُوَقِّعُوا على اِتِفَاقِيَة «التطبيع» مع إسرائيل لكي يَحْصُلُوا على تَدَفُّق المُساعدات، والرَسَامِيل، والاِسْتِثْمَارَات، والتِكْنُولُوجيَّات، والمصانع، والإنتاج الوَفِير، الخ. لكن هَيْهَات، لَا يَنْفَعُ سِوَى الاِعْتِمَاد على النَفْس. وكُل هَؤُلَاء الذين رَاهَنُوا على مُساعدات، أو على إعَانَات، أو مُؤَازَرَات، أو مُسَانَدَات، الإمْبِرْيَالِيات الغَربية وَإسْرائيل، أُضْطُرُّوا إلى تَقْدِيم تَنَازُلَات إضَافِيَة، وَمُتَلَاحِقَة، وَمُتَزَايِدَة، وَلَمْ يَجْنُوا سِوَى وُعُود كَاذِبَة، وَمُضَلِّلَة. بَلْ لم يَحْصُل أيّ واحد منهم، وَلَوْ على مكْسَب واحد فِعْلِي وَإيجَابِي. وَلَم يَجْنُوا سِوَى الأَوْهَام، والانتظارية، والضُعف، والتَخَلُّف. بينما دولة إيرَان التي اِتَّبَعَت طريق مُقَاوَمَة الصَهْيُونِيَة والإمْبِرْيَالِيَات الغَربية، واختارت مَنْهَج الاعتماد على النفس، وَصِيَانَة الاستقلال الوطني، والسِيَّادَة الوطنية، أَنْجَزَت تَقَدُّمًا مُجتمعيا هَائِلًا، وذلك رغم الحِصَار الشَامِل الذي فَرَضَتْه عليها الإمْبِرْيَاليات الغَربية منذ قُرابة سنة 1977، ورغم الحرب الإيرانية – العراقية التي دَبَّرَتْهَا الإمْبِرْيَالِيات الغَربية وإسرائيل، ورغم كل المناورات الأخرى الخَفِيَة أو العَلَنِيَة. أصبحت إيران قادرة على تَلبيّة كل حاجيّاتها الأساسية. بينما الدول العربية المُطَبِّعَة، بَقِيَّت في التَخَلُّف.

29) مُجمل الحُكَّام العرب، أنصار «التطبيع» مع إسرائيل، لَا يقدرون على حِمَاية أنفسهم، ولَا يَحْظَوْنَ بِنُفُوذ كَافٍ حتّى على أنفسهم، فَكَيْفَ يُمكن أن يكون لهم أيّ نُفُوذ على إسرائيل لِإجبارها على احترام تَعَهُّدَاتِها، إنْ هِيَ خَانَت اِلْتِزَامَاتِهَا السَّابِقَة في المُستقبل ؟ خَاصَّةً وأنّه لَمْ يَسْبِق لإسرائيل، منذ إنشائها إلى الآن، أن إلْتَزَمَت بِالقانون الدُّوَلي، أو بِأَيَّة مُعاهدة أَبْرَمَتْهَا حَوْل قَضِيَّة فَلسطين.

30) في مُجمل خِطَابَات أنصار «التَطْبِيع» مع إسرائيل، نَرَاهُم يَنطلقون بِسُرْعَة البرق مِن أُطْرُوحَة سيّاسية كَاذِبَة إلى أخرى زَائِفَة. ويتكلّمون عن «أعداد مُتَزَايِدَة مِن ***المَشَاريع الاقتصادية الهَائِلَة***»، والتي تُقَدَّرُ قِيمتها بِمِلْيَارَات الدُّولَارَات الأمريكية. لكن كَلَامهم يبقى كُلُّه مُجرّد وُعُود كَاذِبَة، وَمَشَارِيع وَهْمِيَة، ومُعْتَقَدَات سَاذَجَة، أو بَاطِلَة. وَلَا يُمكن أبداً لِوُعُودِهِم المُخَادِعَة، وَلَا لِمَشَارِيعِهِم المُضَلِّلَة، أن تَتَحَقَّق. وَلَا يُمكن أن يُصَدِّق تِلك الوُعُود أو المَشَاريع سِوَى مَن يَجْهَلُ عُلُوم السياسة. ولا تصلح هذه الخِطَابات المَغْشُوشَة سِوَى لِتَضْلِيل الشُّعُوب الجَاهِلَة، وَلِإِدَامَة خُضُوعِ هذه الشُّعُوب وَاسْتِغْلَالِهَا.

31) يَزْعُم أنصار «التَطْبِيع» بين المغرب وإسرائيل أن «حِلْفَ أمريكا وإسرائيل سَوْف يَسْتَثْمِرُ في المغرب مِلْيَارَات الدُّولَارات الأمريكية». وَيُرَوِّج أنصار التطبيع مع إسرائيل أن «***المغرب سَيَسْتَفِيد***

مِن العُلوم، ومن التكنولوجيات الإسرائيلية»، لاستعمالها في تنمية المغرب. وهذا الاعتقاد هُو هُرَاء. ولَا يُصَدّقه سِوَى مَن يجهل ابْرُوتُوكُولَات (protocoles) التي يَعْمَل بها العُلَمَاء، والتِقْنِيّون، والمُقَاوِلون المُسْتَثْمِرون. وَلَا يُؤْمِنُ بذلك الزَّعْم سِوَى مَن يَجْهَلُ تاريخ الصَّهيونية وأهدافها. فَمُنْذُ نشأة إسرائيل كَكِيَّان استعماري وَتَوَسُّعِي في سنة 1948، ***لم يسبق أبدًا لإسرائيل أن قامت بأيّ فِعْل خَيْر لِصَالح أيّ بَلد*** مُسلم، أو عربي، أو ناطق بالعربية، وَلَا لِصَالح أيّ بلد آخر مُختلف في العالم. (وَيَصْدُق نَفْسُ الشيء على الإمبريالية الأمريكية).

بَلْ ظَلَّت العَقِيدة الاِسْتْرَاتِيجية لإسرائيل مَبنيّة على أساس أن «ضَمان أمن إسرائيل، يَستوجب التَفَوُّق الحربي المُطلق لصالح إسرائيل». ***وَفي هذه العَقِيدَة الرَّسْمِيَة لإسرائيل، يستوجب تَفَوُّق إسرائيل إِجْبَار كلّ الشعوب المُجَاورة، أو المُنافسة، على البَقَاء في حالة تَخَلُّف دَائِم.*** (وَمِن هنا جاء تَخْرِيب العراق، وسوريا، وليبيا، والسودان، واليمن). كما أن ***العقيدة الاستراتيجية لإسرائيل مَبْنِيَة كذلك على أساس إضعاف أو تَخْرِيب كل البلدان المُسلمة والعربية المُجاورة،*** مِن المُحيط الأطلنتي إلى أَفْغَانِسْتَان، أو إلى شرق منطقة القُوقَاز.

وتعمل ***إسرائيل كَمُسْتَعْمَرة مُشتركة لِمُجمل الدول الإمبريالية الغربية.*** وَمُجمل سَاسة العَالم يُدركون أن إسرائيل، واللُّوبِي الصَّهْيُونِي العالمي، هما اللذان دَفَعَا الولايات المتّحدة الأمريكية إلى فرض ***حِصَار اقتصادي*** على العراق خلال أكثر من عشر سنوات، ثمّ إلى ***غزو العراق وتخريبه*** كُلِّيًا في سنة 2003. وبعد مُرور 18 سنة على هذا الغزو الأمريكي، مَا زَالَ العراق عاجزا على الخُروج مِن خَرَابِه.

واسْتَغَلَّت إسرائيل وأمريكا اِنْتِفَاضَة مَا سُمِّيَ بِـ «الرّبيع الديموقراطي العربي» لِتَمْوِيل وتَسْلِيح مِيلِيشْيَات إرهابية مُتَأَسْلِمَة، ***وَلِتَخْرِيب سُوريا*** بين سنتي 2012 و 2020.

وتُريد اليومَ إسرائيل وأمريكا ***تخريب إيرَان***، دُون أن تَقْدِرَا على ذلك.

وَشَجَّعَت إسرائيل وأمريكا (وكلّ الإمبرياليات العالمية) على ***اِنْفِصَال جنوب السُّودان*** عن شمال السودان. وَتَتَحَكَّمُ إسرائيل حَالِيًّا في جيش السودان، وفي أسلحته. وَتَطْمَعُ في الاِسْتِيلَاء على أجزاء هامّة مِن أراضيه الفلاحية، أو التي تحتوي على معادن.

وَدَعَّمَت وَسَلَّحَت إسرائيل وأمريكا بعض الفصائل الكُرْدِيَة الطَائِفِيَة، والانفصالية. وأصبحت هذه ***الفصائل الكُرْدِيَة تَابِعَة، وخَاضِعَة، لِأمريكا، ولإسرائيل***. وَتُشَارِك بعض المِيلِيشْيَات، المَوجودة في كُورْدِسْتَان، في تنفيذ عَمَلِيّات عَسكرية أو إرْهَابِيَة ضِدّ إيرَان.

كما دَعَّمَت إسرائيل وأمريكا السَّعودية والإمارات في ***حربهما الحَمقاء ضدّ شعب اليَمَن***. وَسَتَتَسَبَّبُ إسرائيل وأمريكا في المُستقبل في إحداث اِنْقِسَامَات، وَتَطَاحُنَات، وَخَرَاب مُقْبِل، في بلدان أخرى، مُسلمة، أو نَاطِقَة بالعربية، مثل لُبْنَان، والأردن، وَلِيبْيَا، والمغرب، والجزائر، ومصر.

32) يَخْلِط بعض المسؤولين في دولة المغرب بين «***التَطْبِيع***» و«***إقامة علاقات ديبلوماسية***». حيثُ يمكن، نظريا، أن نقبل «إقامة علاقات ديبلوماسية» مُؤَقَّتَة مع دولة اِمبريالية، أو استعمارية، تَكُون قويّة نِسْبِيًّا، مثل فرنسا، أو اِسْبَانْيَا، الخ. ولكن «تطبيع العلاقات مع إسرائيل» له معنى مُخَالف تمامًا. وَهُوَ اِعْتِرَاف ضِمْنِي بِشَرْعِيَة كل ما

أنجزه الكيان الصهيوني إلى حَدِّ الآن من احتلال، واستعمار، وَتَقْتِيل، وتهجير، وقمع، وتطهير عِرقِي، إلى آخره.

وفي الوقت الذي بَدَأَ ***الشَكُّ في مشروعية الاِسْتِيطَان*** الصهيوني يَتَسَرَّب إلى عُقُول بعض الإسرائيليّين، فإن السَّاسَة الإسرائيليّين يبحثون على «تَطْبِيع» دُول عربية مع إسرائيل بِهدف ***إبقاء المشروع الصّهيوني حَيًّا، وَمَحْبُوبًا، وَقَابِلًا لِلْإِنْجَاز،*** في عُقُول هؤلاء الإسرائيليّين. بَل يعني «التطبيع» مع الكيان الصهيوني القَبُول بِمَشْرُوعِيَة مجمل ***الأطروحات السياسية الصهيونية،*** مثل أطروحة «شعب الله المُخْتَار»، و«الأرض المُقَدَّسَة المَوْعُودَة لِليَهُود»، و«تَفَوُّق العِرْق السَّامِي اليَهُودِي»، و«حَق الصَهَاينَة في اِسْتِعْمَار واسْتِيطَان» كلّ المناطق التي تُغَطِّي حاليًّا فلسطين، ولُبْنَان، والأُرْدُن، وَسوريا، وجزء هام مِن مصر، الخ. وهذه الأطروحات السياسية الصهيونية، هي مَبْنِيَة على أساس تأويل اِنْتِهَازِي، وَعُنصُرِي، وَحَرْبِي، وعُدْوَاني، للدّين اليهودي. وهي أطروحات مُوَجَّهَة، ليس ضِدّ النَازِيّين، والفَاشِيّين، واليَمِينِيّين، الذين سَحَقُوا اليَهُود داخل دُوَل أَوْرُوبَّا، وَإنما هي مُوَجَّهَة خِصِّيصًا ضِدَّ مجمل الشعوب المُسلمة، أو الناطقة بالعربية، التي لم يسبق لها أن شَرَّعَت اضطهاد اليهود (مثلما حدث ذلك داخل دُوَل أَوْرُوبَّا). خاصّة وأن إسرائيل لم تُعْلِن بعدُ على انتهاء مشاريع غزواتها، واحتلالاتها لِلمناطق العربية المجاورة لإسرائيل. بَل تَحْلُم الحركة الصهيونية الحاكمة في إسرائيل بِـ «تحرير واسترجاع منطقتي يَهُودَا والسَّامِرَّة، مِن النِّيل إلى الفُرات».

وهكذا فإن «تَطْبِيع» المغرب مع إسرائيل هو أيضًا «تطبيع» مع هذه الأطروحات، وَمُسَانَدَة لَهَا. فهل يُعقل «التطبيع» مع مَن يحمل هذه المشاريع، وَيَعْمَل بهدف إِنْجَازِهَا ؟

(33) كل اليهود هم مثل كل البشر، وكل البشر هم مثل كل اليهود. والاعتقاد بأن شخصًا، أو جماعة، أو شعبا، هو «استثنائي» على مستوى الذكاء، أو الأخلاق، أو القوة، أو غير ذلك من الخِصَال، هو مُجرّد وَهْم، بَلْ هُو مَدخل إلى الأيديولوجية العُنصرية. ***وكل من يُدَعّمُ الاعتقاد بأن اليهود هم «شعب خاص»، أو «إِسْتِثْنَائِي»، أو «خارق لِلعَادَة»، فهو عنصري***، وَلَوْ لَم يَعترف بذلك.

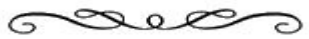

(34) ذكر الكاتب حميد بنزكري في إحدى مقالاته مقولة أخذها من كتاب ***ثِيُودُورْ هِيرْتْزَل*** (Théodore Herzl)، مؤسِّس "المنظمة الصهيونية العالمية"، في مدينة بَازِلْ بِسْوِيسْرَا (Suisse)، في عام 1897. حيث كتب هِيرْتْزَلْ : «بما أنه لا يمكن لليهود أن يندمجوا في بلدان أخرى، وبما أنه يجب أن يكون لليهود دولة خاصة بهم ... يجب إذن إنشاء دولة خاصّة بهم. لكن أين ؟ في مدغشقر؟ أوغندا؟ موزامبيق؟ الكونغو البلجيكي؟ قُبْرُصْ؟ الأرجنتين»؟ فَاخْتَارَت الحركة الصّهيونية فكرة فلسطين. وَأَضَاف ثِيُودُور هِرْتْزَلْ: «بالنسبة لأَوْرُوبَّا، سنشكل في فلسطين قطعةً من الحِصْن ضدّ آسيا. ***سنكون الحارس المتقدم للحضارة الغربية ضد البربرية***». (مَقُولَة مَأخوذة مِن كتاب هِيرْتْزَلْ "الدولة اليهودية"، المنشور في سنة 1896). وفي الوقت الذي تَضَع فيه جُمْهُورِيَة فرنسا قوانين تُوجِبُ «اِنْدِمَاج» (intégration) الفرنسيّين مِن أصل مَغَارِبِي، أو عربي، فإن الأيديولوجية الصهيونية تُؤَكّد أنها تَرفض «اِنْدِمَاج اليهود في أيّ بلد كان»، بما فيه فرنسا ! وَلَا يَقدر الحُكَّام الفرنسيون على نَقد الفكر الصّهيوني، وَلَا على مُواجهة

اللُّوبِي الصَهْيُونِي، الذي يَحُثُّ الفرنسيّين اليهُود المُتَصَهْيِنِين على العَيْش في فرنسا على شكل طَائِفَة (communautarisme) مُسْتقِلَّة، وَمُتَمَاسِكَة. بَيْنَمَا تَمنع فرنسا على الفرنسيّين مِن أصل مَغَارِبِي أن يَعِيشُوا كَ «طَائِفَة». وَلَا تُبَالِي فرنسا بِكَوْن الفرنسيّين اليهود المُتَصَهْيِنِين يَعِيشُون كَ «طَائِفَة» سِرِّيَة.

(35) من المعلوم أن بعض الشخصيّات الغربية البارزة شَهَدَت، وَأَكَّدَت، أن ***اللُّوبِي اليَهُودي*** (lobby juif)، ***يُهَيْمِنُ*** على بعض البلدان الغربية، مثل الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، والمملكة المتحدة البريطانية، إلى آخره. وفي الحَقيقة، ليس «اللُّوبِي اليَهُودي» هو الذي يُهَيْمِن، وإنما ***اللُّوبِي الصَّهْيُونِي*** (lobby sioniste)، هو الذي يُهَيْمِن. وَلَا يُمارس اليَهُود الصهاينة هذه ***الهَيْمَنَة*** كَفِئَة دينية، وإنما تُمارسها ***الفئة البورجوازية المَالِيَة من أُصُول يَهُودِيَة***، مِن خلال سَيْطَرَتِهَا على ***النظام البَنْكِي، والمَالِي***، وكذلك مِن خِلال سيطرتها على ***وَسَائل الإعلام*** العُمُومية والخُصوصية. ***فالذي يُهيمِن هو الرأسمال اليَهُودي الصَهْيُونِي، وَخُصُوصًا الرأسمال المَالِي المُتَصَهْيِن، وليس الدِّين اليهودي.*** ويُمَارِسُ اليهود المُتَصَهْيِنُون سَيْطَرَتَهُم على عدد مِن بُلدان العالم، مِن خِلال تَوَاجُدهم في مواقع الرأسمال المَالِي المُهيمِن. وكل فِئَة مُجتمعية تَتَوَاجَدُ في مواقع السَّيْطَرَة على النظام البنكي والمَالِي، ستكون مُهَيْمِنَة، وذلك بِغَضِّ النَظَر عَن دِيَانَتِهَا، أو عن أصلها الإِثْنِي. وَسِرُّ قُوَّة اللُّوبِي الصَّهْيُونِي، هو أن هؤلاء الصّهاينة يَعِيشُون كَ «أَقَلِّيَة مَنْبُوذَة»، ويعملون كَحِزب وَاحد، مُوَحَّد، مَرْكَزِي، وَسِرِّي. وللدِّفَاع عن أنفسهم، يُصبح الفلسطينيّون مضطرّين لِفِعْل شيء مُشابه لذلك. لكن

الفلسطينيّين لَا يتوفّرون بَعْدُ على قُوَّة بَنْكِيَة، أو مَالِيَة، أو إِعْلَامِيَة. واِسْتِعْمَار الفلسطينيّين، وَفَقرهم، وَضُعفهم، لَا يسمح لهم بأن يتحوّلوا إلى مُهَيْمِنِين على الأنشطة البنكية أو المالية في العالم.

(36) وقد صرّح مثلًا الرئيس الفرنسي السّابق ***جِيسْكَار دِي اسْتَانْ*** (Giscard d'Estaing)، بعد انتهاء وِلَايَتِه الرئاسية، أنه لَاحَظَ أن «***اللُّوبِي اليَهُودِي يُسيطر على فرنسا***». وَشَهِدَ الكاتب الفرنسي ***جَانْ دُورْمِيسُون*** (Jean D'ormesson)، وهو عُضْوٌ بَارز في "الأَكَادِيمِيَة الفرنسية"، أن الرئيس الفرنسي السّابق ***فْرَانْسْوَا مِيتِيرَان*** (François Mitterand) بَاحَ له شخصيًّا بِسِرٍّ قُبَيْل وَفَاتِه، وكَأَنَّ هذا السِرّ هو وَصِيَة، أَو تَحْذِير. حيث قَال مِيتِيرَان لِلكاتب دُورْمِيسُون أن «***اللُّوبِي اليَهُودِي يُسيطر على فرنسا***». وبعدما رأى هذا اللُّوبِي الصَّهْيُونِي أن الفَنَّان الفَرَنْسِي الهَزْلِي (humoriste) ***ادْيُودُونِي*** (***Dieudonné***) يَنْتَقِدُ بِشَكْل فَاضح وَمُؤَثِّر جَرَائِم إسرائيل والصّهيونية، قَرّر هذا اللُّوبِي اليَهُودِي المُتَصَهْيِن ***مَنْعَ الفَنَّان ادْيُودُونِي*** من الظهور في أية قَنَاة تَلْفَزِيَة فرنسية. بَل منعه حتّى من الحُصول على أيّة رُخصة لِتَقْدِيم أيّ عَرض مَسْرَحِي مِن بين عُروضه الهَزْلِيَة، داخل أَيِّ مَسرح مِن بَيْن مَسَارِح فرنسا ! واتَّهَمُوا الفَنّان ادْيُودُونِي بِـ «مُعاداة السَّامِيَة»، وَبِـ «العُنْصُرِيَة»، لِتَبْرِير قَمْعِه. وَمِمَّا يُوَضّحُ قُوَّةَ تَأْثِير اللُّوبِي الصَّهْيُونِي في فرنسا، أن هذا اللُّوبِي الصَّهْيُونِي اِسْتَطَاعَ أن يَنْجح في تمرير ***قانون جديد في فرنسا، يَضَعُ فيه تَطَابُقًا بين «نَقْد الصّهيونية»*** (critique du sionisme) ***و«مُعَاداة اليَهُود»*** (anti-sémitisme). وكانت «مُعاداة اليهود» مُجَرَّمَة مِن قبل في فرنسا. وَيُجَرِّمُ هذا القانون الجديد،

وَيُعَاقِبُ، ***«نَقْد الصّهيونية»، مِثْلَمَا يُعَاقِبُ جَرِيمَة «مُعَاداة اليَهُود».*** فَكَيْفَ يُعقل أن تُدَافِع فرنسا عن حق نَشْر كَارِيكَاتُورَات تَسْخَر من نَبِي الإسلام (في جريدة "شَارْلِي هِيبْدُو")، وَأن تَمْنَع، في نفس الوقت، «نَقْد الصَّهيونية» ؟ وَيَكْشِفُ «قانون منع نَقد الصّهيونية» درجة «الإرهاب الفكري» الذي فرضه اَللُّوبِي الصَهْيُونِي في فرنسا. ويَفْضَحُ قانون «منع نَقد الصهيونية» درجة الانحطاط الخَفِيّ لِفَرَنْسَا، وَتَجَاوُز، أو تَخَلّف، نِسبة هامّة مِن مُثَقَّفِيهَا. كما يَكْشِفُ هذا القانون مَدَى ***خُضُوع فرنسا إلى اللُّوبِي الصّهيوني.*** حيث مِن الواضح للجميع أن ***«الصّهيونية» تَختلف كَيْفِيًّا عن الدّين اليَهُودي،*** وعن المجموعات البَشرية اليَهُودية. ***و«الصّهيونية» هِي منظومة مِن المُعْتَقَدَات،*** وهي مُجَرَّد تِيَّار سياسي، ومشروع استعماري لِفَلَسطين. ومِن حق أيّ شخص، في إطار حقّ «حُرِّيَة التعبير»، أن يَنْتَقِدَ أفكار الصّهيونية، وأن ينتقد أفعال أنصار الصّهيونية. وخير دليل على ذلك، هو أنه تُوجد شخصيات يهودية، كثيرة، وَمَعروفة عبر العالم، تَتَبَرَّؤُ مِن الصهيونية، وتنتقدها، وتُعَارِضُ مشروعها الصّهيوني.

37) حِينما نَرجع إلى ***فلسفة القانون،*** يُمكن أن نُدرك أن «***كَرَاهِيَة اليهود***» (anti-sémitisme)، هي فِعلًا فِكر مَكْرُوه، أو إِحْسَاس مَنْبُوذ، لأنه فكر غير عَادِل. وتَنْبَنِي «كَرَاهِيَة اليهود» في غالب الحالات على مُعتقدات عُنصرية. لكن «كَراهية اليهود»، إذا ما بقيت في مُستوى الأفكار، أو المَشَاعِر، أو المُيُول، أو النَزَعَات، فإنها لَا تُجَسّد جَرِيمة (مِثلما ذهب إليه القانون الجديد في فرنسا). لأن الجريمة ***لَا تُصبح جريمة إِلَّا إذا كانت فِعْلًا مَلْمُوسًا، وَيُحْدِثُ ضَرَرًا مَلْمُوسًا***

لِلْغَيْر. أمّا الأفكار أو المشاعر، التي لَا تُحْدِثُ ضَرَرًا مَلموسًا لِلْغير، فَلَا تُجَسِّدُ جَرائم. وسيكون من باب الحُمق أن نُعاقبَ شخصًا، أو أن نَرْمِيَه في السِّجن، فقط لأنه يحمل أفكارًا، أو أَحَاسيس، مَفَادُهَا أنه «لَا يُحبّ اليهود»، أو أنه «يكره المُسلمين»، أو أنه «يَشْمَئِزُّ مِن المَسيحيّين»، الخ. ***فَالقَانُون السَّلِيم لَا يُعاقب على الأفكار، وَلَا على الأحاسيس، وَلَا على المَشاعر،*** ولَا على المُيُول، أو المُعْتَقَدَات، وإنما يَكْتَفِي بِأن ***يُعاقب الجَرائم الملموسة، أي التي هي أَفْعَال تُحْدِثُ ضَرَرًا مَلموسًا لِلْغَيْر.*** وهكذا، فقد زَجَّ اللُّوبِي الصَّهْيُونِي بِفرنسا في تَشْرِيع أحمق.

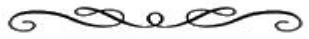

(38) يُحِبّ صَهاينة إسرائيل تِقْنِيَّات ***إبادة النُّخَب الفلسطينية المتميزة*** بذكائها، أو بِشَجَاعَتِهَا، أو بنضالها الثوري. وفي البداية، استخدم الصهاينة وسائل عنيفة لِتَصْفِيَة أعدائهم، مثل القنابل الموقوتة، والأسلحة النارية المُزَوَّدة بـ "كاتم الصَّوْت" (مثلما حدث أثناء اغتيّال ستَّة قادة فلسطينيّين في تُونس)، إلخ. ولكن بعد وصول مُكَثَّف لِيَهُود صهاينة من أصل روسي، تَبَنَّت المُخابرات الإسرائيلية تِقْنِيَّات جديدة كانت تَستعملها في الماضي بعض الأجهزة السِرِّيَة في الاتحاد السوفيتي بهدف قتل الخُصوم بشكل بطئ، مثل ***السُّمُوم، أو المواد المُسَبِّبَة لسرطان سريع، أو المُضِرَّة بالأعصاب،*** مثل مادّة نُوفِيتْشُوكْ (novitchock). وأبرز مثال على ***تِقْنِيَة الاغتيال البطيئ*** : نجد بالضَّبط ***اغتيّال رئيس "منظمة التحرير الفلسطينية"، ورئيس السُّلطة الفلسطينية، ياسر عرفات.*** وخبراء كثيرون في العالم يعلمون أن قاتل ياسر عرفات هو اِسرائيل، ولا أحد تجرّأ على مُحاكمة أو مُعاقبة إسرائيل، طبقًا للقوانين الدولية القائمة.

(39) وبارتباط بِمَا سبق ذِكره، وبعدما قَرَّرت السلطة السياسية القائمة بالمغرب «تَطْبِيع» العَلَاقات الاقتصادية، والسياسية، والأمنية، العسكرية، والثقافية، مع الكِيَّان الصهيوني، تَخْشَى بعض الحركات الثورية أن يَحدث في المغرب، خلال السنوات القادمة، تَزَايُد عَدد المعارضين السياسيّين، والمناضلين الثوريّين، الذين يَمُوتُون بشكل مُفَاجِئ وهم في سِنٍّ مُبْكِر نِسْبِيًّا، دون أن يعلم أحد لماذا تُوُفُّوا. لأن ***الأجهزة السِرِّيَة الإسرائيلية تُقَدّم لِحُلَفَائِهَا تِقْنِيَّات سَهلة وجاهزة لِتَصْفِيَة الأعداء السياسيين الثوريّين.*** فَالاحتمال الأكبر هو أن يَأْتِي «تطبيع» الدولة المغربية مع إسرائيل بمزيد من القمع، والاستبداد، والاغتيّالات، والخراب.

(40) بِمَا أن الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا يخضعان لِسَيْطَرة ***اللُّوبِي الصَّهْيُونِي،*** وبِمَا أن المغرب يعيش في إطار "التَبَعِيَة" لِلإِمْبِرْيَالِيَة، وَيَخضع لِسيطرة إمبريالية الولايات المتحدة الأمريكية، ولِسَيْطَرَة إمبريالية فرنسا، وَبِالتَّالِي، ***فَمِن المُحَتَّم أن يُصبح المغرب خَاضِعًا، هُو بِدوره، لِهذا اللُّوبِي الصَّهْيُونِي العالمي.*** وهو الأمر الذي يُعَرِّضُ المغرب لأخطار التَبَعِيَة، والنَّهب، والخراب.

خُلَاصة : المَنْطِق المُبَرِّر لِـ «التَطْبِيع» مع إسرائيل سَاذَج، وَمُتَخَلِّف. وَسَيُؤَدِّي هذا «التَطْبِيع» مع الصهيونية إلى خَرَاب المُطَبِّعِين!

وَيَمْنَحُ ضِمْنِيًّا هذا «التَطْبِيع» الشَّرْعِيَة لِلاستعمار الصهيوني، وَلِلتَطْهِير العِرقِي.

[أَنْهَى رحمان النوضة تحرير هذا الفصل في 18 ديسمبر 2020].

التعليقات على المقال السابق على الفيسبوك

(كان النشر في يوم 19 ديسمبر 2020) :

عدد الاعجابات: 28. عدد التعليقات : 2. عدد تَقَاسُمَات المقال : 10.

Elhassan Bahassane : جيّد.

Mohammed Ablal : شكرا على الاضاءة للقضية. ولن ننسى الحوار الذي كان لك مع الفقيد ابراهام السرفاتي، و الذي كانت تنشره جريدة "المسار".

4ـ دَوْلَةُ المَغْرِب هِيَ الأَكْثَرُ إِنْبِطَاحًا لِأَمْرِيكَا وَلِإِسْرَائِيل

على يَسَار الصُورة، تلْ كِلْمَانْ (Tal Kelman)، وهو رئيس القسم الاستراتيجي لمديرية التخطيط في الجيش الإسرائيلي، يلْتَقِي مع بلْخِير الفارُوق (على يمين الصورة)، وهو المفتش العام للقوات المسلحة الملكية المغربية في الرباط، في مارس 2022.

[41]) بَيَّنَتْ الزِيَّارَة الأخيرة التي قَامَ بها الرئيس الأمريكي جُو بَايْدَنْ إلى بُلْدَان الشرق الأوسط، بَيْن أَيَّام 13 و 17 يُولْيُوز 2022، أن مَمْلَكَة المغرب هي النظام السياسي العَرَبِي الأَكْثَرُ خَضُوعًا، وَإِنْبِطَاحًا، لِلْوِلَايَات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَة، وَلِإِسْرَائِيل. وَلِمَاذَا ؟

■ أَوَّلًا، لأن السعودية، والإمارات، الخ، رَفَضُوا طَلَب أمريكا الرَّامِي إلى الزِيَادَة في إِنْتَاج البِتْرُول والغَاز لِتَخْفِيف أَزْمَة الدول الغربية، الناتجة عن حَرْب أُكْرَانْيَا (التي اِنْدَلَعَت منذ فبراير 2022).

■ وَثَانِيًّا، لأن السعودية، والإمارات، وَمَصْر، وَالأُرْدُن، والعِرَاق، الخ، رَفَضُوا كُلُّهُم طَلَب أَمْرِيكَا الرَّامِي إلى إِنْشَاء «حِلْف عَسْكَرِي شَرْق أَوْسَطِي»، تُشَارِكُ فيه إِسْرَائِيل، وَيَكُون مُوَجَّهًا ضِدَّ إِيرَان.

■ بِالإِضَافَة إلى أن أمريكا هي نَفْسُهَا، رَفَضَت طَلَب إِسْرَائِيل، القَدِيم الجَدِيد، والمُتَكَرِّر، وَالمِلْحَاح، وَالرَّامِي إلى شَنّ حَرْب اِسْتِبَاقِيَة ضِدَّ إِيران، لِمَنْعِهَا من الوُصُول إلى صُنْع القُنْبُلَة الذُرِّيَة. وَلِأَنَّ مُغَامَرَة الحرب ضِدَّ إِيرَان سَتَخْلُقُ نَتَائِجَ غَيْر مُتَوَقَّعَة، وَخَطِيرَة، وَبَاهِظَة الكُلْفَة، ولا يُمكن التَنَبُّؤُ بها، ولا التَحَكُّمُ فيها.

■ وَبَدَلًا مِن اِنْزِلَاق بُلْدَان الشَرْق الأَوْسَط في عَدَاوَات سَاحِقَة، وَمُخَرِّبَة، بين بُلدان الشرق الأوسط وَإِيرَان، مِثْلَمَا تُرِيدُ إِسْرَائِيل وَأَمْرِيكَا، دَخَلَتْ السعودية، والإمارات، وَقَطَر، الخ، في مُفَاوَضَات جِدِّيَة مع إِيرَان، لِبَحْث إِمْكَانَات التَعَايُش، والتَعَاوُن، السِلْمِيَيْن.

◊ وَهكذا، فَمِن بَيْن كُلّ الأنظمة السياسية العربية، فإن المَلَكِيَة في المغرب، هي النظام السياسي الأَكْثَرُ خَوْفًا، وَخُضُوعًا، وَانْبِطَاحًا، لِأَمريكا، وَلِإِسْرَائِيل. حَيْثُ يُلَبِّي النظام السياسي المغربي كُلَّ مَا تَطْلُبُه مِنه أَمريكا وإسرائيل.

■ والمغرب هو الوحيد الذي يُنَظِّمُ فَوْقَ تُرَابِهِ مُنَاوَرَات عَسْكَرِيَة دَوْرِيَة، وَمُشْتَرَكَة، مع جَيْشَيْ أَمْرِيكَا وَإِسْرَائِيل.

■ والنظام السياسي المغربي هو الوحيد الذي ظَنَّ، بِسَذَاجَة مُتَهَوِّرَة، أنه بِإِمْكَان أمريكا وإسرائيل أن يَمْنَحَاهُ النَجَاحَ في اِنْتِزَاع شَرْعِيَة السِيَادَة على الصحراء الغربية.

■ والنظام السياسي المغربي هو الوحيد الذي قَبِلَ أن يَمْنَحَ لِلْإِسْرَائِيلِيِّين الصَهَايِنَة، كَهَدِيَة مَجَّانِيَة، وَبِدُون مُقَابِل، اِسْتِبَاحَة تُرَاب

المغرب، وَجِنْسِيَة المغرب، وَثَرَوَاتِه التِجَارِيَة، والصِنَاعِيَة، والبَنْكِيَة، والمَالِيَة، والخَدَمَاتِية، والسِيَاحِيَة، والإِعْلَامِيَة. ومنح النظام السياسي القائم في المغرب إلى الإسرائيليّين كلّ حُرِيَّات التَحَرُّك، والمُبادرة، وفي كلّ المَيَادين، إلى درجة أن الإسرائيليّين يَتَمَتَّعُون في المغرب بِحُرِيَّات لَا يَتَمَتَّع بها المُواطنون المغاربة هم أنفسهم.

■ والنظام السياسي المغربي هو الوحيد الذي يَعْتَقِدُ، بِسَذَاجَة جَاهِلَة، أن أمريكا وإسرائيل سَتُقَدِّمَان لَه، عند الضَرُورَة، وفي الفَتَرَات الحَرِجَة، المُسَاعَدَات التي يَحْتَاجُهَا.

■ والنظام السياسي في المغرب هو الوحيد الذي يَظُنُّ، بِسَذَاجَة سَخِيفَة، أنه بِإِمْكَان أَمْرِيكَا وَإِسْرَائِيل أن تَحْمِيَّاهُ مِن ثَوَرَات الشَعْب المُحْتَمَلَة.

◊ فَالنِظَام السياسي القائم في المغرب، ظَلَّ يُعَوِّلُ بِشكل مُطْلَق على دَعْم، أو حِمَايَة، أمريكا وَإسرائيل، في إِطَار النِظَام العَالَمِي ذُو القُطْبِ الوَحِيد، الذي تُهَيْمِنُ فيه الولايات المُتحدة الأمريكية على العالم. لكن مَوَازِين القِوَى العالمية تَتَغَيَّر، بِبُطْءٍ، ولكن بِثَبَات. حَيْثُ تَتَصَاعَدُ قِوَى أَقْطَاب جَدِيدة في العالم الحَدِيث، مثل الصِين، وَرُوسْيَا، والهِنْد، والبَرَازِيل، وَحَتَّى تُورْكِيَا، وَإِيرَان نِسْبِيًّا، الخ. بَيْنَمَا أمريكا وَإسرائيل أَصْبَحَتَا في حالة اِنْحِدَار، أو أُفُول، أو تَقَهْقُر. وَغَدَت أمريكا وإسرائيل تحتاجان، هُمَا أَنْفُسُهُمَا، إلى مَن يُنْقِذُهُمَا مِن هذا الأُفُول. لكن هذا الأُفُول مَحْتُوم، بِفَضْل شَجَاعَة، وَاجْتِهَاد، وَمُقَاوَمَة، وَكِفَاح، الشُعُوب الصَّاعِدَة. ولا يمكن لِأَمريكا، وَلَا لإسرائيل، وَلَا لِحُلَفَائِهِمَا، أن يَفْلَتُوا مِن هذا الاِنْحِدَار، أو الأُفُول.

[حُرِّر رحمان النوضة هذا الفصل في يوم 16 يوليوز 2022].

الـتَـعْـلِـقَـات على الـفِـيـسْـبُـوك

(في يَوم 16 يُولْيُوز 2022) :

عدد الاعجابات: 69. عدد التعليقات : 23. عد تَقَاسُمَات المقال : 27.

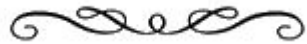

5 ـ نَقد مَفْهُوم «الشَّعْب اليَهُودِي»

42) رغم أن مُعظم مُؤسّسي الحركة الصهيونية وزعمائها كانوا «يَهُودًا»، وفي نفس الوقت «غير مؤمنين بالدّين اليهودي»، أي أنهم كانوا غير مُتَدَيّنِين، فإن هذه الحركة فضّلت استغلال الدّين اليهودي في مشروعها السياسي. واستندوا على الخصوص على كتاب "التوراة". ولماذا ؟ لأن "التوراة" تحتوي على إشارات تشجّع على الغزو الاستعماري. ولأن "التوراة" تتضمّن وصف أحداث تاريخية يمكن تأويلها على أنها «تُبرّر عَوْدَة اليهود» إلى «أرض الإله المَوْعُودَة»، «بعد نَفْيٍ دَامَ آلاف السنين» ! والغريب هو أن هذه الظاهرة تتكرّر في عدّة ديانات ! وهي أن الحركات السياسية التي تحمل مشاريع عُدوانية، أو تَوَسُّعِيَة، أو عَنيفة، أو غير عَقْلَانِيَة، غالبًا ما تلجأ إلى استغلال الدّين لِـ «تبرير»، أو لإضفاء «المشروعية» على، مشاريعها الحمقاء !

43) وقبل مجيء الحركة الصهيونية إلى أرض فلسطين، ***كانت مختلف الأديان تتعايش داخل فلسطين.*** ولَمَّا دخلت الحركة الصهيونية إلى أرض فلسطين، فرضت هيمنة الديانة اليهودية، وأَوْجَبَت إقصاء الدّيانات المخالفة. ثم فرضت الاحتلال، والاِستيطان، والاستعمار، والطّائفية اليهودية، والعنصرية، والنَّزْعَة الحربية

اللَّامُتَنَاهية. ***وأصبح أمن إسرائيل مشروطا بِدوام تخلّف، وخراب، وانحطاط، كل ما يحيط بإسرائيل.*** وتعلّمت إسرائيل أنها لا تتقوّى سوى من العدوانية، ومن الحرب، ومن نشر الخراب، والاستسلام، لدى أعدائها، أو مُنافسيها.

(44) على خلاف الكثير من الأيديولوجيات، تزعم ***الأيديولوجية الصهيونية*** أن «الشعب اليهودي» هو «شعب الإله المُختار» (le peuple élu de Dieu)، وأن أفراد هذا «الشعب اليهودي» لا يرتبطون بالضّرورة بِتُراب الوطن الذي وُلِدُوا فيه، وإنما هم «شعب عِرْقِي» (ethnique) خالص. ويرتبطون بالأرض الموعودة من طرف الإله. وأن «الشعب اليهودي»، لم يَدْخُلْهُ شخص أجنبي، ولم يذهب أحد منه إلى غيره من الشعوب. وهذا تصوّر مثالي، أو أسطوري، وينفيه التاريخ الذي يَرْوِي تَفَاعُلًا واختلاطًا مُتَوَاصِلَيْن فيما بين مُجمل الشّعوب المتجاورة، أو التي تغزو بعضها بعضًا.

(45) على خلاف مزاعم الحركة الصهيونية، لم تكن أرض "فلسطين" تحتضن الدّيانة اليهودية وحدها، بل ***كانت دائمًا تَشْمَلُ ديانات متعدّدة*** (مثل اليهودية، والإغريقية، والمسيحية، والكاثوليكية، والأرثودوكسية، ثم الإسلام، إلى آخره). ***وكانت فلسطين تحتضن إِثْنِيَّات*** (ethnies)، ***وأجناسا، وشعوبا، وثقافات مختلفة.*** وكانت

مَمَرًّا هَامًّا بين مصر وإفريقيا من جهة، ومن جهة أخرى، بلدان آسيا وأَوْرُوبَّا.

(46) تدّعي الصهيونية أن كلّ يهودي من أصل بُولُونِي، أو رُوسِي، أو أمريكي، أو عربي، أو إِثْيُوبِي، أو غير ذلك، له الحق في دخول فلسطين، واحتلالها، واستيطانها. بينما الفلسطيني الذي عاش أجداده في فلسطين، يلزمه إمّا أن يُهاجر إلى خارج فلسطين، وإمّا أن يموت بحجة أنه «إرهابي». وكل شخص أو جماعة يُقاوم هذا المشروع الصهيوني، تُصَنِّفُه فَوْرًا إسرائيل، وكذلك وَسَائِل إِعْلَام الدول الغربية الإمبريالية، بأنه «إرهابي» ! وكان دائمًا المُسْتَعْمِرُون الْأَوْرُوبِيُّون لَا يَعْتَرِفُون بِـ «الْإِرْهَاب» الذي يُمارِسُونَه هُم أَنْفُسُهُم على مُسْتَعْمَرِيهِم. بَلْ يُصَنِّفُون المُسْتَعْمَرِين الذين يُقَاوِمُونَ اِسْتِعْمَارَهُم بِأَنَّهُم «إِرْهَابِيِّين».

(47) في يوم 7 مارس 2017، صادق ***برلمان*** إسرائيل على قانون يجيز منع الدخول إلى إسرائيل على كل شخص شارك في ***الدعوة لمقاطعة سِلَع مُصَدَّرَة من «مستعمرات غير شرعية»*** موجودة في الضفة الغربية من فلسطين. والمقصود هو منع أنصار «حركة BDS» ("الحركة من أجل المقاطعة، وسحب الاستثمارات، وفرض العقوبات" على إسرائيل).

(48) تضع ***الأيديولوجية الصهيونية*** تطابقًا بين "الدّين" (اليهودي)، و"الشعب اليهودي"، و"الوطن اليهودي" (الذي تُجَسِّده في إسرائيل). ***كأنها تكتب المُعَادَلَة التَالِيَة : «الشعب اليهودي» = «الدّين اليهودي» = «الوطن اليهودي» = «فلسطين» !*** ولو أن هذا التطابق يتعارض مع العقل، ويخالف التاريخ، ويتناقض مع القانون الدولي ! ***وهؤلاء اليهود المُسْتَوْرَدِين من مُختلف مَناطق العالم، أو المُهَجَّرِين إلى فلسطين، لم تَكن تتوفّر فيهم مقوّمات «شَعب»، لأنهم أشخاص هُجّرُوا، وجُلِبُوا، من أوطان مختلفة. ولم يكن لهم تراب وطني مشترك. ولم تكن لهم لغة مشتركة، ولا تاريخ مشترك، ولا ثقافة مشتركة.*** وحينما يُصِرُّ الصّهاينة على تحويل إسرائيل إلى ***دولة «دينية»، أي «دولة يهودية»***، فإنهم يَعْنُون بذلك تحويل إسرائيل إلى دولة عُنصرية، خَاصَّة فقط بِـ «الإثنية اليهودية» ! ***ويعطونها معنى «دولة عِرْقِيّة».*** ويريدون أن تكون هذه الدولة خاصّة بجميع أشخاص العالم الذين يحملون الدّيانة اليهودية. والغريب هو أن الحركة الصهيونية تُنَفِّذُ هذا البرنامج بمساندة الدول الإمبريالية الغربية، التي تدّعي زُورًا أنها تلتزم بِـ "العَلْمَانِيَة"، وبِـ "حُقُوق الإنسان"، وبِـ "القانون الدولي" !

وإذا كان من حقّ الحركة الصهيونية أن تتحدّث عن وجود ***«الشعب اليهودي»***، وأن تدّعي أن هذا الشعب هو «مجموعة بشرية عرقية، أو إِثْنِيّة (ethnique)، منسجمة، وثابتة عبر التاريخ»، فلماذا لا يكون أيضًا من حقّ خُصوم الصهيونية، أن يُكَوِّنُوا هم أيضًا ***«الشعب المُسلم»***، وأن يكوّنوا ***«الشعب المسيحي»***، و***«الشعب البروتستانتي»***، و***«الشعب الهندوسي»***، و***«الشعب الكُنْفُوشْيُوسِي»***، ***إلى آخره ؟***

ولماذا لا تَكون «المُعَامَلَة بِالمِثْل» (réciprocité) مَشْرُوعَة حينما يَتَعَلَّق الأمر بإسرائيل ؟ وهكذا سَنُعَوِّض «الدّول ـ الأوطان» (États Nations)، بِـ «الدول الدّينية»، أو بِـ «الشعوب المُنسجمة دينيًا» ! هل هذا المَنطق سليم ؟ وما هي نتائجه ؟ وما هو مُستقبله ؟ ولماذا سيكون من حقّ الحركة الصهيونية وحدها أن ***تضع تطابقًا بين «الدّين (اليهودي)» و«الهوية الوطنية (اليهودية)»*** ؟ ولماذا لا يحق لحركات أخرى مخالفة، عبر العالم، أن تَفْعَل نفس الشيء ؟!

وبأيّ مَنْطِق تعتبر الدول الغربية أن "الإسلاميين الأصوليين الجَذْرِيّين" خطرين، أو مجرمين، وَتُحاربهم بكل الوسائل (القانونية وغير القانونية)، وَتَغْتَالُهُم الوَاحِدَ تِلْوَ الآخَر، وتزعم، في نفس الوقت، أن المستوطنين "اليهود الأُرْثُودُوكْس" (juifs orthodoxes) الغُزَاة، والمتشدّدين، مَشْرُوعِين، وَمَقْبُولِين؟ وإذا كانت الدُوَل الغربيةُ تَمْنَعُ على الإسلاميين الأصوليين، أو المتطرفين، أن يَبْنُوا مشاريعهم السياسية على أساس قراءة خاصّة للدّين الإسلامي، فَبِأَيّ منطق تُبيح الدول الغربية للحركة الصّهيونية أن تفعل الشيءَ نفسه، حيث تَبْنِي هذه الحركة الصّهيونية مشروعها الاستعماري والاستيطاني على أساس قراءة خاصة لِلدّين اليهودي ؟ أليس هذا انحيّاز، ونفاق، لَدَى الدول الغربية ؟

ونذكّر هنا أصحاب ***أطروحة «الشعب اليهودي»***، أن الفلسطينيين العرب، والفلسطينيين المسلمين، والفلسطينيين المسيحيين، وحتى بعض الأمازيغ في شمال إفريقيا، كانت نِسَبٌ هامّة منهم في التاريخ القديم تعتنق الدّيانة اليهودية. وفيما بعد، حينما جاء الدين الإسلامي، اعتنق بعضها هذا الدّين الإسلامي الجديد، إمّا كُرْهًا، وإمّا طَوْعًا. والبعض الآخر اعتنق الديانة المسيحية. فأين ذهبت هويّتهم «اليهودية» القديمة؟ وأين ذهبت «هويّتهم اليهودية» العضوية المزعومة، أو هويّتهم «العرقية»، أو «الإثنية (ethnique)»، التي لَا تَتَبَدَّل !؟ هل

تغيير «الهوية الدّينية» يُلغي «الهوية الإثنية»؟ أليس يهود فلسطين، والفلسطينيون المسلمون، أبناء أَعْمَام؟ أليست هذه «الهوية القومية اليهودية» المزعومة، هي مجرد مُعتقدات أيديولوجية، اِخْتَرَعَتها الحركة الصهيونية، وتُحاول اِسْتِغْلَالها لكي تُبرّر مشروع استعمار فلسطين؟! أليس الوضع السليم هو أن ينتمي اليهودي الروسي إلى وطن روسيا، وأن ينتمي اليهودي البولوني إلى وطن بولونيا، وأن ينتمي اليهودي الألماني إلى وطن ألمانيا، وأن ينتمي اليهودي الأمريكي إلى وطن أمريكا، وأن ينتمي اليهودي المغربي إلى وطن المغرب، وأن ينتمي اليهودي الإثيوبي إلى إثيوبيا، إلى آخره؟ هذا هو المنطق السليم، وغيره إنما يدفع نحو مغامرات ظالمة، وَكَارِثِيَة ! ويظهر أن الدول الغربية لَا تَعِي هذه الأخطار.

لكن إسرائيل تَخْرُق المنطق بِلَا اِكْتِرَاث، وتدّعي أن: «كل يهودي في العالم، سواءً كان وطنه الأصلي هو روسيا، أم بولندا، أم ألمانيا، أم المغرب، أم إثيوبيا، أم أمريكيا، إلى آخره، يحقّ له أن يدخل فلسطين، وأن يشارك في احتلالها، وفي استعماريها، وفي تحويلها إلى وطن جديد خاص بيهود العالم. ويحقّ له، في نفس الوقت، أن يُحافظ على "جنسية" بلده الأصلي الذي جاء منه. وَيُمْكِن أن يُضِيفَ إليها جنسية أُخْرَى مثل جِنْسِيَة الوِلَايَات المُتحدة الأمركية القويّة. وأن السُّكان الأصليين في فلسطين، (بِمُسْلميهم، ومسحييهم، الخ)، هم أجانب محتلّين، وأن مجرّد وجودهم داخل إسرائيل الجديدة يُجسّد فعلًا إرهابيًّا، ويهدّد أمن إسرائيل، ويحق لإسرائيل أن تطردهم إلى خارج إسرائيل» !

وفي الحقيقة، وعلى عكس ظنون الصهاينة، وعلى خلاف حتّى الحركات الإسلامية الأصولية، ***يستحيل أن تكون الدولة دينية (سواءً كان الدّين المعني هو اليهودية، أم المسيحية، أم الإسلام). وما تفعله «دولة» إسرائيل، هو أنها تستغلّ الدّين اليهودي، وهي في***

نفس الوقت، عَاجزَة على، أو رَافِضَة لِـ، الالتزام بتعاليم هذا الدّين اليهودي. فَيَظْهَر أن هذا «الدّين اليَهُودي» هو مُجَرّد خُدْعَة لِتَبْرير اِسْتِعْمَار فَلسطين. ومعظم الحركات الدّينية اليهودية الأصولية تَتَوَاطَأُ مع الحركة السياسية الصهيونية في مشروعها الاستعماري (بِاستثناء أقلّية قليلة من اليهود). وتهدف دولة إسرائيل إلى خدمة استراتيجيات استعمارية، وعنصرية، وإمبريالية. ويبقى الدّين اليهودي بريئا من هذه الاستراتيجيات السياسية.

(49) للإنصاف، يَلْزَم نَقْد اِستغلال الدّين الإسلامي من طرف بعض حركات المُقاومة الفَلسطينية. وَتَجِبُ الإشارة إلى أن بعض ***الحركات الإسلامية الأصولية*** تُقَلِّد (بدون وعي) جزءًا من التفكير الذي تعمل به الحركة الصهيونية. حيث أنها ***ترفض مفهوم «الشعب» (المرتبط بتراب وطني تاريخي)، وتُعوّضه بِمفهوم «الأمّة الإسلامية»، أي «الأمة الدّينية»، أو «الشعب الدّيني»***. وهذا مِنْهَاج في التفكير غير سليم. وقد يُؤدّي إلى اِنْحِرَافَات سياسية، أو إلى مغامرات ظالمة. والغريب هو أن أنصار الحركات الإسلامية الأصولية (مثل «حركة الإخوان المسلمين»، وتنظيم «القَاعِدَة»، و«جبهة النُصْرَة»، وكذلك «دَاعِشْ»، أي الحركة الإسلامية الأصولية التي سمّت نفسها بِـ «الدولة الإسلامية في العراق والشام»)، يَتَبَنَّوْنَ ***أطروحة «الشعب الدّيني»***، مثلما يفعل أنصار "الصهيونية". فالفكر الصّهيوني يدّعي أن كلّ يهود العالم، رغم أنهم مواطنين متواجدين داخل أوطان مختلفة، فإنهم ***يشكّلون «شعبًا واحدًا، مبنيًّا على أساس الدّين»***. وأن هذا «الشعب» يكتسب الشرعية لإقامة "وَطَن" خاص به، فوق الأرض التي يراها

مُلائمة له. ويمارس أنصار حركة «الإخوان المسلمين»، و«القاعدة»، و«دَاعِشْ»، ومن شابههم، أطروحة مماثلة. حيث أنهم يزعمون أن كل مسلمي العالم، رغم أنهم مواطنين متواجدين داخل أوطان مختلفة، فإنهم يشكّلون «شعبًا» واحدا، أو «أمّة إسلامية» متميّزة، مبنيَّة على أساس الدّين الإسلامي. وتعتقد الحركات الإسلامية الأصولية أنه يحقّ لها إلغاء حدود هذه الأوطان، ***وتوحيد مجمل المسلمين، بالقوّة، داخل «دولة خِلَافَة إسلامية»، أي داخل "وطن" دِينيّ واحد وموحّد !*** الشيء الذي سيؤدّي حتمًا إلى اِنحرافات سياسية، أو إلى مُغامرات خطيرة.

في ديسمبر 2020، مظاهرة في مدينة الرباط، أمام البرلمان، ضِدَّ تطْبِيع دولة المغرب مع إسرائيل.

(50) بعض الحركات الإسلامية الأصولية تختزل قضية فلسطين في «***مسجد القدس***» ! وتهتمّ بتحرير عقار «مسجد القدس» أكثر مِمَّا تهتمّ بمعاناة البشر الفلسطينيين، بما فيهم الفلسطينيون المسلمون، والفلسطينيون المسيحيون، والفلسطينيون الدّروز، والفلسطينيون غير المتديّنين، إلى آخره! كأن هَمَّ الحركات الإسلامية الأصولية هو فقط ***الدفاع عن الدّين، وليس هو الدّفاع عن البشر، وعن الإنسان !*** بَيْنَمَا الإِلَهُ هو أَوْلَى بِالدِّفَاع عن دِينِه، فبل أن يُدافعَ عن هذا الدِّين البَشَر المُؤْمِنِون به. الشيء الذي يُحرّف القضية الفلسطينية، ويسئ إليها.

(51) بعد «انهيار الاتحاد السّوفياتي» (في قُرابة سنة 1989)، ***اِضْمَحَلَّت (مؤقّتًا؟) تنظيمات المقاومة الفلسطينية الثورية، واليسارية، والاشتراكية*** (مثلما حدث عبر معظم بلدان العالم). فتقلّص مثلًا وزن «حركة فتح»، و«الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»، و«الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين»، إلى آخره. ثم ظهرت ***حركات فلسطينية إسلامية أصولية،*** مثل حركة «حماس»، و«الجِهَاد الإسلَامِي»، وغيرها. وتـنـبني هذه الحركات الفلسطينية الإسلامية ***على أساس الدّين الإسلامي.*** وقد زادت هذه الحركات الفلسطينية الإسلامية في تعقيد القضية الفلسطينية، دون أن تَقْدَرَ، هي وحدها، على علاجها. والمُثِير لِلتَفَاؤُل هو أنّ نِسْبَة هامّة مِن أُطُر قِيّادات حركتي "حَمَاس" و"الجِهَاد الإسلامي"، وَاعُون بهذه الْإِشْكَالِيَّات، وَيُفَكِّرُون بِمَنْطِق عَقْلَانِي، أو ديمُوقراطي، أو ثَوْرِي تَحَرُّرِي. وهم قادرون على تَلَافِي النَّزْعَة الدِّينِيَة الْأُصُولِيَة المُنْغَلِقَة.

52) حينما تُطابق الحركات الإسلامية بين «اليهودية» و«الصهيونية»، فإنها تُخطئ، وتتجاهل الواقع، وتسيء إلى مصالح الشعب الفلسطيني. لأن ***عدو الشعب الفلسطيني، ليس هو الشخص «اليهودي»، ولا هو الدّين اليهودي، وإنما هو الاستعمار الصهيوني. وصراع الفلسطينيين هو كفاح ضدّ الاستعمار، وضدّ الاستيطان، وضدّ الإمبريالية، وضدَّ الرّجْعِيَة، وليس ضدّ اليهود، أو ضدّ الدّين اليهودي.*** والدليل على ذلك، هو أن أعدادًا هامة من بين يهود العالم، يرفضون هم أنفسهم الأيديولوجية الصهيونية، بل يُقَاوِمُونَهَا، وينتقدونها، ويفضحونها. ولو أن هذه المقاومة تَقْوَى، أو تضعف، حسب الفترات التاريخية.

53) ظهر «***حزب الله***» في جنوب لبنان، في سنة 1982. وقاوم بشجاعة، وَبِدرَايَة، عدوان إسرائيل على لبنان، بين سنوات 1990 و 2006. فحظي «حزب الله» بتعاطف، أو مساندة، كثير من المناضلين العرب، أو المسلمين. وَغَدَّى «حزب الله» أحلام، أو آمال، أو طموحات، الكثير من المناضلين. لكن سرعان ما تبيّن أن الْإِفْرَاط في النَّزْعَة الدِّينِيَة (الإسلامية) قد يُؤَدِّي بِـ «حزب الله» إلى طريق مسدود. وقد يُصبح ***جزءًا من المشكل، وليس جزءا من الحل.*** لماذا؟ لأن «حزب الله» ليس حزبا مدنيا وديمقراطيا، وإنما هو «مِلِيشْيَا» (milice) مبنيّة على أساس «***الدّين***» (الإسلامي الشّيعي)، وعلى أساس «***الطائفة***» الشّيعية. ولأن قوّة «حزب الله» لا تأتي من ارتباطه بالشعب اللبناني، وإنما تأتي خُصُوصًا من دعمه المادي والعسكري من طرف

"الجمهورية الإسلامية" في إيران، على أسس دِينية. وحينما أصبح النظام السياسي لِبَشَّار الأسد (في سوريا) مُهدّدًا بالسقوط، استعملت إيران «حزب الله» لإنقاذ بشار الأسد، ولهزم المعارضة في سوريا، وَلِدَحْرِ المِيلِيشْيَات المُمَوَّلَة مِن طَرَف الولايات المتحدة الأمريكية أو إسرائيل. لكن هنا أيضًا يُوجد أمل جُزئي. لأن القِيَادَات السياسية في جمهورية إيران، وفي "حزب الله"، أَبَانَت مِرَارًا على أنها ***قادرة على التَفْكِير بِمَنْطِق عقلاني (وليس بمنطق دِيني)، وقادرة على تَلَافِي السُقُوط في اِنْحِرَافَات سياسية نَاتِجَة عن التَسَرُّع، أو الغُرُور، أو الْاِفْرَاط في الحَمَاس الدّيني.*** وَحَيْثُمَا كان المَنْهَج الغَالِبُ عَقْلَانِيًّا، تَقِلُّ بالضَّرورة الانحرافات السياسية.

54) من المؤسف أن بعض الحركات ***الأمازيغية بالمغرب،*** تظنّ أن الدفاع عن القضية الأمازيغية يتطلّب بالضرورة «***العداء لكلّ ما هو عربي***»[4] ! وتعتبر بعض الحركات الأمازيغية أن أَيْدِيُولُوجِيَة «القَوْمِيَة العربية» هي السبب في تَدَهْوُر الثقافة واللغة الْأَمَازِيغِيَّتَيْن. فتلجأ بعض الحركات الأمازيغية إلى رفض التضامن مع القضية الفلسطينية، بل تتّهم كلّ من يتضامن مع الشعب الفلسطيني بكونه «قَوْمَجِيًّا» (تهكُّمًا على مفهوم «القومية العربية»)، وتعتبره «عَدُوًّا للأمازيغ»[5]! وسلوك هؤلاء الحَرَكِيّين الأمازيغ يسقط في صنف من «العُنصرية». ولا

(4) أُنْظُـــر مقال رحمـــان النوضـــة، نَـــقْد الحَرَكَـــات الأمازيغية : https://livreschauds.wordpress.com/2020/03/06/نَقد-الحركات-الأمازيغية/

(5) https://livreschauds.wordpress.com/202%3/06/نَقد_الحركات_الأمازيغية/

يُدرك هؤلاء الحَرَكِيّين "الأمازيغ العنصريّين" أن سبب تضامننا مع الشعب الفلسطيني، ليس هو انتماءنا إلى «إِثْنِيَّة (ethnie)» عربية، ولا إلى «قبيلة»، أو إلى «طائفة» معيّنة، وإنما هو فقط رفضنا للظّلم! تمامًا مثلما نتضامن مع شعوب أخرى كثيرة مظلومة عبر العالم، سواء كانت في فتنام، أو في جنوب إفريقيا، أو نِيكَارَاغْوَا، أو الشِّيلِي، أو غيرها ! وقد جاء في دراسة جيّدة: «أن تجنيد المُوسَاد لمسلمين، وعرب، وأمازيغ، ومسيحيين شرقيين، نساءً ورجالاً، أمر معتاد»[6].

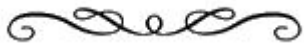

(6) ورد هذه المعلومة في دراسة تحت عنوان: "بصدد الصهيونية"، لِـ لِيلْيَانَا كُورْدُوبَا وآخرين، في مجلة "التحرر"، العدد 5.

6- تَجْنِيسُ الإِسْرَائِيلِيِّين مِنْ أَصْلٍ مَغْرِبِي جَرِيمَةٌ

55) في 10 ديسمبر 2020، وَقُبَيْلَ خُرُوجِه من البَيْت الأَبْيَض بِقَلِيل، أَعْلَنَ الرئيس الأمريكي دُونَالْد تْرَامْبْ (D. Trumpe)، عَبْرَ عِدَّةِ تَغْرِيدَات على تَطْبِيق "تْوِيتَرْ"، أن الولايات المُتّحدة الأمريكية أَصْدَرَت مَرْسُومًا رِئَاسِيًّا «تَعْتَرِفُ» فيه بِسِيَّادة المغرب على الصحراء الغَرْبِيَة. وَمُقَابِل ذلك، أَقْدَمَت دولةُ المغرب على «تَطْبِيع» عَلَاقَاتِهَا مع إِسْرَائِيل. وَأَكَّد الديوَان المَلَكِي، وَوِزَارَة الخَارِجِيَة المغربيَّان، صِحَّةَ إِبْرَامِ هذه الاِتِفَاقِيَة. وَجَرَى تَوْقِيع «التَطْبِيع» بين دولة المغرب ودولة إسرائيل في ديسمبر 2020، تحت رِعَايَة الولايات المُتّحدة الأمريكية. وأصبح المغرب خَامِس دولة عربية «تُطَبِّعُ» عَلَاقَاتها مع إسرائيل بعد مصر (في سنة 1979)، والأردن (1994)، والإمارات (2020)، والبحرين (2020)، والسودان (2020). وَيَتَضَمَّنُ عَقْدُ «التَطْبِيع» جَوَانِبَ دِبْلُومَاسِيَة، واقتصادية، وَمَالِيَة، وَتِكْنُولُوجِيَة، وَعَسْكَرِيَة، وَمُخَابَرَاتِيَة، وَأَمْنِيَة، وَسِيَاحِيَة، وَرَحَلَات جَوِّيَة. وَعَبَّرَ الاتحاد الأوروبّي، والأمين العام للأمم المُتَّحِدَة، أن اِتِّفَاقِيَة «التَطْبِيع» بين المغرب وإسرائيل لَا تُغَيِّرُ شَيْئًا في مواقف الأُمَم المُتَّحِدَة تُجَاه النِزَاع حول قَضِيَة الصحراء الغربية. وَمِن بَيْن الدول العربية الخَمْسَة (مصر، الأردن، الإمارات، البحرين، السُودَان،) التي سبق لها أن «طَبَّعَت» بِشَكْل مِنَ

الأَشْكَال علاقاتها مع إسرائيل، نَجِدُ أن دولة المغرب هي التي ذَهَبَت أكثر عُمْقًا في اِنْبِطَاحِهَا لِتَنْفِيذ رَغَبَات وَمَصَالِح إسرائيل.

والمَقْصُود هُنَا بِعِبَارَة «***التَطْبِيع***» (naturalisation) مع إِسْرَائِيل، هو تَحْوِيل العَلَاقات معها مِن الخِلَاف، أو الشِّقَاق، أو المُقَاطَعَة، أو المُخَاصَمَة، أو المُقَاوَمَة، أو النِزَاع، إلى علاقات قانونية، وَمُبَاحَة، وَعَادِيَة، وَمَأْلُوفَة، وَمُشَابِهَة لِلْعَلَاقات مع مُجْمَل دُوَل العَالَم التي تَرْبِطُنَا معها علاقات تَرَابُط، أو تَعَلُّق، أو تَوَاصُل، أو تَعَاوُن، أو تَكَامُل.

وَمَعْنَى «***الجِنْسِيَّةُ***» (*nationality*)، *أو التَجْنِيس* (*naturalization*)، هو الصِّفة التي تَلْحَقُ بِالشَّخْص من جهة اِنْتِسَابِه لِشَعْب، أو وَطَن، أو أُمَّة، أو دَوْلَة. وَ«الجِنْسِيَة» عَلَاقةٌ قانونيةٌ تربط فرداً معيَّناً بِدَوْلَةٍ مُعيَّنةٍ. وقد تكون «الجِنْسِيَة» أَصِيلةً، أو مُكْتَسَبَة. وَيُفْتَرَضُ في «الجِنْسِيَة» أَنَّهَا تُوَفِّرُ، أو تَضْمَنُ، لِمُخْتَلَف المُواطِنِين الحَامِلِين لِهَذه الجِنْسِيَة، تَطَابُقًا، أو مُسَاوَاة، في وَاجِبَات، وَفي حُقُوق المُوَاطَنَة. وَمَعْنَى «تَجَنَّسَ»، هو صَارَ مُتَجَنِّسًا بِجِنْسِيَّةٍ أَجْنَبِيَّةٍ، أَيْ أنه تَجَنَّسَ بِجِنْسِيَّةِ بِلَادٍ أُخْرَى غَيْرِ بِلَادِهِ الأصلية.

وَقَدْ تَفَاجَأَ مُجْمَل أفراد شَعْب المغرب بِإِعْلَان هذه الاتفاقية. خاصّةً وأن بعض اِسْتِطْلَاعَات الرَأْي كانت قد أَشَارَت إلى أن أكثر من 90 % من شَعْب المَغْرب يُعَارِضُون بِحَزْم «التَطْبِيع» مع إسرائيل. بَل يَشْعُرُ المَغَارِبَة بِـ «التَطْبِيع» كَخِيَّانَة لِشَعْب فَلَسْطِين المَظْلُوم.

وَتَظْهَر هذه الاتفاقية «المُطَبِّعَة» مع إِسْرَائِيل، مِثْلَ مُقَايَضَة «اِعْتِرَاف» أمريكا بِـ «مَغْرِبِيَة الصحراء الغَرْبِيَة»، مُقَابِل «التَطْبِيع» مع إِسْرَائِيل المُعْتَدِيَة. وَتَبْدُو هذه الاتفاقية كَأَنَّهَا نَتِيجَة لِدِفَاع «وَطَنِي» عَنِيد لَدَى السُلْطَات السِيَاسِيَة في المغرب عَنْ «مَغْرِبِيَة» الصحراء الغَربية. بَيْنَمَا ***«تَطْبِيع» النظام السياسي المغربي مع إِسْرَائِيل كَانَ سَيَحْدُثُ حتّى لَوْ لَمْ يُوجَد النِزَاعُ حَوْلَ قَضِيَة الصَّحْرَاء الغَرْبِيَة. بَلْ اِتِفَاقِيَة «التَطْبِيع» هي في الوَاقِع تَحَايُل، وَاسْتِغْلَال لِلنِّزَاع حول***

الصحراء الغربية، بهدف تَبْرِير الْاِرْتِمَاء الْاِسْتْرَاتِيجِي التَامّ في التَبعِيَة لِلْإِمْبْرِيَالِيَة الأَمْرِيكِيَة، ولإِسْرَائِيل. لأن النظام السياسي في المغرب يُدْرِكُ أن غَالِبِيَة أَفْرَاد الشعب، في قَرَارَة أَنْفُسِهِم السِرِّيَة، يَرْفُضُون هذا النظام السياسي الاستبدادي، وَيَنْتَظِرُون المُنَاسَبَة المُلَائِمَة لِتَغْيِيرِه. لِذَلِك نَرَى ***النظام السياسي المغربي يَخَاف مِن ثَوْرَة الشَعْب المُحْتَمَلَة، وَيَبْحَثُ عن حِمَايَة مُفْتَرَضَة مِن طَرف الإِمْبْرِيَالِيَّات الغَرْبِيَة وَإِسْرَائِيل.*** وَلَا يُدْرِكُ كَثِير من المُواطنين المَغَارِبَة البُسَطَاء كَمْ أَنَّ طَبَقَة المُسْتَغِلِّين الكِبَار في المغرب، التَبَعِيِّين لِلْإِمْبْرِيَالِيَة، تَجْعَلُهُم مَصَالِحُهُم الرَأْسَمَالِيَة مُسْتَعِدِّين إلى خِدَاع الشَّعْب، وإلى خِيَانَة الوَطَن، بِهَدَف تَنْمِيَة أَرْبَاحِهِم الخُصُوصِيَة، مِنْ خِلَال تَعْمِيق عَمَالَتِهِم لِلْإِمْبْرِيَالِيَة الغَرْبِيَة، وَلِإِسْرَائِيل.

وَبَعدما اِتَّخَذَت السُلْطَة السياسية بِالمَغْرِب قَرَار «تَطْبِيع» العَلَاقات بين دولة المَغرب ودولة إسرائيل، دُونَ اِسْتِفْتَاء شَعْب المَغْرِب، وَدُونَ تَصْوِيت البَرْلَمَان، وَدُونَ حتّى إِخْبَار أَوْ إِشْرَاك الحُكُومَة الشَكْلِيَة في اِتِّخَاذ هذا القَرَار، أخذ بعض المسؤولين في الدولة، أو بعض مؤسّسات الدولة، المُنَاصِرِين لِأَمْرِيكَا وَلِإسرائيل، يَتَصَرَّفون كَأَنّه «***يَحِقُّ لِلْإِسْرَائِيلِيِّين مِن أصل مغربي أن يَحْمِلُوا جِنْسِيَة مُزْدَوَجَة، إسرائيلية ومغربية***». أو كَأَنّ «***الجِنْسِيَة المَغْرِبِيَة لَا تُفْتَقَد، بَلْ تَبْقَى أَبَدِيَة***»، مَهْمَا فَعَلَ الشخص الحَامِل لهذه الجِنْسِيَة المَغْرِبِيَة. أو كَأنه «***يَحِقُّ لِلْإِسْرَائِيلِيِّين مِن أَصْل مَغْرِبِي أن يَحْصُلُوا أُتُومَاتِيكِيًّا على الجِنْسِيَة المَغْرِبِيَة، وَعلى كُلّ حُقُوقِهَا***». وَفي هذا القول، لا أنطلق مِن مَراجع قانونية، وإنما أنطلق مِن تَعَامُل أجهزة دولة المغرب مع «الإسرائيليّين مِن أصل مغربي». وهذه المَزَاعِم هي مُغالطَات، وتَزْوِير، وَتَحَايُل على القانون، وتحريف لِدُستُور المغرب. بَلْ هي خَطِيئَة كُبْرَى مُرْتَكَبَة ضِدَّ شعب المغرب المَقْهُور، والعَاجِز حَالِيًّا على النَقْد، وَعَلى المُقَاوَمَة.

وَلَا يُوجَد شيء في قانون المغرب، وَلَا في دُسْتُوره، يَسْمَح لِلْمَسْؤُولِين في دولة المغرب بِأن يَمْنَحُوا جِنْسِيَة المغرب لِأَشْخَاص إِسْرَائِيلِيّين، حَتَّى وَلَوْ اِدَّعَوْا أنهم «مِن أَصْل مَغْرِبِي».

وَمُنْذُ سَنَوَات 1960، وَمُنْذُ أن اِنْدَمَجَ هؤلاء «اليَهُود مِن أَصْل مَغْرِبِي» في إِسْرَائِيل الاِسْتِعْمَارِيَة، والعُنْصُرِيَة، والتَوَسُّعِيَة، وَمُنْذُ أن اِعْتَنَقُوا المَشْرُوع الصَّهْيُونِي الاِسْتِيطَانِي في فَلَسْطِين المُحْتَلَّة، فَقَدُوا قَانُونِيًّا جِنْسِيَتَهُم المَغْرِبِيَة، وَأَصْبَحُوا أَجَانِب، بَلْ غَدَوْا مُجْرِمِين، وَأَعْدَاء لِشَعْب فَلَسْطِين، وَلِشَعْب المَغْرِب، وَلِكُلّ شُعُوب العَالَم التَوَّاقَة لِلحُرِّيَة، والاستقلال، والديموقراطية، والعَدَالَة، وَحُقُوق الإِنْسَان.

وَحِينَمَا يَمْنَحُ حُكَّام المغرب «الجِنْسِيَة» المغربية لِإِسْرَائِيلِيّين، بِدَعْوَى أنهم «مِن أَصْل مَغْرِبِي»، فإنهم لَا يَشْتَرِطُون تَخَلِّيَ هؤلاء اليَهُود المُتَصَهْيِنِين عن جِنْسِيَتِهِم الإسرائيلية، بَلْ يَقْبَلُون بِأَن يَبْقَوْا مُوَاطِنِين مُجَنَّدِين في خِدْمَة إِسْرَائِيل، وَفي خِدْمَة مَشَارِيعِهَا الاِسْتِيطَانِيَة والاِسْتِعْمَارِيَة. بِمَعْنَى أن حُكَّام المغرب لَا يَرَوْا أَيَّ تَنَاقُض بَيْن حَمْل الجِنْسِيَة الإسرائيلية، وَحَمْل الجِنْسِيَة المَغْرِبِيَة، كأنّ دَوْلَة المَغْرِب تَتَشَابَهُ، أو تَنْسَجِم، مَع دولة إسرائيل.

وَيَشْعُرُ كثيرون مِن مُوَاطِنِي المَغْرِب بهذا «التَطْبِيع» بين دولة المغرب ودولة إسرائيل، كَأَنّ حُكَّام المغرب الحالِيّين ***بَاعُوا وَطَنَ المغرب إلى أَمْرِيكَا، وَإلى إسرائيل، مُقَابِلَ الحُصُول على مُسَانَدَة، أو على حِمَايَة، مَوْعُودَة، لكنّها وَهْمِيَة. وَيُحِسُّ بعض مُوَاطِنِي شَعْب المَغْرِب كَأَنّهم تَعَرَّضُوا لِلْخِيَانَة، وَأَنَّ المَغْرِبَ فَقَدَ اِسْتِقْلَالَه، وَأَضَاعَ سِيَادَتَه. وأن المَغرب أَصْبَحَ مَحْمِيَة إِسْرَائِيلِية أَمْرِيكِيَة، وَفَرِيسَة مُخْتَرَقَة، وَمُسْتَبَاحَة، مِن طَرَف الشَرِكَات، والمُؤَسَّسَات، والمُخَابَرَات، التَابِعَة لِلدُّوَل الإِمْبِرْيَالِيَة الغَرْبِيَة، وَلِإِسْرَائِيل.***

ولماذا كُلّ هذا الهَذَيَان السياسي ؟

◊ لأنه ***لَا تُوجد في قوانين المغرب بُنُود تُـبَرِّرُ المَنْحَ الأُوتُومَاتِيكِي لِلجِنسية المغربية لِمُواطني دولة أجنبية،*** وَلَوْ كانت هذه الدولة هي إسرائيل. [وَهُنَا نَدْعُو الأَسَاتِذَة الجَامِعِيّين المَغَارِبَة، والبَاحِثِين الأَكَادِيمِيّين، المُتَخَصّصِين في القانون العام، وفي القانون الدُسْتُورِي، وَغَيْرِهِمَا، والغَيُورِين على وَطَنِهِم، والمُحِبّين لِلْعَدَالَة المُجْتَمَعِيَة، إلى التَعْبِير عن آرَائِهِم، وَإِلَى التَعْرِيف بِاجْتِهَادَاتِهِم، وَإلى نَقْد هذه الانحرافات الخَطِيرَة، التي يَنْزَلِقُ فيها بعض حُكَّام المَغْرِب، المُنَاصِرِين لِلصَهْيُونِيَة، والمُسْتَلَبِين مِن طرف أَوْثَان الرَأْسَمَالِيَة، والإِمْبِرْيَالِيَة].

◊ ولأنه، حتّى إذا مَا أَسْرَعَ بعض حُكّام المغرب (المُناصرين لإسرائيل)، فيما بَعْدُ، إلى وَضْعِ ***قَوانين جديدة،*** «تُبيح مَنح الجنسية المغربية لِبعض مُواطني دُوَل أَجنبيّة مِثل إسرائيل»، فإن ***هذا الإجراء سيكون في تناقض مع مَفَاهِيم «الأُمَّة»، وَ«الدَوْلَة»، وَ«الوَطَن»، و«الشَّعْب»، و«المُوَاطنة»، كما هي مُتَعَارَفٌ عليها عَالَمِيًّا.***

◊ ولأنه ***لَا يُعقل أن يكون لِشَخص واحد، وفي نفس الوقت، وَلَاءٌ صَادِق، وتَامّ، لِـ «وَطَنَيْن»، هُمَا مُتَبَاعِدَيْن، ومُتَنَاقِضَيْن،*** واحد منهما هو المَغْرِب المُتَوَاضِع والمُسَالِم، والثاني هو إسرائيل المُتَمَيِّز بِكَوْنِه غَازِيًا، وَمُحْتَلًّا، وَاِسْتِعْمَارِيًّا، وَعُنْصُرِيًّا، وَاِمْبِرْيَالِيًّا.

◊ ولأنه ***مِن المُستحيل أن يلتزم أي يَهُودِي مُتَصَهْيِن (juif sioniste)، ولو كان مِن أصل مغربي، بالوَلَاء لِـ «وَطَن المغرب» !***

◊ ولأن ***كلّ يهودي صَهْيُونِي، هو بالضرورة جُنْدِيّ في الجيش الإسرائيلي*** (بِمَعْنَاه العَامّ)، ***وَعُضْوٌ فَاعِل في إِحدى أَجْهِزَة دَوْلَة إِسْرَائِيل، وَعَمِيل لِإِحْدَى أَجْهِزَة المُخَابَرَات الإسرائيلية*** (مثل «المُوسَاد»، أو «الشَابَاك»، أو «الشِينْ بِيتْ»، الخ).

◊ ولأنه ***كُلَّمَا مَنَحَت دولة المغرب الجِنْسِيَة المغربية لِـ «يَهُودي إسرائيلي مِن أصل مغربي»، فَإِنها تَمْنَحُ في الوَاقِع هذه الجِنْسِيَة المَغْرِبِيَة لِجُنْدِي إِسرائيلي، وَلِعَمِيل في إِحْدَى أَجْهِزَة المُخَابَرَات، أو***

في التَنْظِيمَات الإسرائيلية. وهكذا سَتَكُون دولة المغرب تُسَاعِدُ الغُزَاة الصَهَاينَة على التَسَرُّب داخِلَ وَطَن المغرب، وَتُعَاوِنُهُم على اِحْتِلَاله، وَالتَحَكُّم في مَصيرِه، وَالتَلَاعُب بمَصيرِه، وَالسَطْو على ثَرَوَاته. أَلَيْسَ هذه غَلْطَة سيّاسية ؟

◊ وَلأن ميزَة إِسْرَائِيل، هي أنها كُلُّهَا كِيَّان عَسْكَرِيّ، وكُلُّهَا مَنْظُومَة عَسْكَرِيَة، وَهَدَفُهَا الوَحِيد، وَالدَّائِم، هُو الغَزْو، والتَوَسُّع، والاِحْتِلَال، والاِسْتِيطَان، والعُنْصُرِيَة، وَالاِسْتِغْلَال، والقَهْر، وَالقَتْل، وَالتَخْرِيب، والتَطْهِير العِرْقِي، وَطَرْد أو إِبَادَة كُلّ الإِثْنِيَّات (éthnies) المُخَالِفَة لِلطَّائِفَة اليَهُودِيَة المُتَصَهْيِنَة. وَوَرَاء إِسْرَائِيل، تَخْتَبِئُ الإِمْبِرْيَالِيَّات الغَرْبِيَة. ولَا يَقْدِرُ الحُكَّام العَرَب الرِجْعِيّين، والمُسْتَبِدّين، والعُمَلَاء لِلْإِمْبِرْيَالِيَة، على إِدْرَاك هذه الطَبِيعَة المُمَيّزَة لِـإِسْرَائِيل.

◊ ولأن كل شَخْص إِسْرَائِيلِي، وكلّ يَهُودِي مُتَصَهْيِن، حَتّى وَلَوْ كان مِن أَصْل مَغْرِبِي (أو مِن أَصْل عَرَبِي آخر)، هُوَ بِالضَّرُورَة أَجْنَبِي عَن المَغْرِب، بَلْ هُوَ مِن بَيْن أَعْدَاء شَعْب المَغْرِب، وَمِن ضِمْن أَعْدَاء كُلّ شُعُوب العَالَم التَوَّاقَة إلى الحُرِّيَة، والدِّيمُوقْرَاطِيَة، والتَحَرُّر، والعَدْل، والاِسْتِقْلَال، وَحُقُوق الإِنْسَان.

◊ وَلِأَنّه، يُمْكِن أن نَجْزِم، أن ***كُلّ شَخص يُنَاصِرُ إِسْرَائِيل، أو يُنَاصِرُ الصَهْيُونِيَة، وَمَهْمَا كَان دِينُهُ، وَمَهْمَا كَانَت الجِنْسِيَة (nationality) التي يَحْمِلُهَا، هُو عَدُوّ لِكُل شُعُوب العَالَم، وليس فقط لِشَعْب فَلَسْطِين المَقْهُور.*** وَعَلَيْه، فَإِن مَنْح جِنْسِيَة المَغْرِب لِأَشْخَاص إِسْرَائِيلِيّين، أو مُتَصَهْيِنين، هو تَجْنِيسٌ (بِمَعْنَى مَنْح الجِنْسِيَة) لِـأَعْدَاء شعب المَغْرِب، وَلِـأَعْدَاء بَاقِي شُعُوب العَالَم. فَلَا يَحِقُّ لِأَيّ قَانُون وَضْعِي، وَلَا لِأَيّ دُسْتُور، وَلَا لِـأَيَّة إِدَارة مِن إِدَارَات الدولة، لَا في بلاد المَغرب، وَلَا في غَيْرِه، أَنْ يُبِيحَ مَنْحَ الجِنْسِيَة لِأَشْخَاص مِن إِسْرَائِيل، أو مُنَاصِرِين لِلصَّهْيُونِيَة. وَكُلّ مَن يُدَافِع عن عَكْسِ ذلك، فَهُوَ إِمَّا مُرْتَزِق، أَو خَائِن، أَوَ عَمِيل، بَلْ عَدُوّ لِكُل شُعُوب العالم.

◊ زِدْ على ذلك أنه، لَا يُؤمن بِإمكانية وُجُود وَلَاء شخص يَهُودِي مُتَصَهْيِن لِصَالِح دَوْلة أخرى غير إسرائيل، سِوَى مَن هُو غَارق في السَّذَاجَة، ولا يَفْقَهُ شيئًا في السياسة العَامَّة، وَلَا في الصِّرَاعَات الجارية في الواقع العَالَمِي الحَالِي.

◊ وَزِدْ على ذلك، أن «مُوَاطِنِي» الكِيَان الإسرائيلي تَلَقَّوْا تَكْوِينَات مُتَعَدِّدَة وَمُتَنَوِّعَة، تَفُوق بِدِقَّتِهَا، وَجَوْدَتِهَا، وَعُدْوَانِيَتِهَا، التَكْوِينَات التي يَتَلَقَّاهَا عَادَةً «مُوَاطِنُو المغرب» المُضْطَهَدِين، والمَحْرُومِين مِن أَيّ تَكْوِين أو تَثْقِيف عُمُومِي رَزِين.

◊ وَزِدْ على ذلك أن «مُوَاطِنِي إِسْرَائِيل» هُم مُنَظَّمُون في عِدّة تَنْظِيمَات مُتَعَدِّدَة وَمُتَنَوِّعَة، سِرِّيَة وَعَلَنِيَة، مُتَرَابِطَة وَمُتَكَامِلَة، بينما «مُوَاطِنِي المَغْرِب» هُم مَقْمُوعُون، ومُضْطَهَدُون، وَمُشَتَّتُون، وَمَمْنُوعُون مِن حَقّ التَنْظِيم السِيَاسِي، وَمِن مُجْمَل بَاقِي الحُقُوق السياسية. حيث يَبْقَى «مُوَاطِنُو المَغْرِب» مُتَفَرّقِين كَأَفْرَاد، وَضَعِيفِين، وَمَغْلُوبِين، بَيْنَمَا الإِسْرَائِيلِيُّون يَتَحَرَّكُون كَدَوْلَة مُوَحَّدَة، وَكَجَيْش مُوَحَّد وَمُنْضَبِط، وَكَتَنْظِيمَات إِسْرَائِيلِيَة سِرِّيَة مُحْكَمَة. وفي مثل هذا الإِطَار، سَيَهْزِمُ حَتْمًا الإسرائيليّون («مِن أَصْل مَغْرِبِي») بَاقِي «مُواطني المغرب» غَيْر المُنَظَّمِين، أو المُتَفَرّقِين، وذلك في جميع المَيَادِين. وهكذا، سَيُصْبِح «مُوَاطِنُو المَغْرِب» يَشْتَغِلُون كَمُسْتَغَلّين، أو كَعَبِيد، لَدَى «إسرائيليّين من أصل مَغربي». وهكذا فَإِنَّ تَفْعِيل «التَطْبِيع» مع إسرائيل غَبَاء سياسيا.

◊ وَكُلُّ مَنْ يَسْمَحُ لِأَشْخَاص يَحْمِلُون جِنْسِيَة إسرائيل بِالدُخُول إلى المَغْرِب، وَيَمْنَحُهُم الجِنْسِيَة المَغْربية، وَيُعْطِيهِم حُقُوق الجِنْسِيَة المغربية، فَهُوَ «كَمَنْ يُدْخِلُ ذِئَابًا في حَظِيرَة غَنَم». حَيْثُ أن هؤلاء الإسرائيليّين، المُكَوَّنِين تَكْوِينًا دَقِيقًا، سَيُنَافِسُون، وَسَيَسْحَقُون المُوَاطِنِين المَغَارِبَة، في جَمِيع الميادين الاقتصادية، والصِنَاعِيَة، والتِجَارِيَة، والخَدَمَاتِيَة، والبَنْكِيَة، والمَالِيَة، وَالمُخَابَرَاتِيَة، والتَجَسُّسِيَة،

والإعْلَامِيَة، الخ. ولأن المُواطنين المغاربة غير مُهَيَّئِين لِمُواجهة الصهاينة الإسرائيليّين، أو لِمُقَاوَمتهم، أو لِمُواجهتهم.

◊ وَزِدْ على ذلك أنه، إذا مَنَحَت السُلُطَات السِيَاسِيَة في المَغْرِب، ***الجنْسِيَة المَغْرِبِيَة «لِلإِسْرَائِيلِيّين مِن أَصْل مَغْرِبِي»، فَمِن المُحْتَمَل أنها سَتَجُودُ عَلَيْهِم أَيْضًا بِحُقُوق وَامْتِيَّازَات إِضَافِيَة خَارِقَة، تَجْعَلُهُم فَوْقَ القَانُون المغربي، وَفَوْقَ المُرَاقَبَة، وَفَوْقَ المُحَاسَبَة، وَفَوْقَ المُوَاطِنِين المَغَارِبَة البُسَطَاء.***

◊ وَ يَتَسَابَقُ بعض المسؤولين في دولة المغرب، وَيَتَهَافَتُون، لِتَقْدِيم اِمْتِيَازَات خَارِقَة إلى «إسرائيليّين مِن أصل مغربي»، وَيُعَامِلُونَهُم كَضُيُوف مُمْتَازِين، وفي نَفْس الوَقْت، يَتَشَدَّدُ هؤلاء المسؤولين في دولة المَغْرِب في حِرْمَان المُوَاطِنِين المَغَارِبَة مِنْ حُقُوق المُوَاطَنَة، وَلَوْ كَانَت هذه الحُقُوق مَنْصُوص عليها في دُسْتُور البِلَاد.

◊ وَهَكَذَا فإن ***النظام السياسي القائم في المغرب، بِمَا يُمَارِسُه مِن اِسْتِبْدَاد، وَاضْطِهَاد، وَقَمْع، يُحَوّلُ المُوَاطِنِين المَغَارِبَة إلى أَجَانِبَ مَقْهُورِين دَاخِلَ وَطَنِهِم، وَيَقْلِبُ الأَجَانِب الإسرائيليّين، والمُسْتَغلّين الغَرْبِيّين، إلى مُواطِنِين مَغَارِبَة، أَصْحَاب حُقُوق مُدْهِشَة، وَذَوِي اِمْتِيَّازَات خَارِقَة، لَا تَحُدُّهَا لَا أَعْرَاف وَلَا قَوَانِين.***

◊ وحتّى إذا اِفْتَرَضْنَا جَدَلًا، إمكانية وُجود أشخاص يَهُود، يَحْمِلُون «جِنْسِيَة مُزْدَوَجَة»، إسرائيلية ومغربية، ويَحْمِلُون وَلَاءًا مُزْدَوَجًا لِإسرائيل وللمغرب، فإن هؤلاء الأشخاص سَيُفَضّلُون في كلّ حِين، وَبِدُون أَدْنَى تَرَدُّد، خِدْمَة إسرائيل على خِدْمَة المغرب. ولماذا؟ لأن العَقِيدة الصَّهْيُونِيَة مَبْنِيَة على أساس ***أَيْدِيُولُوجِيَة دِينِيَة مُتَطَرِّفَة وَمُقَدَّسَة.*** وَلِأَن إيمَان هؤلاء الأشخاص بالصَّهْيُونِيَة يجعلهم يُفَضّلُون دَائِمًا خِدْمَة المشاريع الصهيونية الاستعمارية على أيّ شيء آخر.

◊ والعالم كله يعرف، ومنذ زمان، أن ***كل يهودي مُناصر للصهيونية، يُصبح بالضرورة مُجْبَرًا على العمل كَجُنْدِي مُجَنَّد***

لِخِدْمَة الأجهزة العَسْكَرِيَة، أو المُخابراتية الإسرائيلية (المُوسَاد، الشَابَاك، الشِينْ بِيتْ، الخ)، وَلِخِدمة الدولة الإسرائيلية وَجَيْشِهَا.
والاعتقاد بعكس ذلك هو جَهْل فَظِيع، أو سَذَاجَة سياسية.

◊ وَبَعْدَ «تَطْبِيع» دولة المَغْرِب مع إسرائيل، يَزْعُم بعض المسؤولين في دولة المغرب، أن «مَوْقِف الدّولة المغربية القَدِيم تُجَاهَ الشَّعْب الفلسطيني لم يَتَغَيَّر». بينما في الواقع، ***يَسْتَحِيل الجَمْع بِصِدْقٍ بين مُتَنَاقِضَيْن، هما من جهة أُولَى مُسَانَدَة الشعب الفَلَسْطِينِي المُسْتَعْمَر، والمَقْهُور، وَمِن جِهَة ثَانِيَة «تَطْبِيع» العَلَاقَات مع إسرائيل المُسْتَعْمِرَة، والظَّالِمَة.***

◊ وَإِذَا مَا قَامَ النظام السياسي بالمغرب، بِسَخَاء مُصطنع، في ***مَنْح الجنسية المغربية لبعض «الإسرائيليّين مِن أَصْل مَغْرِبِي»***، فإنه لَا يُوجد في مَنح هذه «الجِنْسِيَة المُزْدَوَجَة» لِـ «إسرائيليّين من أصل مغربي» أيّ إجراء مُتَبَادَل (réciprocité). وهذه الرَّغبة المُتَهَافِتَة في منح اِمْتِيَّاز حَمْل الجنسية المغربية إلى «إسرائيليّين من أصل مغربي»، تُخْفِي وَرَاءَهَا ***وَاقع حِرْمَان أبناء الشعب الفلسطيني مِن حَمْل أيّة جِنْسِيَة*** مَهْمَا كَانت، لَا الجنسية الإسرائيلية، ولَا الجنسية الفلسطينية، وَلَا الجِنْسِيَة المَغْرِبِيَة ! لأن الكِيَّان الإسرائيلي الصَّهْيُونِي اِسْتَعْمَرَ وَطَنَ الفلسطينيّين، وطردهم منه، وَمَنَعَ عليهم حمل أية جنسية، سواءً كانت جنسية الكِيَّان الإسرائيلي، أم الجنسية الفلسطينية. وإذا كان النظام السياسي في المغرب مُتحمّسًا لِمَنْح «الجنسية المغربية» لبعض «مُواطِنِي إسرائيل»، فَمَنْ يَتَفَضَّل بِمَنْح أيّة جنسية كَانت لِلفلسطينيّين، المَنْزُوعِين مِن وَطَنِهِم ؟ وَمَنْح الجنسية المغربية لِـ «مواطنين إسرائيليّين مِن أصل مغربي»، هو تَكْرِيسٌ لِحِرْمَان الفلسطينيّين مِن أيّة جِنْسِيَة ! أو بِعِبَارَة أخرى، سَتُصْبِحُ هكذا دولة المغرب شَرِيكَة في اِرْتِكَاب الجَرَائِم التي يَقُوم بها الكِيَّان الصَهْيُونِي ضدّ الشعب الفلسطيني.

ويمكن قول نفس الشيء عن أيّة دولة أخرى في العالم تُطَبّعُ علاقاتها مع إسرائيل.

فَيَتَّضِح إِذَنْ مِمَّا سَبَقَ، أن كُلُّ مَن «يُطَبّعُ» عَلَاقَاتِهِ مع إِسْرَائِيل، يُصْبِحُ هُو نَفْسُه مُتَصَهْيِنًا (sioniste)، وَعَدُوًّا لِلْفَلَسْطِينِيّين، وَشَرِيكًا في تَنْفِيذ، أو في مُسَانَدَة، الجَرَائِم الجَسِيمَة التي تَرْتَكِبُهَا إسرائيل، والتي تَتَجَلَّى في غَزْو، وَاحْتِلَال، وَاسْتِعْمَار، وَاسْتِيطَان، أرض فَلَسْطِين وَمَا جَاوَرَهَا، وَتَقْتِيل الفَلَسْطِينِيّين، وَتَهْجِيرِهِم، وَتَهْدِيم بُيُوتِهِم.

فعلى مَن يضحك أولئك الحُكَّام في المَغْرِب، الذين يريدون أن يفرضوا على شعب المغرب، «التطبيع» مع إسرائيل ؟

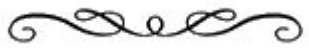

7ـ لِمَاذَا تَجْنِيسُ الإِسْرَائِيلِيِّين مِنْ أَصْلٍ مَغْرِبِي غَيْرِ قَانُونِي

56) تَـــقْـــديـــم:

إذا اِنْطَلَقْنَا مِن الواقع، ومِن مُمَارَسَة دولة المغرب، وَجَدْنَا أن إسرائيليّين يَدْخُلُون إلى المغرب بِالمِئَات، وَبِالآلَاف، في كل شهر. وَنِسْبَة هَامَّة من هؤلاء الإسرائيليّين الذين يدخلون المغرب، يَدْخُلُونَهُ بِصِفَتِهِم «يَهُود مِن أصل مغربي». وَلَا تقدر دولة المغرب على التَمْيِيز بِدِقَّة بين «إسرائيليّين مِن أصل مغربي»، و«إسرائيليّين مِن أصل غير مغربي». ولا تستطيع دولة المغرب تَحْدِيد كلّ الصِفَات التي يدخل بها هؤلاء الإسرائيليّين إلى المغرب الحَامِلِين لِجِنْسِيَّات مُتَعَدِّدَة (هل بِصِفَتِهِم إسرائيليّين، أم أَمْرِيكِيّين، أم فرنسيّين، أم كَنَدِيّين، أم ألمانيّين، أم رُوس، أم بُولُونِيّين، الخ). ومن المُسْتَبْعَد أن تقدر دولة المغرب على تَحْدِيد نَوْعِيَّات كلّ الأنشطة، العَلَنِيَة والسِرِّيَة، (الاقتصادية، والمالية، والتجارية، والإعلامية، والمخابراتية، والثقافية، والسياسية، والتَجَسُّسِيَة، والعَسْكَرِيَة، الخ)، التي يقوم بها هؤلاء الإسرائيليّين داخل المغرب. وَتَقُومُ وَسَائِل الإعلام المغربية العُمُومية، وخاصّة منها قَنَوَات التَلْفَزَات العُمُومِيَة، بحملة دِعَائِيَة قَوِيَة، وَمُكَثَّفَة، وَمُتَوَاصِلَة، منذ عِدَّة شُهُور، وقَبْل قَرَار «التَطْبِيع» بين دَوْلَتَيْ المغرب وإسرائيل (في ديسمبر 2020)، وخاصّة بعده، لِلتَّرْوِيج لِأُطْرُوحَات

سياسية مَفَادُهَا ضِمْنِيًّا أن «الإسرائيليّين من أصل مغربي هم مغاربة». وَتَحُثُّ هذه الدعَايَةُ الرَّسْمِيَة المواطنينَ المغاربةَ على مُعَامَلَة «اليهود مِن أصل مغربي» كَضُيُوف مُمْتَازِين، أو كَمُوَاطِنِين كَامِلِي المُوَاطَنَة، أو كَشُرَكَاء في المُوَاطَنَة، وفي الجِنْسِيَة المغربية. وَلَا يَقْتَصِرُ اِهْتِمَام الإسرائيليّين في المغرب على السياحة العابرة، بَلْ يَمْتَدُّ اِهْتِمَامُهُم في المغرب إلى مُجْمَل المَيَادِين الاقتصادية، والبَنْكِيَة، والمالية، والتجارية، والعَقَارِيَة، والإعلامية، والثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والمُخَابَرَاتِيَة، الخ. وَتُعَامِلُ مُؤَسّسَات الدولة المغربية «الإسرائيليّين مِن أصل مغربي»، ليس فقط كَسُيَّاح أَجَانِب عَابِرِين (touristes de passage)، بَلْ تُعامِلُهم، وَبِتَعْلِيمَات عُلْيَا، إِمَّا وَاضِحَة، وَإِمَّا ضِمْنِيَة، كَمُواطِنِين مَغَارِبَة مِن درجة مُمْتَازَة. وَتُجَسِّدُ هذه المُعَامَلَات المَلْمُوسَة لِـ «الإسرائيليّين مِن أصل مغربي» مَنْحًا لِنَوع مِن «الجِنْسِيَة المغربية المُمْتَازَة». وفي الوقت الذي تَتَوَهَّمُ فيه مُؤَسَّسَات دولة المغرب، أنها تَتَعَامَلُ مع «إسرائيليّين مِن أصل مغربي» بِاعْتِبَارِهِم «مَغَارِبَة مُكْتَمِلِي الجِنْسِيَّة والمُوَاطَنَة المغربيتين»، فإنها تَتَعَامَلُ في الواقع مع «إِسْرَائِيلِيّين مُكْتَمِلِي الوَلَاء لِإِسْرَائِيل، وَلِلصَّهْيُونِيَة». وفي الوقت الذي تَظُنُّ فيه السُّلْطَة السياسية بالمغرب، وَبِسَذَاجَة، أن أكبر اِهْتِمَام يُوجَدُ لَدَى «الإسرائيليّين مِن أصل مغربي»، هو زِيَارَة مَقَابِر أَجدادهم، والتَضَرُّع إلى أَوْلِيَّائِهِم الصَّالِحِين، فإن هؤلاء الإسرائيليّين يحملون في الوَاقِع مَشَارِيع سِرِّيَة، وَذَات أَبْعَاد اسْتْرَاتِيجِية، وَخَطِيرَة على المغرب، وحتّى على بُلْدَان شمال إفريقيا .

(57) وخلال السنوات الأخيرة، نَشَرَت بعض دعَايَات دولة المغرب، مثلًا عبر وسائل إعْلَامِهَا التِلفْزْيُونِيَة، بَرَامِجَ أو مَنْتُوجَات مُتَعَدّدَة، تَتَحَدَّثُ عن مَفْهُوم جَدِيد، وَغَرِيب، تُسَمّيه (بِاللَّهْجَة العَامّيَة) «***تَامَغْرَابِيتْ***». وَتُدْخِلُ دولة المغرب ضِمْنَ مَعَانِي «تَامَغْرَابِيتْ» ***حُبَّ «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، والتَسَامُح مع كِيَان إِسْرَائِيل، وَنِسْيَان خَصَائِص الصَّهْيُونِيَة، في الوقت الذي تَسْتَمِرُّ فيه إسرائيل في سَحْقِ الفَلَسْطِينِيّين***. وهذه الْمُنَادَاة، هي دِعَايَة سيّاسية مُضَلِّلَة، وَتَهْدِف إلى تَغْلِيط المَغَارِبَة، وَتَكْيِيف نَمَط تَفْكِيرهم. وَفي هذه الدِعَايَات، تَسْتَعْمِلُ دولة المغرب مَفْهُوم مَجْمُوعَة «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، أو مَفْهُوم مَجْمُوعَة «اليَهُود المَغَارِبَة المُقِيمِين في الخَارِج»، أو مَفْهُوم مَجْمُوعَة «المَغَاربة المُقِيمِين في إِسْرَائِيل»، الخ. وَتَحُثُّ ضِمْنِيًّا دولة المغرب مُوَاطِنِيهَا على التَعَامُل مع أَفْرَاد هذه المَجموعات كَأَنَّهُم «مَغَارِبَة»، يَحْمِلُون بِشَكْل مُسْبَق، وَجَمَاعِي، وَدَفْعَةً وَاحِدَةً، «الجِنْسِيَّة المغربية»، وَيَكْتَسِبُون «المُوَاطَنَة المغربية»، وَيَسْتَحِقُّون كَامِلَ «حُقُوق المُوَاطَنَة المغربية». فَهَل قَرَار مَنْح «الجنسية المغربية» لهؤلاء «الإسرائيليّين من أصل مغربي» يَسْتَنِدُ على أُسُسٍ قانونية، أم أنه مُجَرَّد تَهَوُّر سِيَّاسِي، وَشَطَط في استعمال السُلْطَة السياسية ؟

المقال الحالي يُجيبُ على هذا السُّؤَال، وَيُوَضّحُ أن ***مَنْحَ الجِنْسِيَة المغربية لِـهؤلاء «الإسرائيليّين من أصل مغربي» يَتَنَافَى مع قَانون الجِنْسِيَة المغربية***. (وهذا المقال الحالي، يقتصر على نِقَاش الجَانِب القَانُونِي. بَيْنَمَا الجَوَانِب السياسية في مَجَال «تَجْنِيس الإِسْرَائِيلِيّين»، تَنَاوَلَهَا الكاتب في مقال آخر، تحت عُنْوَان: «تَجْنِيس الإِسْرَائِيلِيّين مِن أَصْل مَغْرِبِي جَرِيمَة». وهو مَعْرُوض على مدوّنة الكاتب).

58) يَرْجع ***قانون الجنسية المغربية*** إلى الظهير المغربي رقم 1-58-250، الصَّادِر بِتاريخ 21 صفر 1378، مُوَافِق 6 سبتمبر ***1958***، وَالمَنْشُور في الجريدة الرسمية العدد 2394، بتاريخ 19 شتنبر 1958، والمُعَدَّل بالقانون رقم 06-62، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1-07-80، بتاريخ 3 ربيع الأول 1428 (مُوَافِق 23 مارس ***2007***)، والمنشور في الجريدة الرسمية عدد 5513، بتاريخ 13 ربيع الأول 1428 (مُوافق 2 أبريل 2007).

◊ 1) لَا يَجُوز تَجْنِيس «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، لأن هذا التَجْنِيس يَتَنَافَى، ليس فقط مع بَنْدٍ وَاحد من قانون الجنسية المغربية، ولكنه يَتَعَارَضُ مع مُجْمَل بُنُود قانون الجِنْسِيَة المغربية (الذي يبلغ عددها 46 بَنْدًا).

وَمِيزَة النظام السياسي الاستبدادي القائم في المغرب، هي أنه يَسْتَغِلُّ القَوانين التي وَضَعَهَا هو بِنَفْسِه، وَلِصَالِحِه الخَاصّ فقط. وإذا أصبح قانون مُعَيَّن، في ظَرْفٍ مَا، في غَيْر صَالِحِه، فإنه يَتَجَاهَلُه، كما لَوْ أن هذا القانون غير مَوْجُود. وَلَا يُمكن مُعَالَجَة هذا المشكل في النظام السياسي الحالي، لأن الفَصْلَ بين السُّلَط غير قَائم، ولأن دولة الحَقّ والقانون غير موجودة. فَيُمْكِنُك أن تُحَلِّل، وَأن تَصْرُخَ، وأن تَفْضَح، لكن المَعْنِيّين بالأمر لَا يُبَالُون بِهذه الفَضَائح.

وفي «دولة الحَقّ والقَانُون»، ***لِكَيْ يَكُون إِجْرَاءٌ مُحَدَّدٌ بَاطِلًا من النَّاحِيَة القَانُونِيَة، يَكْفِي أن نُثْبِتَ أن هذا الإِجْرَاء يُخَالِفُ بَنْدًا وَاحِدًا فقط مِن القانون. أَمَّا تَجْنِيس*** «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، فإنه يُخَالِفُ مُعْظَمَ بُنُود قَانُون الجِنْسِيَة المغربية. وذلك مَا سَيُوَضِّحُه المقال

الحَالِي، من خلال فحص 46 بَنْداً التي يَتَكَوَّنُ منها هذا القانون، الواحدَ تِلْوَ الآخر.

◊ **2) *لَا يَجُوز تَجْنِيس*** «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، ***لأن الجنسية*** المغربية (حسب ***الفصل 5*** من قانون الجنسية) ***تَنْتَقِلُ*** «***عن طريق الوِلَادَة في المغرب***»، وليس عن طريق الولادة في بلد أجنبي، مثل إسرائيل. وَقد حَدَّدَ قانون الجنسية المغربية (في الفصل 5) معنى عبارة «***في المغرب***» بكونه: «***التُرَاب المغربي، والمياه الإقليمية المغربية، والسفن والطائرات ذات الجنسية المغربي***». وعليه، يُعَدُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين بَاطِلًا.

◊ **3) *لَا يَجُوز تَجْنِيس*** «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، لأن ***الفصل 6*** من قانون الجنسية يَقُول: «***يُعْتَبَرُ مَغْرِبِيًّا الوَلَدَ المَوْلُود مِن أب مغربي، أو أُمّ مغربية***»، وليس من أَب إسرائيلي، أو أمّ إسرائيلية. فَلَا يَحِقُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين، وَلَو كانوا «من أصل مغربي».

وَلِأَنَّ ***الفصل 8*** يُضِيف: «***وَيَثْبُتُ النَّسَب، أو البُنُوَّة، طِبْقًا لأحكام قانون الأحوال الشخصية [المَغْرِبِيَة، وَلَيْسَ طِبْقًا لِلْأَحْوَال الشَّخْصِيَة لِبَلَد أَجْنَبِي مثل إسرائيل] لأحد الأبوين المُعْتَبَر مصدرا للحق في الجنسية***».

◊ **4) *لَا يَجُوز تَجْنِيس*** «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، لأن ***الفصل 9*** يُؤَكِّدُ أن «***اِكْتِسَاب الجنسية المغربية... يكون أوّلًا عن طريق الوِلَادَة في المغرب، وَالإِقَامَة فيه***». وَمَعْنَى ذلك وَاضِح. وهو أن كلّ شخص وُلِدَ في المغرب، لكنه لم يُقِمْ فيه (خلال سنوات، أو عشرات السنين)، فإنه يَفْقِدُ جِنْسِيَّتَه المغربية. وَعَلَيْه، فإن شُرُوط الجِنْسِيَة المغربية لَا تَتَوَفَّرُ في «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، سَوَاءً منهم الذين وُلِدُوا في المغرب ثمّ هَاجَرُوه، وَلَمْ يُقِيمُوا فيه، خلال عَشَرَات السنين؛ أَمْ أَبْنَاؤُهُم الذين وُلِدُوا في إِسْرَائِيل، أو في خارج المغرب، وَلَم يُقِيمُوا بِشَكْل مُنْتَظِم، وَاعْتِيَّادِي، في المغرب.

وَيُؤَكِّد ***الفصل 9***، إِذَا طَالَب شخص بالجنسية المغربية، وَإذا كان هذا الشخص «***وَلَدٌ مَوْلُود في المغرب من أبوين أجنبيين، مولودين هما أيضا فيه***»، يُشْتَرَطُ في مَنْحِه الجنسية المغربية «***أن تكون له إقامة اعتيادية ومنتظمة بالمغرب، وأن يصرّح داخل السنتين السابقتين لبلوغه سِنَّ الرُّشْد بِرَغْبَتِه في اكتساب هذه الجنسية، ما لم يعارض في ذلك وزير العدل، طبقا للفصلين 26 و27***». وهذا الإِصْرَار في قانون الجنسية، يُؤَكِّد أَهَمِّيَة شُرُوط ***الوِلَادة في المغرب، والْإِقَامَة المُنْتَظِمَة بِالمَغرب، والرَّغْبَة المُبْكِرَة في اِكْتِسَاب الجِنْسِيَة المغربية***. وهذه ***الشُّرُوط*** لا تتوفّر في «الإسرائيليّين مِن أصل مغربي». حيث أنهم قَضَوْا أكثر من 60 سنة في إسرائيل (أو على الأقل خارج المغرب). وعليه، يُعَدُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين بَاطِلًا.

وَلِلْمُقَارَنَة مع قَانُون الجِنْسِيَة الْإِسْبَانِي، وإلى حُدُود سنة 2014، نَجِدُ ضِمْنَ الشُرُوط التي تَشْتَرِطُهَا دولة إسبانيا في مجال تجنيس اليهود «السِفَارْدِيم» (أَيْ اليَهُود الذين طُرِدَ أسلافهم من اِسبانيا في سنة 1492 م)، أوّلًا شَرْط العيش في اِسْبَانْيَا خلال مَا لَا يَقِلُّ عَن سنتين مُتَوَاصِلَتَيْن، وَثَانِيًّا شَرْط التَخَلّي عن الجِنْسِيَة السَّابِقَة (غير الإسبانية)، وَثَالِثًا شَرْط تَقديم شهادة تُؤَكِّدُ أنّ أسلافهم هم مِنْ اليَهُود السِفَارَاد الأسبان.

◊ 5) لَا يَجُوز تَجْنِيس «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، لأن ***الفصل 11*** يَشْتَرِطُ في الشخص «الأجنبي الذي يطلب اكتساب الجنسية المغربية عن طريق التجنيس» ***أن تَتَوَفَّرَ فيه «الشُّرُوط السِتَّة» التَالِيَة :***

«أولا- الإقامة الاعتيادية، والمنتظمة، في المغرب، خلال السنوات الخمس السابقة على تقديم طلب التجنيس، مع الإقامة في المغرب إلى حين البَتّ في الطلب ؛

«ثانيا- بلوغ سن الرُّشد القانوني حين تقديم الطلب ؛

«ثالثا- سلامة الجسم والعقل ؛

«رابعا- اَلْاِتِّصاف بِسِيرَة حسنة، وسلوك محمود، وغير محكوم عليه بعقوبة من أجل ارتكاب : جنَاية ؛ أو جُنْحَة مُشِينَة ؛ أو أفعال تُكَوّنُ جَرِيمَةً إرهابية ؛ أو أفعال مخالفة لقوانين الإقامة المشروعة بالمملكة المغربية ؛ أو أفعال موجبة لسقوط الأهلية التجارية ؛

«خامسا- معرفة كافية باللغة العربية ؛

«سادسا- التوفُّر على وسائل كافية للعيش».

وَوعليه، يُعَدُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين بَاطِلًا. لأن ***هذه الشُّرُوط السَّابِقَة، لَا تَتَوَفَّرُ في «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، سَوَاءً كَأَفْرَاد، أَمْ كَمَجْمُوعَات :***

- حيثُ أنّه لَا يَتَوَفَّرُ فيهم شَرْط «***الإقامة الاعتيادية، والمنتظمة، في المغرب***»؛

- وَلَا يَتَوَفَّرُ فيهم شَرْط «***معرفة كافية باللغة العربية***»، حَيْثُ أنّ مُعْظَم هؤلاء الإسرائيليّين، لا يعرفون اللغة العربية بما فيه الكِفَايَة، أو لا يستعملونها، أو يحتقرونها، ويستعملون لُغَات أخرى أجنبية عن المغرب (مثل العِبْرِيَة الإِسْرَائِيلِيَة. أو الإنجليزية، أو الرُّوسِيَة، أو البُولُونِيَة، أو الفَرَنْسِيَة، الخ؛

- وَلَا يَتَوَفَّرُ فيهم شَرْط «***الاتصاف بسيرة حسنة، وسلوك محمود، وغير محكوم عليه بعقوبة من أجل ارتكاب : جنَاية ؛ أو جُنْحَة مُشِينَة ؛ أو أفعال تكون جريمة إرهابية ؛ أو أفعال مخالفة لقوانين الإقامة المشروعة بالمملكة المغربية***».

وإذا كان «الإسرائيليّون مِن أصل مغربي» سَيَحْصُلُون على «الجِنْسِيَة المَغْرِبِيَة»، وعلى كلّ مَا يَنْتُج عنها مِن حُقُوق المُوَاطَنَة، فَكَيْفَ سَيَتَصَرَّفُ هؤلاء «الإسرائيليّين من أصل مغربي» ؟ ***هل سَيُعْطُون الأَوْلَوِيَة لِوَلَائِهِم لِلْمَغْرِب، أم لِإِسْرَائِيل*** ؟ وَمَا هِيَ الضَمَانَات في كُلِّ حَالَة مِن بين الحَالَتَيْن ؟

وَفِيما يَخُصُّ شَرْط «***الاتصاف بسيرة حسنة، وَسُلُوك مَحْمُود***» (الوارد في الفصل 11)، نُنَبِّه إلى أن هؤلاء «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، ***هَاجَرُوا بِمَحْض إِرَادَتِهِم إلى إسرائيل، وَتَبَنَّوْا المَشْرُوع الإِسْرَائِيلِي الصَّهْيُونِي، وَتَوَاطَؤُوا في تَنْفِيذِه، وَسَاهَمُوا، بشكل مُباشر أو غير مُباشر، في غَزْوِ فَلَسْطِين، وَاِحْتِلَالِهَا، وَاسْتِعْمَارِهَا، وَاسْتِيطَانِهَا، وَنَهْبِ أَرَاضِيهَا، وَتَقْتِيل الفَلَسْطِينِيّين، وَتَهْجِيرِهِم، وَسِجْنِهِم في مناطق مُحَاصَرَة، أو "كَانْتُونَات"*** (cantons) ***مُغْلَقَة، وَسَاهَمُوا في عَزْلِ الفَلَسْطِينِيّين، وَاضْطِهَادِهِم، وَتَعْذِيبِهِم، والاِسْتِيلَاء على مُمْتَلَكَات الفَلَسْطِينِيّين، وَتَهْدِيم بُيُوتِهِم، وَنُكْرَان كل حُقُوقِهِم، وُمُمَارَسَة العُنْصُرِيَة، وَالمَيْز العُنْصُرِي ضِدَّ الفَلَسْطِينِيّين، وَحَرَمُوهُم مِنْ كُلّ وَسَائِل الدِّفَاع الذَّاتِي أو التَقَدُّم المُجْتَمَعِي، الخ. ولائحة جرائم الإسرائيليّين طويلة جدًّا. وهي كُلُّهَا مُوجِبَة لِعَدَم اِسْتِحْقَاق الجِنْسِيَة المغربية.***

وَمُنْذُ تَأْسِيس إسرائيل في سنة 1948 إلى اليَوْم في سنة 2022، لَمْ يَمْضِ أَيُّ يَوْمٌ إِلَّا وَقَتَلَ فيه الإِسْرَائِيلِيُّون فَلَسْطِينِيّين، أو جَرَحُوهُم، أو سَجَنُوهُم، أو اِضْطَهَدُوهُم، أو نَهَبُوا مُمْتَلَكَاتِهِم، وَاسْتَعْمَرُوا وَطَنَهُم. ***وَتُعْتَبَر هذه الجَرَائِم، طِبْقًا لِلْقَانُون المَغْرِبِي، وَطِبْقًا لِلقانون الدولي [وَلَيْسَ طِبْقًا لِلْمَوَاقِف السياسية المُتَحَيِّزَة لَدَى الدُّوَل الإمبريالية الغَرْبِيَة]، تُعْتَبَرُ جَرَائِم مُشِينَة، وَخُرُوقَات جَسِيمَة لِحُقُوق الإنسان، أو جَرَائِم حَرْب، أو جَرَائِمَ ضِدَّ الإنسانية، الخ. وهي كُلُّهَا جَرَائِمٌ مُوجِبَة لِلتَّجْرِيد مِنَ الجِنْسِيَة المغربية.*** وعليه، يُعَدُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين بَاطِلًا.

وفي قُرَابَة سنة 1948، وقبل أن تَتَسَرَّبَ إلى داخل المغرب مُخْتَلَف التنظيمات السِرِّيَة الصَهْيُونِية والإِسْرَائِيلِيَّة (مثل الهَاغَانَا، والشِّينْ بِيتْ، والشَّبَاكْ، الخ)، كان المغاربة اليهود يُعَدُّون (حسب بعض التَقْدِيرَات) بِقُرَابَة 230 ألف نَسَمَة. وَكَانُوا لَا يَعرفون، وَلَا

يَعْتَنِقُون، ***الأَيْدِيُولُوجِيَة الصَهْيُونِيَة***. وبين سنوات 1948 و 1961، قَامَت التنظيمات الصهيونية بِزَرْع ***الأَيْدِيُولُوجية الصهيونية*** في جماهير اليهود المغربية. وبعدما تَوَاطَأَ النظام السياسي للملك المُسْتَبِدّ الحسن الثاني مع إسرائيل، وخاصّة بَيْنَ سنوات 1960 و 1975، سَمَح الحسن الثاني لِلحركات الصهيونية بِتَهْجير مُعْظَم اليَهُود المغاربة إلى إسرائيل، وذلك بِمُبَرِّرَات مُضَلِّلَة. وَالْأَقَلِّيَة مِن المغاربة اليهود الذين رَفَضُوا آنَذَاك المشروع الصهيوني، أو عَارَضُوا الأَيْدِيُولَوجِيَة الصهيونية، أو شَكُّوا فيها، إمّا أنهم بَقَوْا في المغرب، وإمّا أنهم هَاجَرُوا تحت الضُغُوط الظَرْفِيَة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أو كندا، أو فرنسا، أو أمريكا الجنوبية، الخ. ولم يَبْقَ في المغرب، في نهاية سنوات 1975، سِوَى بِضْعَة آلَاف من المغاربة اليهود (أَقَلُّ مِن 8000 شخص). وَيَجِبُ أن نَنْتَبِه إلى أنّ كُلَّ اليَهُود المَغَارِبَة الذين هَاجَرُوا طَوْعًا إلى إسرائيل، وَتَبَنَّوْا المَشْرُوع الصَهْيُونِي، أو سَاهَمُوا في تَنْفِيذِه، ***فَقَدُوا قَانُونِيًّا جِنْسِيَّتَهُم المغربية، وأصبحوا أَعْدَاءَ لِشَعْب فَلَسْطِين، وَلِشَعْب المغرب، وَلِكُلّ شُعُوب العَالَم التَوَّاقَة إلى الحُرِّيَة والعَدَالَة***. لِأَنّ الشَّخْص الذي يُصْبِحُ عَدُوًّا اِسْتْرَاتِيجِيًا لِشَعْب فَلَسْطِين، وَلِشَعْب المَغْرِب، وَلِشُّعُوب العَالَم التَوَّاقَة لِلْحُرِّيَة، يَغْدُو في نفس الآن فَاقِدًا لِلْجِنْسِيَة المَغْرِبية. وعليه، يُعَدُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين بَاطِلًا.

وَكُلّ مَن «يُطَبِّعُ» عَلَاقَاتِه مع إسرائيل، أو مع إِسْرَائِيلِيّين، يُصْبِحُ هُوَ نَفْسُهُ مُجْرِمًا، لأنه يَتَوَاطَأُ مع هؤلاء الإسرائيليّين في تَنْفِيذ هذه الجَرَائِم الجَسِيمَة المذكورة سَابِقًا، بَدَلًا مِنْ أَن يَنْتَقِدَ الصَّهْيُونِيَة، وَأَنْ يُعَارِضَ مَشْرُوع إِسْرَائِيل، وَأن يُنَاهِضَ جَرَائِمَ الإسرائيليّين، وَأن يَتَضَامَنَ مع الضَحَايَا الفَلَسْطِينِيّين المَقْهُورين.

وَعَلَيْه، فَإِن مَنْحَ الجِنْسِيَة المغربية لِإِسْرَائِيلِيّين (وَلَوْ كانوا مِن أَصْل مَغْرِبِي)، هُو تَجْنِيسٌ لِمُجْرِمِين خَطِيرِين، وَتَجْنِيس لِأَعْدَاء كلّ البَشَرِيَة، وليس فقط لِأَعْدَاء شعب فَلَسْطِين. والصَّهْيُونِيَة لَا تَقِلُّ خُطُورَةً، وَلَا

تَنْقُصُ جَرِيمَةً، عن النَازِيَة (nazisme)، وعن الفَاشِيَة (fascisme)، وَعَن الاِسْتِعْمَار الْأَكْثَر وَحْشِيَّةً.

◊ 6) لَا يَجوز منح الجنسية المغربية ***بشكل جَمَاعِي*** إلى «إِسْرَائِيلِيّين من أَصْل مغربي»، لأن قانون الجنسية المغربية، ***في الفصل 13***، لَا يَسْمَحُ بِالحُصُول على الجنسية المغربية إِلَّا إِذَا كان ***طَلَب هذه الجنسية بشكل فَرْدِي (وليس جَمَاعِي)؛ وَلَا يَكُون الحُصُول على الجِنْسِيَة المغربية إِلَّا من خِلَال البَتُّ في هذا الطَلَب الفَرْدِي عَبْر «مَرْسُوم يُقَرِّرُه مَجْلِس الوُزَرَاء»***. حَيْثُ يَقُول الفصل 13: ***«تُمنح الجنسية بِمُقْتَضَى ظَهِير ... فَتُمْنَحُ بِمُوجِب مَرْسُوم يُقَرِّرَه مجلس الوزراء. وَيُسَوَّغُ [بِمَعْنَى يَجُوزُ] أن تَتَضَمَّن وثيقة التجنيس، بطلب من الشخص المعني بالأمر، تغييرا لاسمه العائلي، واسمه الشخصي***». وهذا الإجراء القانوني، الوارد في الفصل 13، لَمْ يُحْتَرَم، وَلَم يُطَبَّقْ، وَلَمْ يَحْدُث. حيثُ أن هؤلاء الأشخاص «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، لم يَحْصُلُوا ***كَأَفْرَاد*** مُحَدَّدِين على الجِنْسِيَة المغربية عَبْرَ صُدُور «***ظَهِير***»، وَلَا عَبْرَ «***مَرْسُوم يُقَرِّرُه مَجْلِس الوُزَرَاء***». وعليه، يُعَدُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين بَاطِلًا.

وفي تقديري الشخصي، المَنْهَج الأَكْثَرُ اِنْسِجَامًا مع رُوح القانون، ومع مَبْدَأ الفَصْل بَيْن السُّلَط الثلاثة (التشريعية، والتنفيذية، والقَضَائِيَة)، هو أن يُقَرِّر في طلب الجِنْسِيَة المغربية، ليس السُّلْطَة التَنْفِيذِيَة (وزير العدل، أو الحكومة، أو المجلس الوزاري)، وَإِنَّمَا السُّلْطَة القَضَائِية وَحْدَهَا، طِبْقًا لِلْقَانُون القائم، وذلك بهدف تَلَافِي إِخْضَاع قَضَايَا التَجْنِيس إلى سِيَّاسَة سِيَّاسَوِيَة، أو اِنتهازية.

وَتَعَامُل السلطة السياسية في المغرب مع «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، كَأَنَّهُم مُكْتَمِلِي «الجنسية المغربية»، وَكَأَنَّهُم مُكْتَمِلِي «المُوَاطَنَة المغربية»، هو تَعَامُل خَاطِئٌ سِيَّاسِيًّا، وَبَاطِلٌ قانونيًّا، وفيه ظُلْمٌ كَبِير لِشَعْب المغرب. ***لأن عبارة «إسرائيليّين من أصل مغربي» هي عِبَارَة***

غَامِضَة، وَمُبْهَمَة، وَغَيْر دَقِيقَة، وَغير قَانُونِيَة، وَلَا تُوجَدُ مُطْلَقًا في قانون الجنسية المغربية. وَلِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ في قانون الجنسية المغربية مَا يَسْمَحُ بِتَجْنِيسِ مَجْمُوعَة كَبِيرَة، أو مُتَعَدِّدَة، أو مُبْهَمَة، وَبِشَكْل مُسْبَق، وَدَفْعَةً وَاحِدَة، وَدُونَ أَيِّ فَحْصٍ قَضَائِي لِحَالَة كُلِّ شَخْصٍ مِنْ بَيْن هؤلاء الأشخاص المَعْنِيِّين، المُكَوِّنِين لِهذه المَجْمُوعَة المُسَمَّات بِـ «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، أو « مَجْمُوعَة اليَهُود مِن أَصْل مَغْرِبِي»، أو «مَجْمُوعَة المَغَاربة المُقِيمِين في إِسْرَائِيل»، أو «مَجْمُوعَة اليَهُود المَغَارِبَة المُقِيمِين في الخَارِج» [***وَلَوْ كَانَ هذا الخَارِجُ هُوَ إِسْرَائِيل***]***، الخ.*** وعليه، يُعَدُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين بَاطِلًا.

◊ 7) وفي حَالَة حُدُوث ***خَطَأ في التَجْنِيس،*** وفي حَالَة إذا مَا أُتُّخِذَ ***قَرَار تَجْنِيس*** «إسرائيليّين من أصل مغربي» ***بطريقة غير سَلِيمَة،*** فإن ***الفصل 14*** (مِنْ قانون الجِنْسِيَة المغربية) يَدْعُو صَرَاحَةً إلى إلغاء هذا القرار. حيث يقول الفصل 14 : «***إذا تَبَيَّنَ، بعد إمضاء التجنيس، أن*** [***الشَّخْص***] ***المعني بالأمر لم يكن قد توفّرت لديه الشروط التي يَتَطَلَّبُهَا القانون لِيُمْكِنَ تَجْنِيسُه، فإنه يَجُوزُ إِلْغَاء وثيقة التجنيس في غضون سنة، تبتدئ من تاريخ نشرها، وذلك بِمُقَرَّر مُدَعَّم بأسباب، وبنفس الصيغة التي صدرت بها***». وَيُضِيف الفصل 14 أنه يُمكن إِلْغَاء التَجْنِيس «***إذا أدلى*** [***الشَّخْص***] ***الأجنبي عن قصد بتصريح مزيف، أو استظهر بورقة تتضمن ادعاء كاذبا، أو مخطئا، أو استعمل وسائل تَدْلِيسِيَة للحصول على التجنيس***».

◊ 8) لَا يَجُوز تَجْنِيس «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، بِحُجَّة «اِسْتِرْجَاعِهِم لِلْجِنْسِيَة المغربية الأَصْلِيَة» أو «القَدِيمَة» والتي تَعُود إلى سَنَوَات 1948، أو سنوات 1960، قَبْلَ الهِجْرَة إلى إسرائيل. لأن ***الفصل 15*** يقول: «***يمكن تَخْوِيل*** [مِن فِعْل خَوَّلَ يُخَوِّلُ تَخْوِيلًا، بِمَعْنَى: مَنَحَ، أو أَعْطَى] ***استرجاع الجنسية المغربية بموجب مرسوم لكل شخص كان مُتَمَتِّعًا بها كجنسية أصلية عندما يطلب ذلك***». بِمَعْنَى

أن هذا **الفصل 15** يَسْمَحُ لِلشخص **الفَرْد** (**وليس للمجموعة**) المُطَالِب بِاسْتِرْجَاع الجِنْسِيَة المغربية، أن يَسْتَرْجِعَهَا، عَبْرَ «**مَرْسُوم**»، بِشَرْط أَنْ يَكُونَ هذا الشخص «**مُتَمَتِّعًا بِالجِنْسِيَة المغربية كَجِنْسِيَة أَصْلِيَة**» في الفَتْرَة التي طَلَبَ فيها تَرْسِيم اِسْتِرْجَاع تلك الجنسية المغربية. فَلَم تَحْتَرِم السلطة السياسية في المغرب هذا **الفصل 15** من قانون الجنسية المغربية.

◊ 9) على عكس ما تفعله السلطة السياسية في المغرب، والتي تَتَعَامَل مع «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، بشكل مُسْبَق، وَبِشَكْل جَمَاعِي، وَدَفْعَةً وَاحِدَةً، **كَ** «**مَغَارِبَة كَامِلِي الجِنْسِيَة المغربية**»، **وَ**«**كَامِلِي حُقُوق المُوَاطَنَة**»، يقول **الفصل 17** (في مَيْدَان «القُيُود في الأَهْلِيَة المَفْرُوضَة على المُتَجَنِّس») : «**يَخْضَعُ [الشَّخْصُ] الأجنبي المُتَجَنِّس طِيلَة خَمْس سَنوات لِلْقُيُود في الْأَهْلِيَة الآتية : أولا ـ لَا يَجُوز أن تُسْنَدَ إليه وَظِيفة عمومية، أو نِيَابَة اِنْتِخَابِيَة، يُشْتَرَطُ فِيمَن يقوم بهما التَمَتُّع بالجنسية المغربية؛ ثانيا ـ لا يجوز أن يكون نَاخِبًا إذا كانت الصِفَة المغربية شَرْطًا لِلتَسْجِيل في اللَّوَائِح الْاِنْتِخَابِيَة**». وَلَا يُعْفَى من هذه القُيُود إِلَّا «**بِمُقْتَضَى ظَهِير**»، فقط في حالة «**إذا خُوِّلَتْ الجنسيةُ بِمُقْتَضَى ظَهِير، أو بِمُوجِب مَرْسُوم، يَتَّخِذُهُ المَجْلِسُ الوزَارِي**». وَعَلَيْه، فَالتَعَامُل الذي تُمَارِسُه السلطة السياسية في المغرب مع «الإسرائيليّين مِن أصل مغربي»، والذي تَمْنَحُ فيه «**وَظَائِفَ عُمُومِيَة**»، أو «**نِيَابِيَة**» [مِثْلَمَا هو الحَال في «المجلس الوطني لِلطَّائِفَة اليَهُودِيَة»، و«اللّجَان الجهَوِيَة» المُتَفَرِّعَة عن ذلك «المجلس»]، إلى هؤلاء «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، هو تَعَامُل مُعَاكِسٌ لِقَانون الجنسية المغربي، وَبِالتَّالِي فَهُو خَاطئ سِيَّاسِيًّا، وَبَاطِل قَانُونِيًّا.

◊ 10) لَا يَجُوز تَجْنِيس «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، لأن **الفصل 19** يَقُول : «**يَفْقِدُ الجنسية المغربية : أَوَّلًا ـ المغربي الرَّاشِد الذي اكتسب عن طواعية في الخارج جنسيةً أجنبيةً**». حيثُ

أن «الإسرائيليّين من أصل مغربي» كُلُّهُم «اكتسبوا عن طواعية في الخارج جنسيةً أجنبيةً»، وهي جِنْسِيَة إسرائيل، الكِيَّان العَدُوّ. وعليه، يُعَدُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين بَاطِلًا.

لكن هذا ***الفصل 19*** أَضَافَ تَعْقِيداً غَرِيبًا، أو شَرْطًا سِيَّاسِيًّا وَمُقَزِّزًا، في مَجَال فُقْدَان الجِنْسِيَة المغربية، جاء فيه : «***يَفْقِدُ الجنسية المغربية : أوَّلًا- المغربي الرّاشِد الذي اكتسب عن طواعية في الخارج جنسيةً أجنبيةً، والمَأْذُونُ لَهُ بِمُوجِب مَرْسُوم في التَخَلّي عن الجنسية المغربية***». كَأَنّ هذه الجُملة في الفصل 19 تَشْتَرِط في فُقْدَان الجِنْسِيَة، في حالة «اِكْتِسَاب طَوْعِي في الخارج لِجنسية أجنبية»، أن تَسْمَحَ كِتَابِيًّا السُّلْطَةُ السياسيةُ (أو المَلِك) في المغرب لِلشَّخْص المعني بِـ «فُقْدَان» جِنْسِيَّتِه المغربية الأصلية. وَإِلَّا، بَقِيَ فُقْدَان الجنسية المغربية غير مُكْتَمِل. ***وَالسِرُّ المُفَسِّرُ*** لِإِضَافَة هذا الشَرْط السِيَاسِي الغَرِيب في القانون، هو أن الملك المُسْتَبِد الحسن الثاني كان مَهْوُوسًا بِحَاجَتِه إلى قَمْع كلّ مَغْرِبِي يُعَارِضُ نِظَامَه السياسي الاستبدادي؛ وكان الحسن الثاني يَخَاف مِن أن يُهَاجِر بعض المُعارضين السياسيّين المغاربة إلى دُوَل غَرْبِيَّة، وأن يَحْصُلُوا على جِنْسِيَة أجنبية (غير مغربية)، وَأَنْ يَفْلِتُوا هكَذَا (باعتبارهم حَامِلِين لِجِنْسِيَة غير مَغْرِبِيَة) مِن خُضُوعِهِم لِلْقَوَانِين القَمْعِية المغربية. لذلك أَصَرَّ الملك الحسن الثاني على أن يُضِيف، في قَانُون الجِنْسِيَة المغربية، أنه ***لَا يَحِقُّ لأيّ مغربي [مُعَارِض سِيَّاسِي] أن يَفْقِدَ جِنْسِيَتَهُ المغربية إِلَّا إِذَا وَافَقَ الملك الحسن الثاني كِتَابِيًّا على ذلك !*** ثُمّ اِكْتَشَف الحسن الثاني فيما بعد، أنه يُمْكِنُه اِسْتِغْلَال هذا الفَصْل 19 في قانون الجِنْسِيَة المغربية لِكَيْ يَدَّعِيَ أن «***الإسرائيليين من أصل مغربي لا يفقدون أَبَدًا الجنسية المغربية***»؛ حيث لم يسبق أبداً للملك الحسن الثاني أن وَافَقَ كِتَابِيًّا على فُقْدَان الجِنْسِيَة المغربية مِن طَرَف الأشخاص «الإسرائيليّين من أصل مغربي». لكن كَعَادَتِهِ، لَا يُبَالِي

الملك الحسن الثاني بِتَنَاقُضِهِ مع نفسه؛ حيثُ أنه، حِينَمَا سَمَحَ (في سنة 1960) لِلتَنْظِيمَات السِرِّيَة الإِسْرَائِيلِيَة بِأَن تُهَجِّرَ مِن المغرب إلى إِسْرَائيل قُرَابَة 300 ألف مَغْرِبِي يَهُودِي، فإنه ***صَادَقَ، مِن حَيْثُ لَا يَدْرِي، على تَحَوُّل هؤلاء الأشخاص مِن دَوْلَة المغرب إلى دَوْلَة إِسْرَائِيل، وَمِن جِنْسِيَة المغرب إلى جِنْسِيَة إِسْرَائِيل. وَجِنْسِيَة المغرب لَا تَنْسَجِم، وَلَا تَتَمَاشَى، وَلَا تَتَجَانَسُ، مع جِنْسِيَة إسرائيل.*** وَإِذَا لم يكن الحسن الثاني يَفْهَمُ ذلك، فإن إِسْرَائيل تُدْرِكُهُ جَيِّدًا. وَفي اِنْتِظَار حَذْف هذا ***الشَّرْط النَشَاز*** (المذكور سَابِقًا) من قانون الجنسية المغربية، يُصْبِحُ وَاجِبًا علينا أن نَعْتَبِرَ ذلك الشَرْطَ السياسي الذي وَضَعَهُ الملك الحسن الثاني لَاغِيًّا، لأنه ***يَتَنَافَى مع رُوح مُجْمَل قَانُون الجنسية المغربية.***

◊ 11) لَا يَجُوز تَجْنِيس «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، لأن ***الفصل 19*** يقول: «***يَفْقِدُ الجنسيةَ المغربية : خامسا- المغربي الذي يُؤَدِّي مُهِمَّة، أو يَشْغَل وَظِيفَة، في مصلحة عمومية لدولة أجنبية، أو في جيش أجنبي، إذا كان شُغْلُ هذه المهمة، أو الوظيفة، يَتَعَارَض مع المصلحة الوطنية، ويحتفظ بها أكثر من ستة أشهر، بعد ما تُنْذِرُهُ الحكومة المغربية للتنازل عنها***». وَلِأَنَّ «الإسرائيليّين من أصل مغربي» «يُؤَدُّون مُهَامًّا» في إسرائيل؛ ولأنهم «يَشْغَلُون وَظَائِفَ في مَصَالِحَ عُمُومِيَة في دولة» إسرائيل؛ وَلِأَنَّهُم يَشْتَغِلُون بشكل مباشر أو غير مُباشر مع «جَيْش إسرائيل» الأجنبي؛ وَلِأَنَّ «هذه المَهَام والوظائف تَتَعَارَضُ مع المصلحة الوطنية» للمغرب؛ ولأنهم اِسْتَمَرُّوا في تَنْفِيذ هذه المهام أو الوظائف، لَيْسَ فقط خلال «أكثر من ستة أشهر»، وَإِنَّمَا خِلَال أكثر مِن 60 سنة. وعليه، يُعَدُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين بَاطِلًا. أمَّا عبارة «***بَعْدَ مَا تُنْذِرُهُ الحكومة المغربية للتنازل عنها***»، فهي تَعْبِير سِيَّاسِي زَائِد، أو مُفْرِط، [وليس تَعْبِيرًا قَانُونِيًّا]. لأن أَيَّ شخص عاقل لَا يَحْتَاج إلى أن تَتَّصِلَ به

«الحُكُومَة المغربية» بِشكل مُباشر، وأن تَشْرَح له أن العَمَل في أيّة مُؤَسَّسَة مِن بين مُؤَسَّسَات الكِيَان الإسرائيلي الصَّهْيُونِي، تَتَنَاقَضُ بِالضَّرُورَة مع «المَصَالِح الوَطَنِية» لِلمَغْرِب، وَتَضُرُّ بها. وَمَنْ يَقُول بِعَكْس ذلك، يَتَوَهَّم أن العَمَل في إِحْدَى مُؤَسَّسَات إسرائيل، يَخْدُمُ المَصَالِحَ الوَطَنِيَة لِلْمَغْرِب. الشيء الذي يَرْفُضُه شعب المغرب. وهو ما عَبَّر عنه شعب المغرب في عدد كبير من المظاهرات الشعبية الحاشدة، على امتداد عشرات السِنِين.

◊ 12) سَبَقَ لِلملك المُسْتَبِدّ الحسن الثاني، أَنْ زَعَمَ مِرَارًا، أن «***الجِنْسِيَة المغربية لا تُفْتَقَد أَبَدًا***»! وَأصبح كثيرون من المغاربة (بِمَا فيهم بعض المُـثَـقَّـفِين، وبعض الصَّحافِيِّين، وبعض السياسيِّين، وحتّى بعض الأساتذة الجَامِعِيِّين، الخ) يُرَدِّدُون كَالبَبَّغَاوَات هذه الجُمْلَة المُـغَـفَّـلَة. وَغَدَى الكَثِيرُون مِن أنصار النظام السياسي القائم في المغرب يُكَرِّرُون أَنَّ «الإسرائيليّين مِن أصل مَغْرِبِي يُحَافِظُون على جِنْسِيَّتِهِم المغربية»، حَتَّى وَلَوْ غَزَوْا المغرب، أو سَيْطَرُوا عليه، أو اسْتَعْمَرُوه، أو حَوَّلُوه إلى مُسْتَعْمَرَة مُلْحَقَة بِإِسْرَائِيل ! دُونَ أَنْ يَفْهَمُوا أن هذا الإدِّعَاء غير قانوني. والتَصْرِيحُ بِـ «أَبَدِيَة الجِنْسِيَة المغربية لَدَى الإسرائيليّين مِن أصل مَغْرِبِي» يَبْقَى ***خاطِئًا سِيَاسِيًّا، وَبَاطِلًا طِبْقًا لِقَانون الجنسية*** المغربية. حَيْثُ ***لَا يُوجد إِطْلَاقًا مَا يُبَرِّرُهَا في قانون الجِنْسِيَة المغربية.*** وفي قوانين مُعْظَم دُول العالم، ***تُوجد دائمًا*** حَالَات خاصّة، (مثل التَعَامُل، أو التَخَابُر، أو التَعَاوُن، مع دولة عَدُوَّة، أو اِرْتِكَاب جَرِيمَة جَسِيمَة)، يَسْمَحُ فيها القانون بِسَحْب الجِنْسية من الشخص المعني. وَمَعْنَى ذلك، أن ***جِنْسِيَة أيّ شخص، وَفي أيّ بَلد كان في العالم، لَا تَبْقَى أَبَدِيَّة، بَلْ قَدْ تُسْحَبُ منه، أو تُلْغَى، إِذَا اِرْتَكَبَ الشخص المَعْنِي جَرَائِمَ تَتَنَافَى مع قَوَانِين جِنْسِيَّة بَلَدِه. وَمُنَاصَرَة إِسْرَائِيل أو الصَهْيُونِيَة، تَتَنَاقَضُ مع حَمْل الجِنْسِيَة المغربية.*** وعليه، يُعَدُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين بَاطِلًا.

وَيُوَضّحُ ***الفصل 11*** (مِن قانون الجنسية المغربية) «***شُرُوطَ التَجْنِيس***» التي يَلْزَمُ أن تَتَوَفَّرَ في كل «أجْنَبِي يَطْلُبُ اِكْتِسَاب الجنسية المغربية». وهذه الشُرُوط المَطْلُوبَة في الأجانب، يُفْتَرَضُ فيها أنها مُتَوَفِّرَة أَصْلًا في المَغَارِبَة (المَوْلُودين، والمُقِيمين، في المغرب). وَيُوجِبُ القانون أن تَنْطَبِقُ هذه ***الشروط*** القانونية على «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، الرَّاغِبين في اِكْتِسَاب الجِنْسِيَة المغربية. وَمَن يَزْعُمُ عَكْسَ ذلك، فَإنه يُرِيد أن يَسْتَثْنِيَ «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، وَرُبَّمَا حتّى الإِسْرَائِيلِيّين الآخرين الذين ليسوا من أصل مغربي، مِن الخُضُوع لِلْقَانُون، بِاعْتِبَارِهِم كَائِنَات فَوْقَ البَشَر. وَهكَذَا يُؤَكِّدُ ***الفصل 11*** على أن ***حَمْل الجِنْسِيَة المغربية مَشْرُوط بِسِتَّة شُرُوط.*** وَتَنْصِيصُ قَانُون الجِنْسِيَة المغربية على ضَرُورَة تَوَفُّر هذه الشُرُوط السِتَّة، يُثْبِتُ، وَيُؤَكِّد، أن الجِنْسِيَة المغربية لَيْسَت «دَائِمَة»، أو «أَبَدِيَة»، مِثْلَمَا زَعَمَ الملك المُسْتَبِدُّ الحسن الثاني؛ بل هي مشروطة بِاسْتِمْرَار بِاسْتِيفَاء الشخص المعني جميع هذه الشُرُوط السِتَّة المُحدّدة. وَمَعْنَى ذلك أيضًا، هو أن ***كلّ شَخْص أَصْبَحَ فَاقِدًا لِإِحْدَى هذه الشُرُوط السِتَّة، يَغْدُو فَاقِدًا لِجِنْسِيَتِهُ المغربية،*** وَلَوْ تَعَلَّقَ الأَمْر بِـ «إِسْرَائِيلِيّين من أصل مغربي». ومن بين ***الشُرُوط*** السِتَّة المذكورة في القانون، نَجِدُ ثَلَاثَة شُرُوط أَسَاسِيَة. وهي : شَرْط «***الإقامة الاعتيادية، والمنتظمة، في المغرب***»؛ وَشَرْط التَوَفُّر على «***معرفة كافية باللغة العربية***»؛ وَشَرْط «***الْاِتِّصَاف بِسِيرَة حَسَنَة، وَسُلُوك مَحْمُود، وغير محكوم عليه بعقوبة من أجل ارتكاب : جِنَايَة؛ أو جُنْحَة مُشِينَة؛ أو أفعال تكون جريمة إرهابية؛ أو أفعال مخالفة لقوانين الإقامة المشروعة بالمملكة المغربية***». وَكُل هذه الشُرُوط الثَلَاثَة الأخيرة، لَا تَتَوَفَّرُ في «الإسرائيليّين من أصل مغربي». وعليه، يُعَدُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين بَاطِلًا. حَيْثُ أن هؤلاء «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، ***هَاجَرُوا إلى إسرائيل (أو هَجَّرَتْهُم تَنْظِيمَات إِسْرَائِيلِيَة)، وَقَضَوْا أكثر من 60***

سنة في إسرائيل، وَتَبَنَّوْا المَشْرُوع الإِسْرَائِيلِي الصَّهْيُونِي، وَتَوَاطَؤُوا في تَنْفِيذِه، وَسَاهَمُوا، بشكل مُباشر أو غير مُباشر، في اِحْتِلَال فَلَسْطِين، وَاسْتِعْمَارِهَا، وَاسْتِيطَانِهَا، وَتَقْتِيل الفَلَسْطِينِيّين. وهي كلها جَرَائِم جَسِيمة، تَتَنَافَى مع الحِفَاظ على الجِنْسِيَّة المغربية.

وعليه، يُعَدُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين بَاطِلًا.

وَعَلَى عَكْس زَعْم الملك الحسن الثاني الذي اِدَّعَى أن «***الجِنْسِيَة المغربية لا تُفْتَقَد أَبَدًا***»، يَقُول ***الفصل 22*** من قانون الجنسية المغربية: «***كل شخص اِكْتَسَبَ الجنسية المغربية يمكن أن يُجَرَّدَ منها*** : أولا- إذا صَدَرَ عليه حُكْمٌ من أجل : - اِعْتِدَاءٍ أو إهانة نحو الملك، أو أعضاء الأسرة المالكة؛ - أو ***عَمَلٍ يُعَدُّ جِنَايَةً أو جُنْحَةً*** تَمَسُّ بسلامة الدولة الداخلية أو الخارجية ؛ - أو ***فعلٍ يَكون جَرِيمَةً إرهابية؛*** - أو ***عَمَلٍ يُعَدُّ جِنَايَةً*** تَرَتَّبَتْ عنها عُقوبة تزيد على خمس سنوات سجنا. ثانيا- إذا ***تَهَرَّبَ من القيام بواجباته العسكرية؛*** ثالثا - ***إذا قام لفائدة دولة أجنبية بأفعال تَتَنَافَى مع صفته المغربية، أو تَمَسُّ بِمَصَالِح المغرب***». فَلَا يَجوز مَنْح الجِنْسِية المغربية لِـ «إسرائيليّين مِن أصل مغربي»، لأنهم سَاهَمُوا، بشكل مباشر أو غير مباشر، في اِرْتِكَاب أَفْعَال «تُكَوِّن جَرِيمَةً إِرْهَابِيَة»؛ ولأنهم قَامُوا بِـ «أعمال تُعَدُّ جِنَايَات» جَسِيمَة؛ ولأنهم «قَامُوا لفائدة دولة أجنبية [هي إسرائيل] بأفعال تتنافى مع صفتهم المغربية، أو تمسّ بمصالح المغرب». وَمَنْ يَقُول بِعَكْسِ ذلك، فإنه يَعْتَبِرُ، ضِمْنِيًّا، أن اِسْتِعْمَار فَلَسْطِين، واسْتِيطَانِهَا، وَاضْطِهَاد الفَلسطينيّين، وَطَرْدِهِم من أَرْضِهِم، هي أعمال في مصلحة المغرب. الشيء الذي يَرْفُضُه شعب المغرب. وعليه، يُعَدُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين بَاطِلًا.

وَبِعِبَارَة أخرى، لَا يَجُوز تَجْنِيس «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، لأن ***الهجرة إلى إسرائيل، والتَوَاطُؤ في إِنْجَازِ مَشْرُوعها الصَّهْيُونِي، يُعْتَبَران بمثابة تَنَاقُض مع حَمْل الجِنْسِيَة المغربية، وَيُعْتَبَرُ بِمَثَابَة***

تَخَلٍّ عن الجنسية المغربية، وينتج عنها فُقْدَان الجنسية المغربية. ولأن هذه ***الهِجْرة إلى إسرائيل تُجَسِّد مُسَاهَمَات*** (*مُبَاشِرَة، أو غير مباشرة*) ***في تَنْفِيذِ المَشْرُوع الصَّهْيُونِي***، الذي يتجلّى في احتلال، واستيطان، واستعمار، وَطَن فَلَسْطِين (والأراضي المُجَاوِرَة لها)، وَتَهْجِير الفلسطينيّين، وَتَقْتِيلهم، واضطهادهم، وَقَهْرِهِم، الخ.

وَرَغْمَ كلّ هذا الوُضُوح، يُوجَدُ أَشْخَاص في المغرب، لَا يُحَرِّكُهُم أَيّ ضَمِير سَلِيم، حينما يَرَوْا أن الإسرائيليّين يَمْنَعُون الفَلَسْطِينِيّين من حَمْل أَيَّة جِنْسِيَة، بما فيها جِنْسِيَة فَلَسْطِين، ولا جنسية إسرائيل؛ بينما تَمْنَح دولة المغرب، وَبِلَا مُقَابِل، جِنْسِيَة المغرب إلى «الإسرائيليّين مِن أصل مغربي» ! وَلَا يُحَرِّكُهُم أَيّ ضَمِير سَوِيٌّ أو عَادِل، حينما يَرَوْا أن الإسرائيليّين يَمْنَعُون الفَلَسْطِينِيّين مِنْ «حَقّ العَوْدَة» إلى وَطَنِهِم الأصلي فَلَسْطِين؛ بَيْنَمَا تَمْنَحُ دولة المغرب «حَقَّ العَوْدَة» إلى المغرب، بِدُون مُقَابِل، وَبِدُون مُعَامَلَة بِالمِثْل (réciprocité)، إلى «الإسرائيليّين مِن أصل مغربي» !

وَمِنْ مصلحة شعبنا أن نُضِيف إلى قانون الجنسية المغربية، بُنُودًا تَكُونُ أَكْثَرَ وَضُوحًا، وَتَسْمَحُ بِـ «سَحْب الجِنْسِيَة المغربية مِن كل مَغربي تَعَاوَن مع إحدى أجهزة أَيّ كِيَان اِسْتِعْمَاري، أو عُنْصُرِي، أو إِمْبِرْيَالِي، أو صَهْيُونِي». ***لأن إسرائيل، والصَّهْيُونِيَة، مَبْنِيَّان على أساس مَشْرُوع عُدْوَانِي، وَعَنِيف، واِسْتِعْمَارِي، واسْتِيطَانِي، وَعُنْصُرِي، وَإِمْبِرْيَالِي، وَيَهْلِكُ مُجْمَل حُقُوق الشعب الفَلَسْطِينِي، وكذلك حُقوق الشعوب الأخرى الناطقة بالعربية، أو الشُعُوب التَوَّاقَة لِلْحُرِّيَة. فَمِنَ الخطأ السِّيَاسِي الفادح مَنْح الجِنْسِيَة المغربية لِأَيّ شخص إِسْرَائِيلِي، أو مُنَاصِرٍ لِلصَّهْيُونِيَة (وَلَوْ كَان مِنْ «أَصْل مَغْرِبِي»)***. ومن يقول بعكس ذلك، يَفْضَحُ، مِن حَيْثُ لَا يَدْرِي، أنه لَا يَهْتَمُّ بِاحْتِمَال تَوَاجُد إِسْرَائِيلِيّين في مُؤَسَّسَات مغربية مثل الحُكُومَة، والبرلمان، والجماعات المَحَلِّيَة، وغيرها. وَلَا يكْتَرِثُ لِإِمْكَانِيَة وُصُول

إِسْرَائِيلِيّين لِمَوَاقِع تَسْيِير المغرب، وَتَحْوِيلِه إلى شِبْهِ مُسْتَعْمَرَة مُلْحَقَة بِإِسْرَائِيل.

وَادّعَاءُ الحسن الثاني أن «الجِنْسِيَة المغربية لا تُفْتَقَد أَبَدًا»، كان مُجَرَّد مُغَالَطَة، أَو خُدْعَة. وكان الحسن الثاني يَهْدِفُ، من خلال هذه الخُدْعَة، أَوَّلًا إلى تَبْرِير ثَبَات الجِنْسِيَة المغربية لَدَى «الإسرائيليّين من أصل مغربي»؛ وَيَهْدِفُ ثَانِيًا إلى اِسْتِعْمَال هذه «الجنسية المغربية الأَبَدِيَة» المزعومة (لَدَى هؤلاء الإسرائيليّين) لِتَبْرِير مَشْرُوعِيَة إِقَامَتِه لِعَلَاقَات «تَطْبِيع»، وَتَوَاطُؤ، وَتَعَاوُن، وَتَحَالُف، بين دولة المغرب، ودولة إسرائيل.

وَأُذَكِّرُ مَنْ نَسِيَ، أن الملك الحسن الثاني، الذي كان يَزْعُمُ أن «الجِنْسِيَة المغربية لا تُفْتَقَد أَبَدًا»، تَنَاقَضَ مِرَارًا مع نَفْسِه. حَيْثُ اِعْتَقَل مثلًا، في سنة 1974، المَغْرِبِي اليَهُودِي الثَوْرِي ابْرَاهَامْ السَّرْفَاتِي (مع مِئَات من رفاقه الثوريّين المغاربة، وأنا منهم)، وَحَكَمَ عليه بالسِّجْن المُؤَبَّد، وَسَجَنَه خلال قُرَابَة 18 سنة، ثم ***اِنْتَزَعَ مِنْه جِنْسِيَّتَه المغربية*** (التي «لا تُفْتَقَد أَبَدًا» !)، ثُمّ قال عنه أنه ابْرَازِيلِيّ الأصل، ثُمّ نَفَاهُ في فرنسا، وذلك بسبب مناهضة ابراهيام السرفاتي للنظام السياسي الاستبدادي القائم في المغرب، وَكَذَلِكَ بِسَبَب مُنَاهَضَته لِلصَّهْيُونِيَة. وَتَعَرَّضَ مَغَارِبَة يَهُود آخرين، لِلْقَمْع، أو لِلْمُضَايَقَات، أو لِلتَّهْمِيش، بسبب نَقْدِهِم، أو مُعَارَضَتِهِم للنظام السياسي الاستبدادي القائم في المغرب، أمثال سِيُّون أَسِيدُون، وَسِيمُون لِيفِي، وَإِدْمُون عَمْرَان المَالِح، وَجَاكُوب كُوهِين، الخ. وفي نفس الوقت، كان الملك الحسن الثاني يَمْنَحُ الْاِمْتِيَّازَات، وَالرِّيع الاقتصادي، إلى الْيَهُود المغاربة الذين كانوا يُبَجِّلُون نظامه السياسي الاستبدادي، وَلَوْ كَانُوا يَمِينِيّين، أو رِجْعِيّين، وَلَوْ كانوا مُنَاصِرِين مُتَحَمِّسِين لِلصَّهْيُونِيَة وَلِإِسْرَائِيل (أمثال: أندري أزولاي، مستشار الملك الحسن الثاني، ثمّ مُسْتَشَار الملك محمد السَّادس؛ وَسِيرْجْ

بِيرْدِيغُو، وزير سابق للسياحة بالمغرب، وَمُفَوَّضْ سَابق في البنك المركزي المغربي؛ وَدَافِيد عَمَّار، رَئِيس سَابِق لِـ «الطائفة اليهودية بالمغرب»، الخ. ومعنى ما سبق ذِكْرُهُ، هو أن اِعْتِنَاء الملك الحسن الثاني بِبَعْض المَغَارِبَة اليَهُود، أو «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، المُتَمَيّزِين بِمُنَاصَرَتِهم لِنِظَامه السياسي الاستبدادي، هو مُجَرَّد سُلُوك سِيَّاسِي اِنْتِهَازِي، وَلَا عَلَاقَة له نِهَائِيًّا، لَا بِقَانُون الجنسية المغربية، وَلَا بِحُقُوق الإنسان، وَلَا بِهَمّ الدِّفَاع عَن أَقَلِّيَة يَهُودِيَة مُضْطَهَدَة. كما أن اليهود المغاربة الذين يُنَاصِرُون الملك الحسن الثاني وَنِظَامَه السياسي الاستبدادي، لَا يَهُمُّهُم نِهَائِيًّا حُبُّ وَطَن المغرب، وَلَا شَعْبُه، وَيَهُمُّهُم فقط الحُصُول على اِمْتِيَّازَات الرِّيع الاقتصادي. وهذه السُّلُوكِيَّات الانتهازية تَبْقَى مَفْهُومَة، وَطَبِيعِيَّة، في إِطَار الرَّأْسَمَالِيَة، وفي إِطَار الصِّرَاع الطَبَقِي.

وقد ذهب الحسن الثاني بعيداً في تَبَعِيَّتِهِ لِلْوِلَايَات المُتَّحِدَة الأمريكية، وَاِنْبِطَاحِه لِإسرائيل، وَلِلْإِسْرَائِيلِيّين، إلى درجة ***خَيَّانَة ضُيُوف اجتماع القِمَّة لِمُلُوك وَرُؤَسَاء جامعة الدول العربية***، المُنْعَقِدَة في 13 شتنبر 1965 في مدينة الدار البيضاء بالمغرب. حيث سمح الملك الحسن الثاني لِمُخَابَرات "المُوسَاد" وَ"الشِّينْ بِيتْ" الإسرائيليَّتَيْن، بِالتَجَسّس على الاجتماعات السِرِّيَة لِلمُلُوك والرُّؤَسَاء العرب. وَأَجَازَ الحسن الثاني لِلْإِسْرَائِيلِيّين تَسجيل المُشَاوَرَات السِرِّيَة لِلْمُلُوك والرُّؤَسَاء العَرَب حول حَرْب مُحْتَمَلَة ضِدَّ إسرائيل. وقد اِعْتَرَف فيما بعد، بعض الضُبَّاط الصَهَايِنَة، مثل مِيرْ أَمِيتْ (Meir Amit)، رئيس "المُوسَاد" الإسرائيلي آنذاك، أن هذا التَجَسُّس، هو الذي مَكَّنَ إسرائيل، في سنة 1967، مِن خَوْض حَرْب اِسْتِبَاقِيَة وَسَاحِقَة ضِدَّ الدول العربية المُجاورة لإسرائيل. وَأَحْدَثَت هذه الحرب خَسَائِرَ اِسْتْرَاتِيجِيَّة هَائِلَة، وَقُرَابَة 45 ألف قَتِيل وَجَرِيح. وَمَكَّنَ إسرائيل من احتلال مناطق تُرَابِيَة جديدة، وشاسعة، في سِينَاء المصرية، وهَضَبَة

الجُلَان السُّورِيَة، والضِفَّة الغَرْبِية من فلسطين، وَقِطَاع غَزَّة، والقُدْس الشَرْقِيَة !

◊ 13) لَا يَجُوز تَجْنِيس «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، لأن ***الفصل 25*** يَقُول: «***إن الطَّلَبَات وَالتَصْرِيحَات المُقَدَّمَة لِاكْتِسَاب الجنسية المغربية، أو لِفُقْدَانِهَا، أو التنازل عنها، وَكَذَا اِسْتِرْجَاعِهَا، تُرْفَع إلى وَزِير العَدْل، مَصْحُوبَة بِالشَّهَادَات، والوَثَائِق، وَالمُسْتَنَدَات***، ...». وَرَغم أنني لَا أَثِقُ في نَزَاهَة وَزِير العدل، ولا في الحُكُومَة، أُلَاحِظُ أَنَّ السُّلْطَة السياسية في المغرب، تَتَعَامَل مع «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، بشكل مُسْبَق، وَبِشَكْل جَمَاعِي، وَدَفْعَةً وَاحِدَة، كَأَنَّهُم مَغَارِبَة مُكْتَمِلِي «الجِنْسِيَة» المغربية، وَمُكْتَمِلِي «المُوَاطَنَة» المغربية، وَلَوْ أَنَّهُم لَمْ يَتَقَدَّمُوا كَأَفْرَاد بِـ «طَلَبَات وَتَصْرِيحَات لِاكْتِسَاب الجِنْسِيَة المغربية، ... أو لِاسْتِرْجَاعِهَا... إلى وَزِير العدل... مَصْحُوبَة بالشَّهَادات والوَثَائِق، والمُسْتَنَدَات...». وعليه، يُعَدُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين بَاطِلًا. وَيُوجَدُ في سُلُوك السلطة السياسية المغربية حَمَاسٌ مُفْرِطٌ، وَشَطَط في اِسْتِعْمَال السُّلْطَة، يَنِمُّ عن فِعْلٍ سِيَّاسَوِي اِنْتِهَازِي، وَمُنَافٍ للقانون.

وَلَوْ كانت تُوجَد بِالمَغرب دَوْلَة الحَقّ وَالقَانُون، وَلَوْ كَان يُوجَد في المغرب فَصْلٌ فيما بين السُّلُطَات (التَشْرِيعِية، والتَنْفِيذِية، والقَضَائِيَة)، لَكَان مِن حَقّ النِيَّابَة العَامَّة أن تَعْتَرِضَ على أَيِّ تَجْنِيسٍ [=مَنْح الجِنْسِيَة] يَتِمُّ بِشَكْل غير قانوني. حيثُ يقول ***الفصل 28***، «***يجوز للنيابة العامة، أو لكل شَخْص يَهُمُّهُ الأمر*** [!]، ***أن يَطْعَنَ لَدَى المحكمة الابتدائية في صِحَّة تَصْرِيح*** [=تَجْنِيس] ***سَبَقَ أن وَقَعَتْ الموافقة عليه بصورة صريحة أو ضمنية*** [!]، ***وفي حالة الطّعن، يجب تدخل النيابة العامة بالأمر***». لكن في النظام السياسي القائم بالمغرب، يَسْتَحِيل أن يُوجَد نَقْد مُتَبَادَل، أو مُرَاقَبَة مُتَبَادَلَة، أو مُحَاسَبَة مُتَبَادَلَة.

بِالْإِضَافَة إلى أنّ ***الفصل 29***، يَشْتَرِط في «التَجْنِيس» أن يُوجَد فيه شَرْطُ «الْإِشْهَار». حيثُ يقول: «***تُنْشَرُ في الجريد الرّسمية الظَهَائِر وَالمَرَاسِيم المُتَّخَذَة بِشَأْن الجِنْسِيَة***». بينما في حالة «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، فَإِنَّ السلطة السياسية تَتَعَامَل معهم، بشكل مُسْبَق، وَبِشَكْل جَمَاعِي، وَدَفْعَة وَاحِدَةً، كما لَوْ أَنَّهُم حَصَلُوا على الجِنْسِيَة المغربية بشكل قانوني، ***دُون أن يَسبِقَ ذلك حُكْمٌ قَضَائِي، ثُمَّ إِشْهَارٍ في «الجريدة الرّسمية»***. وعليه، يُعَدُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين بَاطِلًا.

◊ 14) لَا يَجُوز تَجْنِيس «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، لأنه لم يَسْبِق لِهَؤُلَاء [كَأَفْرَاد، وَلَيْسَ كَمَجْمُوعَة] أن أَثْبَتُوا أَحَقِّيَتَهُم في اِكْتِسَاب الجِنْسِيَة المغرب أمام المَحَاكِم الابتدائية. حيث أن ***الفصل 30*** يقول: «***يَقَعُ عِبْءُ الْإِثْبَات في قضايا الجنسية لدى المَحَاكم الابتدائية [المغربية] على كلّ شَخْص يَدَّعِي الجِنْسِيَة المغربية لِنَفْسِهِ، أو لغيره، أو ينكرها كذلك بدعوى أصلية، أو عن طريق الدفع***». لكن هذا الإجراء القانوني لم يَحْدُث. وعليه، يُعَدُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين بَاطِلًا.

◊ 15) لَا يَجُوز تَجْنِيس «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، لأن القانون يَشْتَرِطُ «***إثبات الجنسية الأصلية***». حيثُ يَقُول ***الفصل 31*** : «***إذا اِدَّعَى شَخْصٌ الجنسية المغربية كجنسية أَصْلِيَة، يُمكنه أن يُثْبِتَهَا بِجَمِيع الوسائل، وَلَاسِيَّمَا عن طريقة الحَالَة الظَّاهِرَة. [وَ] تَنْجُمُ الحالة الظاهرة للمواطن المغربي عن مجموعة من الوَقَائِع العَلَنِيَة، المَشْهُورَة، المُجَرَّدَة من كلّ اِلْتِبَاس، تُثْبِتُ أن الشخص المعني بالأمر، وَأَبَوَيْه، كانوا يتظاهرون بِالصِّفَة المغربية، وكان يُعْتَرَفُ لهم بهذه الصِفَة، لا من طرف السلطات العمومية فحسب، بل حتى من طرف الأفراد***». وهذا الشَّرْط لَا يَتَوَفَّرُ في «الإسرائيليّين من أصل مغربي». وعليه، يُعَدُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين بَاطِلًا.

وفي مَجَال «الْإِثْبَات القَضَائِي» لِلْجِنْسِيَة، يَقول ***الفصل 35*** : «***إن إثْبَات تَمَتُّع شَخْص بالجنسية المغربية، أو عدم تمتعه بها، يمكن في أي حالة من الأحوال أن يَتِمَّ بِالْإِدْلَاءِ بِنَسْخَة من المُقَرَّر القَضَائِي الذي بَتَّ في المسألة نهائيا، باعتبارها دَعْوَى أصلية***».

وهذا الفصل يُثِيرُ إِحْدَى نُقَط الضُّعْف الموجودة في القانون المغربي الحالي لِلْجِنْسِيَة. حيثُ كان يَجب على قانون الجنسية أن يَتْرُكَ الحَسْمَ في كُلِّ قَضَايَا مَنْح الجِنْسِيَة، أو سَحْبِهَا، إلى ***القَضَاء وَحْدَه،*** دُون السَّمَاح بِأَنْ تَتَدَخَّلَ فيه الحكومة، أو وزير العدل، أو وزير الخارجية، أو المجلس الوزاري بِرِئَاسَة المَلِك.

وفي مَجَال «الاِخْتِصَاص في المُنَازَعَات القَضَائِيَة بِشَأن الجِنْسِيَة»، يقول ***الفصل 36*** : «***تَخْتَصُّ المحاكم الابتدائية*** (...) بالنظر في المنازعات حول الجنسية. يَبُتُّ ***المجلس الأعلى، والمحاكم الإدارية*** (...) كل في مجال اختصاصه، في دعاوى إلغاء المقررات الإدارية المتعلقة بالجنسية. وإذا ما اِقْتَضَى البَتُّ في نزاع قضائي تَأْوِيلَ مُقتضيات دُوَلِيَة، تتعلق بجنسية، يجب على ***النيابة العامة،*** بِنَاءً على طلب ***المحكمة*** المرفوعة إليها الدعوى، أن تطلب ذلك التأويل من ***وزير الشؤون الخارجية.*** وإن التأويل الذي يقول به الوزير المذكور يَتَعَيَّنُ على المحاكم أن تَعْمَلَ به، وَيُنْشَر في الجريدة الرسمية». وَفي رأيي، يجب أن يَحْسِمَ القَضَاء وَحْدَهُ في قَضَايَا الجِنْسِيَّة. وَلَا يُعْقَلُ، وَلَا يُقْبَل، إِخْضَاع تَطْبِيق قانون الجِنْسِيَة لِتَأْوِيلَات وَزِير الخَارِجِيَة، وَلَا لِلْمُعَاهَدَات الدُوَلِيَة، وَلَا لِتَدَخُّلَات السُلْطَة التَنْفِيذِيَة، وَلَا لِمَجْلِس الوُزَرَاء.

◊ 16) لَا يَجُوز تَجْنِيس «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، لأن ***الفصل 38*** يُوجِب بِأن تَكُون «الدَّعْوَى التي تَرْمِي إلى ***الاعتراف بالجنسية لشخص، أو إنكارها عليه، تُقَامُ لدى المحكمة الابتدائية*** التي يقع في دائرة نفوذها مَحَلُّ سُكْنَاه. وإذا لم يكن له محل السكنى في

المغرب، فَتُرْفَعُ الدعوى لدى ***المحكمة الابتدائية بالرباط***». بَيْنَمَا هذا الإِجْرَاء القانوني لَم يُنَفَّذ في حالة «الإسرائيليّين من أصل مغربي». وعليه، يُعَدُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين بَاطِلًا.

◊ 17) لَا يَجُوز تَجْنِيس «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، لأن ***الفصل 39*** يُوجِبُ، في مَجَال التَجْنِيس، أن يَخْضَع لِلْإِجْرَاءَات التَالِيَة : «***كل شخص يَدَّعِي تَمَتُّعَه بالجنسية المغربية، أو يَنْفِيهَا عنه، له الحق في تقديم دَعْوَى.*** تُقَام الدَّعْوَى في مواجهة النيابة العامة، التي لها وحدها الصِفَة في الرَدّ، وذلك بصرف النظر عَمَّا لِلْأَغْيَار من حقّ التدخل في هذه الدَّعوى. ***وللنيابة العامة وحدها الحق في أن تُقيم على أيّ شخص كان، دَعْوَى تكون الغاية الرئيسية والمباشرة منها، إِثْبَات تَمَتُّع المُدَّعَى عَليه بالجنسية المغربية، أو عدم تَمَتُّعِهِ بها،*** كما أنها مُلْزَمَة بإقامة الدّعوى، فيما إذا طَلَبَتْ منها ذلك إحدى الإدارات العمومية». لكن هذه الإجراءات القانونية لم تُطَبَّق، ولم تُحترم، في حالة تَجْنِيس «الإسرائيليّين من أصل مغربي». وعليه، يُعَدُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين بَاطِلًا.

بَلْ الغَرِيب هو أنّ السُّلْطَة السياسية في المغرب، تُبَالِغُ في العِنَايَة بِمُجْمَل «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، وَتَمْنَحُهُم الجِنْسِيَة المغربية، بِشَكْل مُسْبَق، وبشكل جَمَاعِي، وَدَفْعَةْ وَاحِدَة، وَلَوْ أن عَدَدًا من هؤلاء الـ 700 ألف «إسرائيلي من أصل مغربي» لَمْ يَهْتَمُّوا بِالجِنْسِيَة المغربية، وَلَمْ يُطَالِبُوا بها، ولم يَقُومُوا بِأَيّ إِجْرَاء قَانُونِي لِلْحُصُول عليها. وهذا السُلُوكُ مُتَنَاقِضٌ مع بُنُود قانون الجنسية السَّالِفَة الذِّكْر. وعليه، يُعَدُّ تَجْنِيس الإسرائيليّين بَاطِلًا.

وَ نَتَذَكَّر بهذا الصَّدَد تَعَامُلًا مُنَاقِضًا، حَدَثَ مع جَزَائِرِيّين كانوا يُقِيمُون منذ عُقُود في المغرب. حيثُ أنه، بَعْدَ إِصْدَار دولة المغرب، في 2 مارس 1973، لِظَهِير يتعلق «بتأميم وَمُصَادَرَة الأراضي الزراعية والمباني العائدة لأفراد وكيانات اعتبارية أجنبية»، قامت دولة المغرب

(تحت حكم الحسن الثاني)، بِطَرْد مَا يَتَرَاوَح بين 10 ألاف و 14 ألف جَزَائِرِي، دُون اِكْتِرَاث كبير بِحُقُوقِهِم، وَبِمُمْتَلَكَاتِهِم، وَلَا بِاكْتِسَاب بعضهم ***لِلْجِنْسِيَة المغربية***. وَقَالَ بعض هؤلاء الجزائريّين المُهَجَّرِين أن دولة المغرب صَادَرَت أملاكهم في المغرب، وبِدون تَعْوِيض (على عكس الأجانب الأورُبِيّين الذين حَصَلُوا على تعويضات). كَمَا يُعَاب على دولة الجزائر أنها قامت، في ديسمبر 1975، (تحت حكم الرئيس هُوَّارِي بُومَدْيَنْ)، بِتَهْجِير مغاربة كانوا يُقِيمُون منذ عُقُود في الجزائر. وكان عددهم يُقَارِبُ 45 ألف عائلة مغربية، أو زُهَاءَ 350 ألف شخص، وَدُون اِكْتِرَاث كبير بِحُقُوقِهِم، وَلَا بِاكْتِسَاب بعضهم لِلْجِنْسِيَة الجَزَائِرِيَّة، وَبِدُون تَعْوِيض... ثمّ قامت السلطات المغربية، في العام 1994، بحجة الهجوم الإرهابي الذي حَدَثَ في مدينة مراكش، بطرد آلاف الجزائريين البَاقِين في المغرب، بمن فيهم مقيمون يَحْمِلُون تَصَارِيحَ إِقَامَة. وهذه السُلُوكِيَّات المُؤْسِفَة، تَتَنَاقَضُ مع نَوْعِيَة تَعَامُل دولة المغرب مع «الإسرائيليّين من أصل مغربي». (بَيْنَمَا دولة الجزائر، وعلى عكس دولة المغرب، تَرْفُضُ صَرَاحَةً "التَطْبِيع"، وَتُنَاهِضُ عَلَنِيَّةً الصَّهْيُونِيَة).

◊ 17) وفي حالة وُجُود تَنْظِيمَات جَمْعَوِيَة، أو مَدَنِيَة، أو سياسية، تُرِيد إِقَامَة دَعْوَى ضِدَّ تَجْنِيس «إسرائيليّين من أصل مغربي»، يَفْرِضُ عليها ***الفصل 40*** الإجراء التَالِي: «تتولى ***المحاكم الابتدائية*** النظر في دعوى الجنسية بموجب الإحالة، إما بطلب من النيابة العامة، وإما من أحد طرفي الدّعوى (...) يجب على الطَرَف الذي يُنَازِعُ في الجنسية، أن يُقِيم دَعْوَاه في آن واحد ،ضِدَّ الشخص المُنازع في جنسيته، وضد النيابة العامة». والمشكل في قضاء المغرب، هو أن نسبة هامّة من أشخاصه غير مُسْتَقِلّين تُجَاه السُلْطَة السياسية.

◊ 18) وَإِذَا اِسْتَعْمَلْتُ في المقال الحالي بُنُودَ قانون الجنسية المغربية لِإِثْبَات بُطْلَان تَجْنِيس «إسرائيليّين من أصل مغربي»، فهذا لَا

يعني أنني أُقَدّسُ هذا القانون، أو أنني أُوَافِقُ على كُلّ مَضْمُونِه. بَلْ مِن حَقّي أن أَسْتَعْمِل هذا القانون مَا دَامَ هو القانون القَائِمُ في البِلَاد، وفي نَفْسِ الوَقْت، مِنْ حَقّي أن أَنْتَقِدَ بعض بُنُود هذا القانون، وَأَنْ أُطَالِبَ بِمُرَاجَعَتِه، وَتَغْيِيرِه. حَيْثُ أنه، في **الفصل 1** من قانون الجنسية المغربية، جَاءَت عبارات غَامِضَة، وَقَابِلَة لِتَأْوِيلَات مُتناقضة، وَتَحْتَمِلُ حتى مُنَاوَرَات سِيَّاسَوِيَة اِنْتِهَازِيَة. حيث يقول الفصل 1 : «تُحَدَّدُ المُقْتَضَيَات المُتعلّقة بالجنسية المغربية بموجب القانون، وعند الاقتضاء بِمُقْتَضَى ***المُعَاهَدَات***، أو ***الْأَوْفَاق الدُوَلِيَة***، التي تَقَعُ المُصادقة عليها، وَيَتِمُّ نَشرها. إن مقتضيات المعاهدات، أو الأوفاق الدولية المصادق عليها، والموافق على نشرها، ***تُرَجَّحُ على أحكام القانون الداخلي***». وهذا الإجراء (الذي قَدْ يُمْكِن قَبُولُه في بعض القضايا المُتَعَلّقَة بِحُقُوق الإِنْسَان، وليس بِقَضَايَا الجِنْسِيَة المغربية) هُوَ خَاطِئ سِيَّاسِيًّا، وَبَاطِل قَانُونِيًّا، حَتَّى وَلَوْ كُتِبَ دَاخِل نَصٍّ قَانُونِي (مَنْشُور في الجريدة الرَّسْمِيَة). لأن تَطْبِيقَه يُؤَدّي إلى سُلُوكِيَّات مُتَنَافِيَة مع اِسْتِقْلَال شعب المغرب، وَمَعَ سِيَّادَتِه. حيثُ أنه، إذا أَبْرَمَت مَثَلًا السلطة السياسية في المغرب مُعَاهَدَةً تَنُصُّ على أن مُوَاطِنِي فَرَنْسَا، أو الولايات المُتحدة الأمريكية، أو إسرائيل، يَحِقُّ لهم الحُصُول، بِشكل آلِي، وَجَمَاعِي، على جِنْسِيَّة المغرب، وعلى حُقُوقِهَا، حَتَّى لَوْ كَان هذا الإِجْرَاء بِدُون مُعَامَلَة بِالْمِثْل، فإن شَعْب المغرب سَيَرْفُضُ مُطْلَقًا «تَرْجِيحَ مُقْتَضَيَات هذه المُعَاهَدَة على أحكام قانون الجِنْسِيَة المغربية». لأن مثل هذا الإجراء خَاطِئ مَبْدَئِيًّا، وَمَرْفُوض سِيَّاسِيًّا، وَيُهَدّدُ اِسْتِقْلَال المَغْرِب وَسِيَّادَتَهُ. حيثُ أن الجِنْسِيَة تُكْتَسَبُ أَسَاسًا بشكل فَرْدِي (وَلَيْسَ جَمَاعِي)، وَبِالوِلَادَة في البلاد، وبِالإِقَامَة المُنْتَظِمَة فيه. دُونَ الكَلَام عَن ضَرُورَة المُسَاهَمَة في خِدْمَة مَصَالِح شَعْب هذه البِلَاد. وَلَا يُعْقَل، وَلَا يُقْبَل، أن يَخْضَع مَنْحُ الجِنْسِية، أو تَثْبِيتُهَا، أو سَحْبُهَا، لِتَدَخُّلَات الدُّوَل الأَجْنَبِيَة. وَإِلَّا أَصْبَحْنَا مُسْتَعْمَرِين. وَيَنْدَرِجُ

تَدْبير «الجنسية» ضِمْنَ نِطَاق سِيَادَة الشَّعْب، وَتَدْبير مُمَثِّلِيه. ***ولا يجوز إطلاقًا للدُّوَل الأجنبية أن تَتدَخَّل في هذا المَجال، سَوَاءً عَبْرَ «مُعَاهَدَات، أو أَوْفَاق دُوَلِيَة»، حَتَّى وَلَوْ «صَادَقَت عليها الحُكُومَات» المَعْنِيَة.***

◊ 19) يُدَافع بعض الأَشْخَاص على حَقِّهِم في أَنْ ***يَحْمِلُوا، في نفس الوقت، جِنْسِيَّات عِدَّة دُوَل غَرْبِيَة مُخْتَلِفَة.*** وَيَتَعَامَلُ بعض هؤلاء الأَشْخَاص مع ***الجِنْسِيَّة*** كَأَنَّهَا مُجَرَّد رُخْصَة لِلسَّفَر، أو لِرُكُوب الطَّائِرَة، أو لِدُخُول بُلْدَان وَأَسْوَاق تِجَارِيَة أجنبية، أو وَثِيقَة لِتَسْهِيل السِّيَاحَة، أو إِبَاحَة لِلْاِشْتِغَال بِأُجْرَة مُرْتَفِعَة في البلدان الغَرْبِيَة، أو رُخْصَة لِلْاِسْتِفَادَة مِن الامْتِيَازَات المُتَوَفِّرَة في بعض الدُوَل الغَرْبِيَة المُتَقَدِّمَة، مثل العِلَاجَات الطِبِّيَة، أو التَسْهِيلَات البَنْكِيَة، أو وَسِيلَة لِتَهْرِيب جُزْء مِنْ ثَرَوَاتِهِم المَالِيَة وَتَأْمِينِهَا في دُول قوية، وَمُسْتَقِرَّة، الخ. وَنُلَاحِظُ أن هؤلاء الأشخاص يهتمّون بالحُصُول على جِنْسِيَّات الدُوَل القَوِيَة، والمُتَقَدِّمَة، بَيْنَمَا لَا يُبَالُون بالمُطَالَبَة بِجِنْسِيَّات بُلْدَان موجودة في إفريقيا، أو آسيا، أو أمريكا الْجَنُوبِيَة، تَتَمَيَّزُ بِمَحْدُودِيَة تَقَدُّمِهَا، أو بِعَدَم اِسْتِقْرَارِهَا، أو بِاحْتِيَاجِهَا لِلتَّضْحِيَة. لِذَا فَإِنَّ المُطَالَبَة بِحَقّ حمل جِنْسِيَّات مُتَعَدِّدَة، لَا عَلَاقَة لها بِالدِّيموقراطية، وَلَا بِحُقُوق الإنسان، وإنما تَرْجِعُ هذه المُطَالَبَة (بِحَقّ حَمْل جِنْسِيَّات مُتَعَدِّدَة) إلى اِنْتِهَازِيَة بَعْض أَفْرَاد النُخَب المَيْسُورَة، التي تَبْحَثُ عن مَصَالِحَ، وَعَنْ اِمْتِيَّازَات شَخْصِيَة. وَتَتَنَافَى العَدَالَة المُجْتَمَعِيَة مع تَشْرِيع السَّمَاح بِتَعَدُّد الجِنْسِيَّات. حيثُ ***يَسْتَحِيل تَعْمِيمُ تَعَدُّد الجِنْسِيَّات على كُلّ أَفْرَاد الشعب. فَيَسْتَحِيل تَحْقِيق المُسَاوَاة فيما بين المُوَاطِنِين في هذا المَجَال.*** وَتَبْقَى الامْتِيَّازَات النَاتِجَة عن تَعَدُّد الجِنْسِيَّات مَحْصُورَة بالضَّرُورَة في بعض أفراد النُخَب المَيْسُورَة، أو الثَرِيَة. وَهَكَذَا يَزْدَاد الأغنياء ثَرَاءً وَرَفَاهًا، وَيَسْتَفْحِلُ فَقْرُ الفُقَرَاء، أو تَهْمِيشُهُم. وَتَتَفَاقَمُ الهُوَّةُ بين الفُقَرَاء والأَغْنِيَّاء. وَيُقَلِّلُ عَادَةً الأشخاص المُطَالِبِين بِتَعَدُّد

الجِنْسِيَّات مِن أَهَمِّيَة الوَاجِبَات السِيَّاسِيَة المُتَرَتِّبَة عَنْ حَمْل كُلّ جِنْسِيَة. ***وَلَا يُبَالُون بِالتَنَاقُضَات النَّاتِجَة عَمَّا يُوجِبُه تَعَدُّد الجِنْسِيَّات مِن وَلَاءَات لِدُوَل مُتَبَايِنَة، أو مُتَنَاقِضَة، أو مُتَصَارِعَة، أو مُتَعَادِيَّة.*** وَلَا يَهْتَمُّون سِوَى بِمَصَالِحِهِم الشَّخْصِيَة، أو الأَنَانِيَة. فَغَالِبًا مَا يَخْفِي حَمْل شَخْص مُحَدَّد لِجِنْسِيَّات مُتعدِّدَة سُلُوكًا اِنْتِهَازِيًّا، يَبْحَثُ من خِلَالِه عَن تَعَدُّد المَنَافِع، وَيَتَهَرَّبُ، في نفس الوقت، من كَثْرَة الوَاجِبَات. بَيْنَمَا حَمْل كُلّ جِنْسِيَة مُحَدَّدَة يُوجِبُ الاِنْتِمَاء إلى بَلَد مُعَيَّن، وَإِلى وَطَن مُحَدَّد، وشعب مَعْرُوف، ودولة مَعْلُومَة. وَتَنْتُجُ عن حَمْل أَيَّة جِنْسِيَة ضَرُورَة الوَفَاء، وَالإِخْلَاص، لِذَلِك البَلَد المُحَدَّد، أو الوَطَن، أو الشعب. وَلَا يُمْكِن لِأَيّ عَاقِل أن يَنْفِيَ إِمْكَانِيَة أَنْ تُصْبِحَ الدُوَلُ المُخْتَلِفَة، التي نَحْمِلُ في نَفْس الآن جِنْسِيَّاتِهَا المُتَعَدِّدَة، في حَالَة تَنَافُس، أو صِرَاع، أو صِدَام، أو عَدَاء. وفي هذه الحالة، يَغْدُوا حَامِلُو جِنْسِيَّات مُتَعَدِّدَة «عُمَلَاء لِقِوَى أَجْنَبِيَة مُعَادِيَة». وَسَيَكُونُ آنَذَاك قَدْ فَاتَ الأَوَان لِمُعَالَجَة مُشْكِل تَعَدُّد الجِنْسِيَّات. فَمِن مَصْلَحَة شُعُوبِنَا، في بُلْدَان العالم الثالث، أن نَمْنَع حَمْل مُوَاطِنِينَا لِجِنْسِيَّات مُتَعَدِّدَة. وَمَنْ يُفَضِّلُ البُلْدَان الغَرْبِيَة على وَطَنِه في العالم الثالث، فَلْيَذْهَب نِهَائِيًّا إِلَيْهَا. وَمَنْ يُفَضِّلُ إِسْرَائِيل على المغرب، ليسَ مِنَّا.

◊ 20) وفي مقال منشور على موقع الموسوعة "فِيكِيبِيدْيَا" (Wikipedia)[7]، كُتِبَتْ الجُمْلَة المُعْرِضَة التَالِيَة : «تماشيا مع قوانين الجنسية المغربية، ***صدر قرار للدولة المغربية سنة 1976 بعدم إسقاط الجنسية المغربية عن اليهود المغاربة الذين هاجروا*** في المراحل السابقة، ***وبذلك يمكنهم*** العودة إلى بلدهم متى شَاءُوا، ***باعتبارهم مواطنين مغاربة***». وهذه الجُمْلَة هي مُغَالَطَة مَفْضُوحَة، وذلك لِعِدَّة اِعْتِبَارَات: ***أَوَّلًا،*** الإجراءات الإدارية الواردة في الجُمْلَة

(7) وَرَابِطُهَا هو : https://ar.wikipedia.org/wiki/مغاربة–يهود/

السَّابِقَة تَتَنَافَى مع قانون الجنسية المغربية (مثلما أَوْضَحْتُ سَابِقًا في هذا المقال)؛ ***ثَانِيًا***، إذا اِفْتَرَضْنَا صِحَّة وُجود ذَاكَ القَرَار المَزْعُوم (في اِنْتِظَار التَّأَكُّد من ذلك)، المَنْسُوب إلى دولة المغرب في سنة 1976، فَإنه سَيَكُونُ ***مُجَرَّد قَرَار سياسي، وليس حُكْمًا قَضَائِيًّا شَرْعِيًّا***. ***وَثَالِثًا***، وَعلى عَكْسِ مَا كُتِبَ في مَقَال "فِيكِيبِيدْيَا" (Wikipedia)، هذا القَرَار المَزْعُوم يَتَنَافَى مع كلّ بُنُود قَانون الجِنْسِيَّة المغربية الصادر في سنة 1958. ***ورَابِعًا***، كل فصول قانون الجنسية المغربية التي تَتَنَاوَلُ مَنْح الجِنْسِيَة أو سَحْبهَا (الفصول 6، و 7، و 12، و 26، و 27، الخ)، تَتَحَدَّثُ عن ***الجِنْسِيَة بِالنِّسْبَة لِشَخْص فَرْد مُحَدَّد***؛ وَلَا يُوجد إِطْلَاقًا في قانون الجنسية المغربية مَا يُبَرِّر مَنْحَ الجِنْسِيَة، أو تَثْبِيتَهَا، أو سَحْبَهَا، ***لِمَجْمُوعَة بَشَرِيَة*** مُتَعَدِّدَة (وَلَوْ تَعَلَّقَ الأمر بِـ «مَغَارِبَة يَهُود»، أو بِـ «إسرائيليّين من أصل مغربي»). ***وَخَامِسًا***، لَا يُوجَدُ إِطْلَاقًا في قانون الجنسية المغربية مَا يُبَرِّر إِصْدَارَ قَرَار بِـ «عَدَم إسقاط الجنسية المغربية [في المُسْتَقْبَل] عن [مَجْمُوعَة] اليهود المغاربة الذين هاجروا...». وَمَن يَزْعُمُ عَكْسَ ذَلك فهو مُضَلِّل، أَو مُخَادِع، أو كَذَّاب، أو مُحْتَال، وَيَخْدُم أهدافًا إِجْرَامِيَة.

◊ 21) لَا أَتَوَقَّعُ من النظام السياسي القائم في المغرب أن يَتَرَاجَع عن «تَجْنِيس الإسرائيليّين من أصل مغربي»، أو أن يَلْتَزِمَ بِتَنْفِيذ القَوَانِين القائمة في البلاد (بما فيها قانون الجنسية)، حَتَّى وَلَوْ كَانَ هو الذي وَضَعَهَا بِنَفْسه.

◊ 22) يَحْتَاجُ قانون الجِنْسِيَة المغربية إلى مُرَاجَعَة، وَإلى تَحْيِين، وإلى الكَثِير مِنَ التَعْدِيلَات، وإلى إصلاح النقائص الموجودة فيه. وبعض التَدَابِير المَنْصُوص عليها فيه (مثل تَدَخُّل وَزِير الخَارِجِيَة، وَوَزِير العدل، والمجلس الوزاري، الخ) تَحْتَاج لِلْإِلْغَاء، لِكَيْ يُصْبِح ***القَضَاء وَحْدَهُ مُكَلَّفًا بِحَسْم قَضَايَا الجِنْسِيَة*** عبر تَنْفِيذ قانون الجنسية المغربية.

◊ 23) ***الخُلَاصَة*** التي أَسْتَنْتِجُهَا من فَضِيحَة تَجْنِيس «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، (وكذلك من العديد من الفضائح الأُخرى، الاقتصادية والسياسية، التي تَتَرَاكَمُ في المغرب منذ عَشَرَات السّنِين)، هي أن ***دولة المغرب أَصْبَحَت في حَالَة إِفْلَاس سِيَاسِي، وأن الدولة فقدت استقلالها، وأن الشعب فقد سِيَادَتَه، وَدَخَلَ في سَيْرُورَة وَاضِحَة من الانْحِطَاط المُجْتَمَعِي***. وأَقْصِد بِمَفْهُوم «***الدَوْلَة المُفْلِسَة سِيَاسِيًّا***»، الدولة التي تَتَمَيَّزُ بِالصِفَات التَالِيَة :

ـ غِيَّاب، بَلْ اِسْتِحَالَة وُجُود، ***دَوْلَة الحَقّ والقَانُون؛***

ـ نِسْبَة هَامَّة من الأشخاص المَسْئُولِين في الدولة (أَيْ الذين هُمْ مُكَلَّفُون بِتَدْبِير الدَوْلَة والمُجْتَمع)، أَصْبَحُوا ***مُسْتَلَبِين*** (aliénés, alienated)، وَلَمْ يَعُودُوا يَهْتَمُّون سِوَى بِخِدْمَة مَصَالِحِهِم الشَخْصِيَة الأنانية؛ وأصبحوا عاجزين على تَلْبِيَة حَاجِيَّات الشعب، وَعلى تَخْلِيق مَأْجُورِي الدولة، وعلى مُعَالَجَة مَشَاكِل المُجتمع؛

ـ تُوجَدُ نِسْبَة هَامَّة من المَسْئُولِين الكبار والمتوسّطِين في حالة ***تَضَارُب المَصَالِح*** (conflits d'intérêts)؛

ـ مُعْظَمُ المَسْئُولِين (كبارًا وصغارًا) في أجهزة الدولة يَفْعَلُون عَكْسَ مَا يجب فِعْلُه؛

ـ تُصْبِحُ الدولة عَاجِزَة على الْإِلْتِزَام بِتَنْفِيذِ الكَثِير من القَوَانِين التي وَضَعَتْهَا هي بِنَفْسِهَا؛

ـ أَعْدَاد مُتَزَايِدَة من المَسْئُولِين في الدولة يَغْتَنُون بشكل غير مَشْرُوع، وَيُهَرِّبُون جُزْءًا هَامًّا مِنْ ثَرَوَاتِهِم إلى الدول الغربية الإِمْبِرْيَالِيَة؛

ـ رغم وُجُود فَضَائِح فَسَاد كَثِيرَة، وَجَلِيَّة (وَقَد اعْتُقِلَ كثيرون من الصَحَافِيِّين الْاِسْتِقْصَائِيِّين المَغاربة بِسَبَب فَضْحِهَا)، ***يَغْدُو من المُسْتَحِيل مُحَاسَبَة، وَمُعَاقَبَة، مُرْتَكِبِي هذه الفَضَائِح***. أَيْ أَنّ

مُؤَسَّسَات الدولة تَغْدُوا عَاجزَة على تَنْفِيد قَوَانِين المُرَاقَبَة، والمُحَاسَبَة، والعِقَاب، في حَالَات الْاِغْتِنَاء غير المَشْرُوع.

ـ وفي حالة هذه «الدولة المُفْلِسَة سِيَّاسِيًّا»، تَمْتَزِج عُضْوِيًّا صِفَاتُ «الإِفْلَاس السِيَّاسِي» بِصِفَات «الإِسْتِبْدَاد»، و«الفَسَاد».

وَفي الخِتَام، وَبَيْنَمَا أنا عَائِدٌ في الحَافِلَة إلى منزلي، حكى لي صديق أنه، بعد جِدَال حَادّ له مع أحد جيرَانِه، خَتَمَ هذا الجَار كَلَامَه قَائِلًا : «أُنْظُر، لَا تُحَاوِلْ إِقْنَاعِي، فَمَهْمَا قُلْتَ، سَأَبْقَى مُنَاصِرًا لِلنِظَام السياسي القَائِم في المغرب، وَلِلْمَلِك المُؤَيَّد بِالله، وَأَعْتَبِرُ أن أَحْبَابَنَا هم الإِسْرَائِيلِيُّون، والأَمْرِيكَان، والفَرَنْسِيُّون، وَأَعْتَبِرُ أن الفَلَسْطِينِيّين والجَزَائِيرِيّين والْإِيرَانِيّين هم أَعْدَاءُنَا، وَيَجِبُ أَنْ نُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ لِلْإِسْرَائِيلِيّين، بِمَا فيه الجِنْسِيَة، وَالمُوَاطَنَة، وَتَسْهِيلَات الْاِسْتِثْمَار، وَلَوْ بِدُون مُقَابِل، وَحَتَّى بِدُون مُعَامَلَة بِالمِثْلِ، وَلَنْ أَسْتَمِعَ لِأَيّ شَخْص يُحَاوِلُ إِقْنَاعِي بِعَكْسِ ذلك». فَقُلْتُ مُبْتَسِمًا لذلك الصَدِيق : «هذا بالضَّبْط هو مَرَض التَطَرُّف اليَمِينِي، أو قِمَّة السَذَاجَة في السياسة».

(حُرِّرَ وَنُشِرَ هذا الفصل في 12 شتنبر 2022، بِصَدَد نَقْد الإجراءات غير القانونية التي اِتَخَذَتْهَا السلطة السياسية في المغرب في مجال تَجْنِيس «الإسرائيليّين من أصل مغربي»).

8ـ إسْرَائِيل تُدْخِلُ الطَّائِفِيَّةَ لِلْمَغْرِب

59) قَبْلَ تَنَاوُل حَدَث ***إِدْخَال إِسْرَائِيل لِلطَّائِفِيَة إِلى المغرب،*** أُشِيرُ إِلى أنّ شعب المغرب مَحْرُوم مِن ***وَسَائِل إِعْلَام مُسْتَقِلَّة وَمِهَنِيَة،*** وَقَادِرَة على إِخْبَار هذا الشعب بِمَا يَحْدُث، وَمُؤَهَّلَة لِتَنْبِيهِ الشعب إِلى الْأَخْطَار التي يُحْتَمَل أَنْ تَنْجُمَ عَمَّا يَحْدُث. وَمِن بَيْن أَدْوَار الصَحَافِيّين، أن يَعْمَلُوا كَمُخْبِرِين، وَكَمُبَلِّغِين، وَكَمُحَلِّلِين، وَكَنُقَّاد، وَكَمُنَبِّهِين، وَكَمُثَقِّفِين مُنَوِّرِين، وَلَيْسَ كَمَا يَفْعَل بعض الصَّحَفِيّين،الذين يَبْقَوْنَ مَشْغُولِين فقط بِمَدَاخِيلِهِم النَقْدِيَة.

مِن فَتْرَة لِأُخْرَى، تَحْدُثُ في المغرب تَطَوُّرَات هَامَّة، إِمَّا بِمَنَافِعِهَا، وَإِمَّا بِأَضْرَارِهَا، وإِمّا بِمَخَاطِرِهَا الاستراتيجية. لكن شعب المغرب لَا يَعْلَمُ حُدُوثَ هذه التَطَوُّرَات، أو لَا يُحَلِّلُهَا، أو لَا يَفْهَمُهَا. وذلك لأن طَبِيعَة النظام السياسي القائم في المغرب، تَجْعَلُه لَا يَقْبَل بِأَن تُوجَدَ في المغرب ***مَنَابِر إِعْلَامِيَة، مُتَمَيِّزَة بِكَفَاءَتِهَا، وَبِاسْتِقْلَالِهَا، وَبِنَزَاتِهَا، وَبِنَقْدِهَا، وَبِتَنْوِيرِهَا.*** ولأن هذه المَنَابِر الإِعْلَامِيَة المغربية، حَتَّى وَإِنْ وُجِدَت، لَا تستطيع أن تُخْبِرَ الشعب بِحُدُوث هذه التَطَوُّرَات، أو أن تَشْرَحَ له أَسْبَابَهَا، وَأَبْعَادَهَا، وَدِينَامِيَتَهَا، وَنَتَائِجَهَا المُحْتَمَلَة في المُسْتَقْبَل. ولأن مَا مَارَسَتْهُ دولة المغرب مِن قمع سياسي، على اِمْتِدَاد عشرات السِنِين، أَدَّى إِلى القَضَاء على الصحافة المُسْتَقِلَّة، أو الوَطَنِيَة، أو التَقَدُّمِيَة، أو النَاقِدَة. وَلم تَبْقَ في المغرب سِوَى المَنَابِر الإِعْلَامِيَة الخَاضِعَة، أو المُوَالِيَة لِلنِظَام السياسي القائم، أو اليَمِينِيَّة، أو الرَّدِيئَة،

أو المُنَاصِرَة لِلرَّأْسَمَالِيَة التَبَعِيَة. وَمُعْظَمُ هذه المَنَابِر الإِعْلَامِيَة، بِمَا فيها الإِذَاعَات، والتِلْفَزَات (العُمُومِيَة والخُصُوصِيَة)، تَتَمَيَّزُ بِسَطْحِيَّتِهَا، أو بِرَدَائَتِهَا، أو بِمُغَالَطَاتِهَا، أو بِتَرْدِيدِهَا لِدِعَايَات سِيَّاسِيَة، تُسَبِّبُ لَدَى المُوَاطِنِين الجَهْلَ، أو التَلَفَ، أو الدَّوْخَة، أو السَذَاجَة، أو البَلَادَة. فَغَدَى شعب المغرب مِن ضِمْن شُعُوب العالم التي لَا تَعْرِف، أو لَا تَفْهَم، مَا يَجْرِي دَاخِل وَطَنِهَا، وَلَا تُدْرِكُ عَلَاقَاتِ وَطَنِهَا بِمُخْتَلَف الكِيَانَات والمُؤَسَّسَات المَوْجُودة في العالم.

وَأَذْكُرُ بعض الأمثلة مِن بَيْن هذه التَطَوُّرَات التي تَحْدُث حَالِيًّا داخل المغرب: مثل «***التَحَالُف الاِسْتِرَاتِيجِي بين الوِلَايَات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَة وَالسُلْطَة السِيَاسِيَة التَبَعِيَة في المغرب***»، وَ«***اِتِّفَاقِيَة التَطْبِيع المُوَقَّعَة بين دولة المغرب ودولة إسرائيل***»، وَ***تَعْمِيم مَنْح «الجِنْسِيَة المغربية» لِقُرَابَة 700 ألف «إسرائيلي مِن أَصْل مَغْرِبِي»***، وَإِقْدَام دولة المغرب على «***تَنْظِيم الطَّائِفَة اليَهُودِيَة***» داخل المغرب، إلى آخره.

وَأَكْتَفِي في المقال الحَالِي بِتَنَاوُل مَوْضُوعَ إِقْدَام دولة المغرب على «***تَنْظِيم الطَائِفَة اليَهُودِيَة***» داخل المغرب. بَيْنَمَا أَتَنَاوَلُ المَوَاضِيع الأخرى المذكورة سَابِقًا، في نُصُوص أُخْرَى. (وهي مَجْمُوعَة في الصِّيغَة المُحَيَّنَة مِن كِتَابِي المُعَنْوَن بِـ "نَقْد الصَّهْيُونِيَة"، وَرَابِطُه هو: https://livreschauds.wordpress.com/2017/08/07/نَقْد_الصَهْيُونِيَة/).

وَمِن الصَّعْب على أيّ مُواطِن مغربي أن يَعْثُرَ على أَيَّة قَنَاة تَلْفَازِيَة، أو إِذَاعَة، أو جَرِيدَة، أو دَوْرِيَة في المغرب، تَشْرَحُ له مِن أَيْنَ أَتَتْ هذه الأَحْدَاث، وَإِلى أَيْنَ تَسِير، وَمَا هِيَ خَلْفِيَّاتُها الخَفِيَة، وما هي النَتَائِج التي يُمكن أن تُؤَدِّيَ إِلَيْهَا. وَيُمكن لِكَثِير من المُوَاطِنِين، وَبِالصُّدْفَة فقط، أن يَعْثُرُوا، أو أن لَا يَعْثُرُوا، على هذه الأَخْبَار الهَامَّة.

﴿60﴾ وَهكَذَا، حَسَب بَيَان المُتَحَدّث باسم القصر الملكي عبد الحق لَمْرِيني، وَفي خِتَام أشغال "***المجلس الوزاري***" المغربي (الذي يُشارك فيه الملك، وَوُزَرَاء الحكومة)، والذي اِنْعَقَد في القَصْر المَلَكِي في الرباط، في يوم 13 يُولْيُوز (تَمُّوز) 2022، عَرَضَ وزير الداخلية المغربي عبد الوَافِي لَفْتِيتْ، أمام الملك محمد السّادس، مُلَخَّصَ التَدَابِير التي أَعَدَّتْهَا هذه الوزارة، بِهَدَف «***تنظيم الطائفة اليهودية المغربية***»(!). وتشمل هذه التدابير، «إنشاء مجموعة من الهيئات، مِنْ بَيْنِهَا تَنْظِيم ***المجلس الوطني لِلطَّائِفَة اليَهُودية المغربية***»(!). [كَأَنّ هذا المجلس هو حكومة مُوَازِيَة خاصّة بِـ «الإسرائيليّين مِن أصل مغربي»]. «وَسَتَنْبَثِقُ عن هذا المجلس المذكور ***لِجَان جِهَوِيَة***، تَقُوم بتدبير القضايا والشؤون اليومية لأفراد الطَائِفَة اليهودية»(!). وَمِنْ ضِمْنِ مَهَامّ هذا المجلس: «السَّهَر على ***تدبير شُؤُون الطَائِفَة اليَهُودية(!)***، والمحافظة على التُرَاث، والإشعاع الثقافي، والشعائري، للديانة اليهودية، وَقِيَّمِهَا المغربية»[8]. وتشمل هذه التَدَابِير كذلك إِنْشَاء «***لجنة اليهود المغاربة المُقِيمِين بالخارج***». وهدفها هو «العمل على ***توثيق روابط اليهود المغاربة في الخارج مع بَلَدِهِم الأصلي المغرب***»(!). وَقَال البَيَان الرَّسْمِي إن «هذه التَرْتِيبَات الجديدة جاءت بعد مشاورات مع ممثلين وشخصيات بارزة من الجَالِيَة اليَهُودية». وَلَا نَعْلَمُ ما هي المَقَايِيس التي إِخْتِيرَ على أَسَاسِهَا أَوْلَائِكَ «المُمَثّلِين والشَخْصِيَّات»، هل على أساس على أَسَاس المَرْتَبَة الدِّينِيَة، أَمْ على أساس الثَرْوَة

(8) مَقَال عبد السلام بنعيسي، تحت عنوان: "حزمة من التدابير لفائدة اليهود المغاربة... فهل من مزيد؟"، نُشِرَ على موقع "السؤال"، في يوم 15/07/2022، في رُكْن "قضايا وآراء".

الرَّأْسَمَالِيَة، أم على أساس القُرْب مِن الدُوَل الغَربية الإِمْبِرْيَالِيَة، أم على أساس تَوْصِيَّات من طَرَف المُخَابَرَات (المُوسَاد) أو دَولة إسرائيل. وخلال نفس "المجلس الوزاري" المذكور أعلاه، والذي تَرَأَّسَهُ الملك، تم اعتماد «***مِيثَاق جَدِيد لِلاِسْتِثْمَارَات***»(!). وهذا «المِيثَاق» هو تَحْيِين لِقَانُون الاِسْتِثْمَارَات المغربي القَدِيم، لِكَيْ يَتَكَيَّفَ مَعَ الحَاجِيَّات الخَاصَّة لِـ «الإسرائيليّين من أصل مغربي».

وَلِتَلَافِي سُوءَ التَفَاهُم، يجب تَدْقِيق بعض المَفَاهِيم. فَحِينَمَا تَكَلَّمَت اليومَ السلطة السياسية في المغرب عن «***تنظيم الطائفة اليهودية المغربية***»، فَإِنَهَا لَمْ تَقْصِد تَقْنِين، وَتَنْظِيم، مَحَاكِم المَنْظُومَة العَائِلِيَّة، والتي هي مَعْرُوفَة، وَقَدِيمَة، وَمَأْلُوفَة، والتي تَتَخَصَّصُ في قَضَايَا الزَوَاج، والطَلَاق، وَالْإِرْث، وَالعَلَاقات بين الأَجْيَال. وَلَم يَقُل بيان الحُكُومَة أنها سَتَكْتَفِي فَقَط بِإعادة تَفعيل مَحَاكِم قَانُون الْأُسْرَة، الخَاصّة بِاليَهُود في المَغرب، والتي تَحْكُمُ العَلَاقَات داخل الأسرة اليَهُودِيَة. والاحتمال الكبير هو أن السلطة السياسية في المغرب تَقْصِد إِنْشَاء تَنْظِيمَات مِن نَوع جَدِيد، خَاصَّة بِالطَّائِفَة اليَهُودِيَة، وَتَتَجَاوَزُ حُدُود مَحَاكِم قَضَايَا العَائِلَة، والزَوَاج، والطَلَاق، والإِرْث. حيث تَكَلَّمَ البَيَان الحُكُومِي عن «إنشاء مجموعة من الهيئات، مِنْ بَيْنِهَا تَنْظِيم ***المجلس الوطني لِلطَّائِفَة اليَهُودية المغربية***»،... «***وَلِجَان جِهَوِيَة، تَقُوم بتدبير القضايا والشؤون اليومية لأفراد الطَائِفَة اليهودية***». الخ. وَأَمَام هذا الغُمُوض الذي يَتْرُكُ البَابَ مَفْتُوحًا على كلّ الاحتمالات، فَإِنَّنَا مُجْبَرِين على نِقَاشِ الحَالَات الأَسْوَء، بِمَا فِيهَا تَنْظِيم «الطَائِفَة اليَهُودِيَة» بِمَعْنَاهَا السِيَّاسِي وَالشُمُولِي.

وَبَدَلًا من أن يكون هؤلاء «الإسرائيليّين من أصل مغربي»، أو «اليهود المغاربة»، مُواطنين مغاربة عاديّين، وَخَاضِعِين للقوانين المغربية، فإن قوانين تنظيم «الطائفة اليهودية المغربية» يُحَوِّلُهُم إلى "مُوَاطِنِين اِسْتِثْنَائِيِّين مِن الدَّرَجَة العُلْيَا، وَمَحْمِيِّين بشكل مُباشر من

طرف السُّلُطَات السياسية المَرْكَزِيَة". والاحتمال الكبير، هو أنّ هذا «المَجلس الوَطني لِلطّائفة اليَهودية المغربية»، و«لجانه الجهوية»، سَيَتَحَوَّلُون عمليًّا إلى «دَوْلَة يَهُودِيَة داخل الدّولة المغربية». وَسَيَتَمَتَّعُون بِامْتِيَازَات فَوْقَ القَانون المُعتاد. وَسَيَتَحَوَّلُون إلى غطاء شَرْعِي لأنشطة صَهْيُونِيَة وإسرائيلية داخل المغرب.

وَلَا نَفْهَمُ لماذا أَصَرَّت وزارة الداخلية المغربية على إِنْشَاء «***لجنة اليهود المغاربة المُقيمين بالخارج***»، خَاصَّةً إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ 3 أَعْضَاء من بين 35 عضوًا المُكَوِّنين لِـ «***مجلس الجالية المغربية بالخارج***» (CCME)، كانوا مُنذ أبريل 2015، وَمَا زَالُوا، «يَهُودًا مِن أَصْل مَغْرِبِي» (وهم رَافِي مَارْسْيَانُو، مدير مركز الجالية اليهودية في باريس، وَدَانْيَالْ عَمَّار، المدير العام للمؤتمر اليهودي الكندي، وَبُولْ دَهَانْ، رئيس مركز الثقافة اليهودية المغربية بِبْرُوكْسِيلْ).

قَدْ يَظْهَرُ حَدَث تَنْظِيم «***الطَائِفَة اليَهُودِيَة المَغْرِبِية***»، المُقَرَّر مِن طرف حُكَّام دولة المغرب، «عَادِيًّا»، أو «مُبَرَّرًا». لكن حِينَمَا نَبْدَأَ في التَفْكِير في هذا الحَدَث، نَكْتَشِف أن نَتَائِجَه سَتَكُون خَطِيرَة على شعب المغرب. حيثُ أن هذا الحَدَث يُثِيرُ في الواقع مَشَاكِلَ سِيَّاسِيَة، وَقَانُونية، مُتَعَدِّدَة، وَمُعَقَّدَة، وَمُتَنَاسِلَة، وَغَيْر مُتَوَقَّعَة. وَيَسْتَحِيل على دولة المغرب أن تَقْدِرَ على إِيجَاد حُلُول قانونية، وَشَرْعِيَة، وَمُرْضِيَة، لكلّ هذه المشاكل. وَسَأَعْرِضُ في المقال الحالي بعضَ هذه المشاكل. ومنها القَضَايَا التَالِيَة :

◊ 1) إِنَّ إقدام دولة المغرب على المُسَاهَمَة في تنظيم «الطَائِفَة اليُهُودِيَة» داخل المغرب، يَقُودُنَا، بالضَّرُورَة، إلى نِقَاش بعض ***إِشْكَالِيَّات «الطَائِفِيَة»***، وَآلِيَّاتِهَا، وَأَخْطَارِهَا المُجْتَمَعِيَة، وَلَوْ بشكل مُوجَز، حَتَّى وَلَوْ ظَهَرَ هذا النقاش، لِبَعْض القُرَّاء المُحْتَرَمِين، غَيْر مُبَرَّر، أو غَيْر ذِي صِلَة بِالمَوْضُوع الرئيسي في هذا المقال.

◊ 2) ***كَيْفَ نُعَرِّفُ «الطَّائِفَة»*** ؟ نتكلّم عن وُجُود ***«الطَائِفِيَة»*** في مُجتمع مُحَدَّد، إذا كَان هذا المُجتمع يَعْمَلُ بِنِظَام «الطَوَائِف»، أو بِـ «المُحَاصَصَة الطَائِفِيَّة» (مثلما هو الحال في لُبْنَان، والعِرَاق). وَنَقْصِدُ ***بِمُصْطَلَح «الطَّائِفَة»*** المَجْمُوعَة البَشَرِيَّة التي يَتَمَيَّزُ أَفْرَادُهَا بِصِفَات مُشْتَرَكَة (قَدْ تَكُون حَقِيقِيَّة، أو وَهْمِيَة)، وَتَكُونُ هذه الصِّفَات مَبْنِيَة على أَسَاس الدِّين، أو العِرْق، أو الإِثْنِيَة (éthnie)، أو القَبِيلَة، أو اللُّغَة، أو الجِهَة، أو لَوْن البَشْرَة، أو غَيْرِهَا. وَتَعْمَل «الطَّائِفَة» من أجل اِنْتِزَاع، أو صِيَانَة، مَصَالِحَ خَاصَّة بِأَعْضَاء «الطَّائِفَة»، وَلَوْ كان المُسْتَفِيدون الحَقِيقِيُّون مِن هذه المَصَالِح يَنْحَصِرُون في أَسْيَاد، أو زُعَمَاء، هذه «الطَّائِفَة»، ولَا يَنْطَبِقُ بِالضَّرُورَة نَفْعُهَا على مُجْمَل قَوَاعِد «الطَّائِفَة» المَعْنِيَة. وَمِن طَبِيعَة ***«الطَّائِفَة»*** أن تَنْقَسِمُ إلى طَوَائِفَ صَغِيرَة. وَقَد تَكُون «الطَوَائِفُ» المُتَنَاسِلَة مُتَنَافِسَة، أو مُتَعَاوِنَة، أو هُمَا مَعًا. وَفي كَثِير مِن الحَالَات، يُؤَدِّي ***مَنْطِق «الطَّائِفِيَة»*** إلى أن ***تَتَحَوَّلُ كُلّ «طَائِفَة» إلى دَوْلَة داخل الدَّوْلَة.***

◊ 3) لَا نَفْهَم مُبَرِّر الإِقْدَام المُبَاغِت لِدَوْلَة المغرب على تَقْنِين وَإِنْشَاء هذه التَنْظِيمَات والهَيْئَات الخَاصَّة بِـ ***«الطَائِفَة اليَهُودِية»***. خَاصَّةً وأنّ عدد اليهود الذين كَانُوا يعيشون في المغرب، في سنوات 2020، كان يَقِلُّ عن 3000 شخص (مِن مجموع عدد سُكّان المغرب الذي يَبلغ 38 أو 40 مليون). وَقَد يَكُونُ السِرُّ المُفَسِّر لهذه الإِجْرَاءَات، هو أن السُلْطَة السِيَاسِيَة في المغرب عَازِمَة على تَنْفِيذ ***«التَطْبِيع»*** المُوَقَّع (في دِيسَمْبَر 2020) بين دولة المغرب ودولة إسرائيل، بِطَرِيقَة اِسْتِثْنَائِيَة. ***وَيُوجَدُ في إِسْرَائِيل (في سنة 2020) «إِسْرَائِيلِيُّون من أَصْل مَغْرِبِي»، يُقَدَّرُ عَدَدُهُم بِـ قُرَابَة 700 أَلْف شخص. وَتُصِرُّ السُلْطَة السياسية في المَغْرب على اِعْتِبَار هَؤُلَاء «الإِسْرَائِيلِيِّين من أَصْل مَغْرِبِي» كَمُوَاطِنِين مَغاربة، كَامِلِي الجِنْسِيَة المَغْرِبِيَة(!)، وَلَوْ أنّ قانون الجِنْسِيَة المغربية لَا يَسْمَح بهذا التَجْنِيس.*** الشيء الذي

يُثِير الكَثِير مِن التَسَاؤُلَات، وَالتَحَفُّظَات، وَحَتَّى الاِعْتِرَاضَات، على الصِّفَة القَانُونِيَة، أو الشَّرْعِيَة، لهذه القَرَارَات، والإجراءات.

◊ 4) برنامج الدولة المغربية، الرَّامِي إلى تَنْظِيم «***الطَائِفَة اليَهُودية***»، يَعْتَبِرُ إذن أن «***الإسرائيليّين من أصل مغربي***» هم «***يَهُود مَغَارِبَة***»، أو «***مَغَارِبَة يَهُود***»، وأن المَغْرِب هو «***بَلَدُهم الأَصْلِي***». وَيَعْتَبِرُ ضِمْنِيًّا هذا البرنامج (للدولة المغربية) أن هؤلاء «الإسرائيليّين مِن أصل مغربي» لا يَحْتَاجُون إلى القِيَّام بِأَيَّةِ إِجْرَاءَات إِدَارِيَة، أو قَانُونِيَة، لِلْحُصُول على «***الجِنْسِيَة المغربية***». ***لأن السُلطة السياسية في المغرب تَعْتَبِرُهُم، بشكل مُسْبَق، «يَهُودًا مَغَارِبَة»، أو «مَغَارِبَة يَهُودًا»***. وهكذا يكْتَمِلُ المَنْطِقُ، وَتَنْغَلِقُ الحَلَقَة. وَيُصْبِحُ كل شيء مُبَرَّرًا، وَمُكْتَمِلًا. حيثُ تُعْطِي دولة المغرب إلى هؤلاء «الإِسْرَائِيلِيّين مِن أصل مَغربي» (وربّما حتّى إلى الإسرائيليّين الآخرين الذين لَيْسُوا مِن أصل مغربي) حَقَّ دُخُول المغرب بِحُرِّيَة تَامَّة، والقِيَّام فيه بِكُلّ مَا يُرِيدُون. بينما أنشطة المُواطنين المغاربة مُقَيَّدَة بِأَلْف شَرْط وَشَرْط، وَتَحْتَاج إلى رُخَص خَاصَّة ! لقد فَقَدَ شعب المَغرب سِيَّادَتَه واستقلاله.

◊ 5) زَعَمَت دولة المغرب أنها هي التي سَتُنَظِّمُ، وَسَتُسَيِّر، «***الطَائِفَة اليَهُودية***» في المغرب. وَمِنْ المُسْتَبْعَد جِدًّا أن تَقْدِرَ فِعْلِيًّا دَوْلَة المغرب على ذلك. وَمَا دَامَ هؤلاء «الإسرائيليّين مِن أصل مغربي» مُوَاطِنِين مُخْلِصِين لِدَوْلَة إِسْرَائِيل، فَإن الفَاعِلَ الذي سَيَكُون قَادِرًا على تَنْظِيم وَتَدْبِير هذه «الطَائِفَة اليَهُودِيَة» في المَغْرِب، هي دولة إِسْرَائِيل، بِمُخَابَرَاتِهَا السِرِّيَة، وَتَنْظِيمَاتِهَا المُتَشَابِكَة، والخَفِيَّة. وَهكَذَا سَتُصْبِحُ «الطَائِفَة اليَهُودِيَة» دَوْلَةً دَاخِل الدَوْلَة المَغْرِبِيَة. بَلْ ***الأَكْثَرُ احْتِمَالًا هو أن «الطَائِفَة اليَهُودِيَة» المَغْرِبِيَة، هي التي سَتُصْبِحُ مُسَيِّرَة لِلدَّوْلَة المغربية***. وَسَتَغْدُو إِسْرَائِيل طَرَفًا مُؤَثِّرًا، أو حَاسِمًا، في كُلّ مَا يَجْرِي داخل دَولة المَغرب.

◊ 6) ***يَتحَوَّلُ المغرب، نَتيجَةً لِهذا «التَطْبيع»، إلى مَنْطَقَة مُلْحَقَة بإِسْرَائيل.*** وَيَغْدُو المغرب هو «الضِفَّة الغَرْبِيَة»، أو «الضِفَّة المَغْرِبِيَة» لِإِسْرَائِيل. وَبِفَضْل مَا يَتَمَتَّعُ به هؤلاء «الإِسْرَائِيلِيّين» في المغرب مِن اِمْتِيَّازَات، وَقُدُرَات، تَفُوق بِكَثِير حُقُوق المُواطنين المغاربة العَادِيّين، يُصْبِحُ مِن حَقّ هؤلاء «الإِسْرَائِيلِيّين» أن يَغْزُوا المغرب، وَأَنْ يَحْتَلُّوه، وَأَنْ يُنَاوِرُوا دَاخِلَه، وَأن يَسْتَغِلُّوه، وأن يَنْهَبُوا ثَرَوَاتِه، وَحَتَّى أن يُحَطِّمُوه، أو أن يُخَرِّبُوه، مِثْلَمَا يَحْلُوا لهم. ***وَسَتَقُوم الدولة المغربية بِحِمَايَة هؤلاء «الإسرائيليّين»، مُقَابِلَ «الحِمَايَة» المَزْعُومَة التي تُوَفِّرُهَا إسرائيل (وَأَمْرِيكَا) لِلنِّظَام السياسي القائم في المغرب.*** هذا هو مُستقبل المغرب الأكثر احتمالًا.

◊ 7) مِن بَيْن مَا لَم يُوَضِّحْهُ البَيَان الرَّسْمِي لِحُكُومَة المغرب، المُشَار إليه سَابِقًا، هو أن إِقْدَام دولة المغرب، منذ شهر يُولْيُوز (تَمُّوز) 2022، على «***تَنْظِيم الطَائِفَة اليَهُودِيَة***» داخل المغرب، لم يكُن إِجْرَاءً اِعْتِبَاطِيًّا، أو رَتِيبًا، وَإِنَّمَا ***يَدْخُلُ في إِطَار تَنْفِيذ اِتِّفَاقِيَة «تَطْبِيع» العَلَاقَات بين دولة المغرب ودولة إسرائيل،*** المُوَقَّعَة في شهر ديسمبر 2020. بَيْنَمَا ***يَجْهَلُ شَعْبُ المغرب تَفَاصِيل اِتِّفَاقِيَة «التَطْبِيع»*** مع إسرائيل. وَلَا يَعْرِفُ شعب المَغرب كيف سَتُطَبَّقُ هذه تَفَاصِيل اِتِّفَاقِيَة «التَطْبِيع»، وَلَا كيف سَتَكُون تَطَوُّرَاتِهَا المُرْتَجَلَة. وَلَمْ يَسْبِقْ لِشَعب المَغرب أَنْ أُسْتُشِيرَ حَوْلَهَا. وَلَمْ يَسْبِقْ لِشَعب المَغرب أَنْ وَافَقَ على «اِتِّفَاقِيَة التَطْبِيع» مع إسرائيل.

◊ 8) واليوم في سنة 2022، وبعد تَرْسِيم «التَطْبِيع» بين دولة المغرب ودولة إسرائيل (مُنذ سنة 2020)، نُلَاحِظُ أن دولة المغرب تُهَيِّءُ لِـ «***تَنْظِيم الطَائِفَة اليَهُودِيَة***» داخل المغرب. وهذا الإِجْرَاء يَعْنِي أن السُلْطَة السياسية في المغرب، في إطار إِلْتِزَامَاتِهَا مع نَظِيرَتِهَا في إسرائيل، ***تَسْتَعِدُّ لِاسْتِقْبَال مِئَات الآلَاف مِن «الإسرائيليّين مِن أصل مَغْرِبِي»، وَتُرِيدُ تَوْطِينَهُم دَاخِل المغرب.*** وَتَعْنِي هذه

الاستعدادات أن دولة المغرب تُريد أن تُوَفّرَ لِهؤلاء «الإسرائيليّين مِن أصل مَغْرِبِي» كل «المُسَاعَدَات»، و«التَسْهِيلَات»، و«الامْتِيَّازَات» المُمْكِنَة. لكن شعب المغرب، لَا يَعْرِف، وَلَمْ يُسْتَشَار، وَلَمْ يُوَافِق على، مَشْرُوع إِدْخَال وَتَوْطِين قُرَابَة 700 أَلْف إِسْرَائِيلِي إلى المغرب. أَفَلَا تُدْرِكُ السُلطة السياسية في المغرب أنه، بِإِدْخَالِهَا «التنظيمات الطَائِفِيَة» إلى المغرب، فإنها تَرْتَكِبُ شَطَطًا في اِسْتِعْمَال السُّلْطَة (abus de pouvoir) ؟

◊ 9) ***إذا سَمَحَت دولة المغرب لِـ «طَائِفَة اليَهُود المَغَارِبَة» (أو لِأَيَّة مَجْمُوعَة أخرى) بأن تَتَنَظَّمَ كَـ «طَائِفَة»، فإن دينَامِيَة تَطَوُّر المُجتمع سَتُؤَدّي حَتْمًا إلى تَكَوُّن «طَوَائِفَ» أخرى،*** مُتَنَافِسَة، وَمُتَصَارِعَة. والتَنَاقَضَات المَوْضُوعِيَة، والكَثِيرَة، المَوْجُودَة في المغرب، تَجْعَلُ شَعْبَه قَابِلًا لِلْاِنْفِجَار، ***وَلِلتَّشَتُّت. والمَجْمُوعات المُؤَهَّلَة لِلتَّشَكُّل كَـ «طَوَائِف» داخل المغرب، كثيرة، وغامضة، وَغَيْر مُتَوَقَّعَة.*** وَنَذْكُر مِن بَيْنِهَا المَجْمُوعَات المُحْتَمَلَة التَالِيَة : (1) الأَمَازِيغ (وينقسمون هم أنفسهم إلى عدّة مَجموعات مُتَمَيّزَة جُغْرَافِيًّا، أو جِهَوِيًّا، أو لُغَوِيًّا)؛ (2) العُرُوبِيُّون؛ (3) الشُرَفَاء العَلَوِيُّون؛ (4) السُنَّة؛ (5) الشِيعَة؛ (6) "الرِيفِيُّون" سُكَّان منطقة "الرِّيف" في شمال المغرب؛ (7) الصَّحْرَاوِيُّون، وهم أنواع؛ (8) الحَسَّانِيُّون؛ (9) السُّوسِيُّون؛ (10) الفَاسِيُّون (نِسْبَةً لِلمُنْحَدِرِين من مدينة فَاس، أو من الْأَنْدَلُس)؛ (11) الْإِفْرِيقِيُّون (أو المُنحدرون من إِفْرِيقْيَا جَنُوب الصَّحراء)؛ (12) المُسْلِمُون الأُصُولِيُّون؛ (13) البَهَائِيُّون؛ (14) المَسِيحِيُّون؛ (15) المَغَارِبَة المَيْسُورُون الذين يَحْظَوْن بِجِنْسِيَة إِضَافِيَة أَمْرِيكِية أو أَوْرُوبِّيَة؛ الخ. وَلَائِحَة المَجموعات والْاِنْقِسَامَات المُمكنة طَوِيلَة. وكلّ الاحتمالات وَارِدَة. وَإِذا كان مِن حَقّ «يَهُود المغرب» أن يَتَنَظَّمُوا كَطَائِفَة، لِمَاذا لَا يَحِقُّ لِلْمَجْمُوعَات المَذْكُورَة سَابِقًا أن تَتَنَظَّمَ، هي

أَيْضًا، كَطَوَائِف مُتَمَيِّزَة ؟ وَمَنْ يُدرك النَتَائِج المَوضوعية، أو الحَتْمِيَة، لِتَنْظِيم المُجتمع المَغربي على أَسَاس «الطَوَائِف» ؟

وَمَثَلًا في تجربة لُبْنَان، بَدَأَت «الطَائِفِيَة» بِقُرَابَة 3 «طَوَائِف» دِينِيَة، هي: الشِيعَة، والسُنَّة، والمَوَارِنَة. ثُمَّ انْتَقَلَت الطَائِفِيَة بِسُرْعَة إلى 18 «طَائِفَة»، مَعْمُولٌ بها قَانُونِيًّا، وَرَسْمِيًّا، في دولة لُبْنَان. والاستعمار الفَرنسي هو الذي أدخل «الطائفية» إلى لُبْنَان، لِإِضْعَافِه، وَلِتَسْهِيل التَحكُّم فيه. وفي العِرَاق، وبعد اِحْتِلَالِه وَتَخْرِيبه كُلِيًّا من طرف الولايات المُتَّحِدَة الأمريكية في سنة 2003 (وذلك بِإِيعَازٍ مِن إسرائيل)، بَنَت أَمْرِيكَا الدولةَ العِرَاقِيَةَ «الدِّيمُوقَرَاطِيَة» البَدِيلَةَ على أَسَاس ثلاثة طَوَائِف، هي: الكُرْد، والشِّيعَة، والسُنَّة. وكان الهدف من إدخال «الطائفية» إلى العراق هو ضمان بَقاء العِرَاق في التَخَلُّف، وفي الاِنْحِطَاط. وَمِن بعد، اِنْقَسَمَت كلّ وَاحدة مِن بين هذه «الطَوَائِف العراقية» إلى عدّة مُكَوّنَات طَائِفِيَة، أو سِيَّاسِيَة. وكلّ هذه المُكَوّنَات تَتَنَافَس، وَتَتَحَارَب فيما بينها. أَفَلَا تُدْرِكُ السُلطة السياسية في المغرب أنه، بِإِدْخَالِهَا «التنظيمات الطَائِفِيَة» إلى المغرب، فإنها سَتُفَجِّرُ بِسُرْعَة هذا الوَطَن الصُغَيِّر إلى عِدَّة «مَجْمُوعَات»، أو «كِيَّانَات»، أَو «طَوَائِف»، مُتَنَاقِضَة، وَمُتَصَارِعَة، وَمُتَنَاحِرَة ؟

◊ 10) مِنْ مِنْظَار عِلْم المُجْتَمَع، ***يَكْفِي أن تَتَكَوَّنَ تَارِيخِيًّا «طَائِفَة» وَاحدة داخل أَيِّ مُجْتَمَع مُحَدَّد (مثل «الطَائِفَة اليَهُودِيَة» في المغرب)، لِكَيْ تُؤَدِّيَ دِينَامِيكِيَة المُجتمع إلى تَكَوُّن «طَوَائِف» أُخْرَى إِضَافِيَة، وَغَيْر مُتَوَقَّعَة،*** تَكُونُ مُتَعَدِّدَة، أو مُتَشَابِهَة، أو مُتَمَيِّزَة. وَتُصْبِحُ هذه «الطَوَائِفُ» الجَدِيدَة، بالضَّرُورَة، مُنَافِسَة لِلطَّائِفَة الْأُولَى، أو مُعَادِيَة لها، أو خَاضِعَة لِبَعْضِهَا. (أُنْظُر تَجْرِبَتِي لُبْنَان والعِرَاق). وَسَيَكُون المُسْتَفِيدُون الأَسَاسِيُّون مِن «الطَائِفِيَة» في المغرب، هُمُ الْإِمْبِرْيَالِيُّون السَّائِدُون في العالم، والأشخاص الإِسْرَائِيلِيُّون، وَإِسْرَائِيل. أَفَلَا تُدْرِكُ السُلطة السياسية في المغرب أنه، بِإِدْخَالِهَا «التنظيمات الطَائِفِيَة» إلى

المغرب، فإنها تَسُوقُ المُجْتَمَع المغربي نَحْوَ نِظَام سيّاسي جَامِد، وَعَاجِز، وَمُفْلِس، وَمُنْحَطّ (أَكْثَرَ مِمَّا هو الوضعُ حَالِيًّا في لُبْنَان، والعِرَاق) ؟

◊ 11) قَدْ تَقُول السُّلْطَة السِيَاسية في المغرب : «نحن نَعْرِفُ أَخْطَار الطَّائِفِيَة، وَلَا نَنْوِي إِعَادَة تَنْظِيم الدَوْلَة المَغْرِبِيَة على أَسَاس الطَائِفِيَة، وَإنما نُريد فقط «تَنْظِيم الطَّائِفَة اليَهُودِيَة، نَتِيجَةً لِلتَّطْبِيع بين المغرب وَإِسْرَائِيل». وَنُجِيبُهَا، بِأَنَّنَا نتكلّم عن ظَوَاهِر مُجْتَمَعِيَة مُحَتَّمَة، وَلَا نَعْبَأُ كَثِيرًا بِنَوَايَا الأشخاص. حَيْثُ أن ***العَمَل بِمَنْهَج «الطائفية»، يُؤَدّي بِالضَّرُورَة، [وَلَوْ بِطَرِيقة بَطِيئَة، أو غَيْر مُبَاشِرَة، أَوْ غَيْر وَاضِحَة، أو غَيْر مُتَوَقَّعَة، وَلَكِنَّهَا صَيْرُورَة حَتْمِيَة]، يُؤَدّي إلى عَرْقَلَة التَمَاسُك المُجْتَمَعي، ثم إلى تَخْرِيب الاندماج الوطني***، ثمّ إلى اِسْتِحَالَة إِنْجَاز التنمية المُجْتَمَعِيَة (بِأَبْعَادِهَا الاقتصادية، والسياسية، والعِلْمِيَة، والثَقَافِيَة، والتِكْنُولُوجِيَة، الخ). لذلك نَجِدُ في مُجْمَل بُلْدَان العَالَم (التي تَعْمَل بِالطَّائِفَية) أن ***مَآل الطَائِفِيَة، على المَدَيَيْن المُتَوَسّط وَالْبَعِيد، هو دائمًا إِضْعَاف المُجتمع المَعْنِي، ثُمّ اِنْحِطَاطه، ثُمَّ خَرَابُه.*** أَفَلَا تَفْقَهُ السُلْطَة السياسية في المَغرب أن تَقْوِيَة الوَطَن، وَتَحَرّر الشعب، يَسْتَوْجِبَان المُساواة بين كل المُواطنين، والمُساواة بين كلّ المجموعات المُكَوّنَة لِلْمُجْتَمَع ؟ أَفَلَا تُدْرِكُ السُلْطَة السياسية في المغرب أنه، بِإِدْخَال «التنظيمات الطَائِفِيَة» إلى المغرب، فإنها تَقُودُ المغربَ نَحْوَ مَزِيد من التَشَتُّت، والتَخَلُّف، وَالْاِنْحِطَاط، والاِنْهِيَّار ؟

◊ 12) مَهْمَا قِيل في مَجَال ***تَبْرِير إِقَامَة «الطَائِفِيَة»***، فَإِنّ أُسُس إِنْشَاء «الطَائِفِيَة» تَبْقَى مُنَاقِضَة لِلْمُوَاطَنَة المُتَسَاوِيَة، وَلِلْعَدَالَة المُجْتَمَعِيَة، وَلِلْاِسْتِقْلَال الوَطَنِي. وَغَالِبًا مَا تَكُونُ هذه المُبَرّرَات وَهْمِيَة. وَتُسْتَعْمَل «الطَّائِفِيَة» كَغِطَاء أَيْدِيُولُوجِي لِإِخْفَاء، أو لِتَشْرِيع، مَا يُمَارِسُه

زُعَمَاء «الطَوَائِف»، مِنْ سَيْطَرَة، وَنَهْب، واستغلال، وَرِيع، وَسَطْو، وَاحْتِكَار.

◊ 13) ***الفَاعِلُون المُحَرّكُون الأَسَاسِيُّون لِـ «الطَّائِفَة»، وَلِـ «الطَّائِفِيَة»، هم دَائِمًا الأَعْيَان المَحَلّيُون، والرُأسَمَالِيُّون المُسْتَغِلُّون الكِبَار، وَعُمَلَاء الدُوَل الْإِمْبِرْيَالية،*** المُسْتَفِيدُون مِن تَدَابِير التَنْظِيمَات الطَائِفِيَة، وَمِن الرّيع الطَائِفِي، وَمِن المُحَاصَصَة في اِقْتِسَام السُلُطَات السِيَاسِيَة، وَفي تَوْزِيع الغَنَائِم، وَتَمَلُّك الثَرَوَات، فيما بين النُخَب الْاِنْتِهَازِيَة، السَّائِدَة على مُخْتَلَف الطَوَائِف المُتَنَافِسَة، أو المُتَنَاقِضَة. أَفَلَا تُدْرِكُ السُلطة السياسية في المغرب أنه، بِإِدْخَالِهَا «التنظيمات الطَائِفِيَة» إلى المغرب، فإنها تَضُرُّ بِمَصَالح الشعب، وَتَخْدُمُ فقط مصالح نُخْبَة قَلِيلَة مِن المُسْتَغِلّين الكِبَار، الذين قد يكُونُوا مَغَارِبَة مُسْلِمُون، أو «إِسْرَائِيلِيُّون مِن أصل يَهُودي مغربي» ؟

◊ 14) كُلُّ تَجَارِب الدُوَل «الطَائِفِيَة» (مثل لُبْنَان، والعِرَاق) تُؤَكِّد أن ***جماهير الشعب لا تَسْتَفِيد شَيْئًا من «الطَائِفِيَة»،*** وَإِنَّمَا فقط الزُعَمَاء، والأَعْيَان، والانتهازيّون، والغَشَّاشُون، والفَاسِدُون، والمُسْتَغِلُّون الرأسماليّون الكبار، والمُحْتَكِرُون، وَالمُجْرِمُون مِن مُخْتَلَف الأَنْوَاع، والجَمَاعَات المَافْيَوِيَة (mafiosi)، سَوَاءً كانُوا مَغَارِبَة مُسْلِمِين، أَمْ «إِسْرَائِيلِيّين مِن أَصْل مَغْرِبِي»، هم وَحْدَهُم الذين يستفيدون من نظام «الطَائفية»، وَسَيُكَافِحُون مِن أجل إِدَامَتِهَا.

◊ 15) تَمِيل دَائِمًا كُلّ مَجْمُوعَة بَشَرِيَة مُنَظَّمَة كَ «طَائِفَةُ» داخل المُجْتَمَع، إلى الابتعاد عن، أو إلى ***التَنَاقُض مع، وحدة الدولة، وَوَحْدة الشعب، وَوَحدة الوطن.*** وَلَا يُمكن تَقْوِيَة وَحْدَة الدَوْلَة، أو الشَّعْب، أو الوَطَن، بِدُون مَنْع كلّ مَظَاهِر «التَنْظِيمَات الطَّائِفِيَة». أَفَلَا تُدْرِكُ السُلطة السياسية في المغرب أنه، بِإِدْخَالِهَا «التنظيمات الطَائِفِيَة» إلى المغرب، فإنها تُعَمّقُ اِنْحِلَال الدولة، وَتُفَاقِمُ تَفَكُّك المُجْتَمَع ؟

◊ 16) ***يَحْتَاجُ وُجُود الطَوَائِف، وَكذلك اسْتِمْرَارُهَا، إلى تَغْذِيَة «المُعْتَقَدَات الطَائِفِية»، وَنَشْرِهَا، وَتَقْوِيَتِهَا، وَلَوْ كَانَت هذه المُعْتَقَدَات مُجَرَّد خُرَافَات مُضَلِّلَة.*** وَيَحْتَاجُ كَذَلِك وُجُود «الطَوَائِف» إلى تَأْجِيج الأَحْقَاد، أو الضَغَائِن، أو الكَرَاهِيَة، فِيمَا بين هذه «الطَوَائِف»، وَلَوْ كانت مُصْطَنَعَة. أَفَلَا تُدْرِكُ السُلطة السياسية في المغرب أنه، بِإِدْخَالِهَا «التنظيمات الطَائِفِيَة» إلى المغرب، فإنها تَزْرَع المُعْتَقَدَات المُخَادِعَة، والكَرَاهِيَّات الفِئَوِيَة، والْأَحْقَاد الدَّفِينَة، وَالمُنَافَسَات المُخَرِّبَة، والعَدَاوَات العُنْصُرِيَة، والصِدَامَات الهَدَّامَة ؟

◊ 17) كُلُّ تَجَارِب الدُوَل «الطَائِفِيَة» (مثل لُبْنَان، والعِرَاق)، تُؤَكِّد أن ***تَنْظِيم الدولة على أُسُسٍ «طَائِفِيَة»، يُؤَدِّي حَتْمًا إلى اِنْحِلَال المُجْتَمَع، وَإِلَى اِنْهِيَار الدولة،*** وَضُعْفِهَا، وَفَسَادِهَا، وَاسْتِبْدَادِهَا، وَإِفْلَاسِهَا. ثُمَّ تُؤَدِّي «الطَائِفِيَة» إلى خَرَاب المُجتمع. وذلك هو مَا يُلَاحِظُه الجَمِيعُ اليَوْمَ في البُلْدَان المَبْنِيَة على أَسَاس «الطائفية»، مثل لُبْنَان، والعِرَاق. لِأن *«الطَائِفِيَة» تَتَنَاقَضُ مع «العَقْلَانِيَة»، ومع «فَصْل الدِّين عن الدولة»، وَمَعَ «الدِّيمُوقراطية»، وَمَعَ «العَدَالَة المُجتمعية»، ومع «دولة الحقّ والقانون»، وحتّى مع «المُوَاطَنَة المُتَسَاوِيَة». وَيَسْتَحِيل أن تُوجَد «دولة الحقّ والقَانُون»، أو «الحَكَامَة الجَيِّدَة»، أو «الدِّيمُوقْرَاطِية»* (سواءً كانت *«تَمْثِيلِيَة»، أَمْ «تَشَارُكِيَة»*)، *في إطار مُجْتَمَع مُنَظَّم على أَسَاس «الطَوَائِف»*. أَفَلَا تُدْرِكُ السُلطة السياسية في المغرب أنه، بِإِدْخَالِهَا «التنظيمات الطَائِفِيَة» إلى المغرب، فَإِنَّهَا تُعَرِّضُ مَصِير شعب المغرب لِلْهَلَاك ؟

◊ 18) إذا أَرَادَت دولة المغرب أن تَتَعَامَل مع «إسرائيليّين مِن أَصْل مَغْرِبِي» كَـ «***طَائِفَة يَهُودِية مَغْرِبِيَة***» مُتَمَيِّزَة، لِمَاذَا لَا تُطَالِبُ دولة المَغْرِب مِن دولة إسرائيل أن تَلْتَزِمَ، هِيَ أَيْضًا، ***بِمَبْدَأ «المُعَامَلَة بِالمِثْل»*** (réciprocité)، لِكَي تُصْبِح دولة إسرائيل مُجْبَرَة قَانُونِيًّا على التَعَامُل مع «الإِسْرَائِيلِيّين مِن أَصْل مَغْرِبِي» كَـ «طَائِفَة يَهُودِيَة

مَغْرِبِيَة» مُتَمَيِّزَة دَاخِل إِسْرَائِيل ؟ وهل هذا الطّلب وَاقِعِي ؟ وهل يُفِيد شعب المَغرب ؟ وَإِذَا كَانَ هذا الإِجْرَاء مَرْفُوضًا مِن طرف دَوْلَة إسرائيل، فَلِمَاذا تَلْتَزِمُ به دولة المغرب مِن جَانِب واحد، وَبِدُون أيّ مُقَابِل ؟ أَفَلَا تُدْرِكُ السُّلْطَة السياسية في المغرب أنه، بِإِدْخَال «التنظيمات الطَائِفِيَة» إلى المغرب، فإنها ***بَالَغَت جِدًّا في العِنَايَة بِـ «الإِسْرَائِيلِيّين مِن أَصْل مَغْرِبِي»***، مُقَابِل تَسْلِيط الْإِهْمَال، وَالتَجَاهُل، وَالتَهْمِيش، والْاِسْتِغْلَال، وَالقَمْع، وَالاِضْطِهَاد، على المُوَاطِنِين المَغَارِبَة الفُقَرَاء، والبُسَطَاء، وَالمَحْرُومِين، والمُسْتَغَلّين ؟

◊ 19) إذا أصبحت دولة المغرب تَتَعَامَل مع «إسرائيليّين مِن أَصْل مَغْرِبِي»، كَمَغَارِبَة عَادِيّين، وَكَامِلِي «الجِنْسِيَة» المغربية، وَكَامِلِي «المُوَاطَنَة» المغربية، أو تَتَعَامَلُ مَعَهُم كَ بَاقِي «المَغَارِبَة المُقِيمِين في الخَارج»، فَهَل سَيَحْصُل هؤلاء «الإسرائيليّين مِن أصل مغربي»، (سواءً كانوا مُقِيمِين داخل المغرب أم خَارِجَه)، على ***حَقّ الْاِنْتِخَاب، وَعَلَى حَقّ التَرَشُّح، في الانتخابات البَرْلَمَانِيَة، وَانْتِخَابَات الجَمَاعَات التُرَابِيَة*** ؟ وَهَل سَتَحْصُلُ هذه «الطَائِفَة اليَهُودِيَة» على ***حِصَّة*** (***quota***) «طَائِفِيَّة» مُحَدَّدَة مِن المُقَاعِد في بَرْلَمَان المغرب، وفي الجماعات المَحَلِّيَة المغربية ؟ وَإِذَا كَانَت «الطَائِفَة اليَهُودِيَة» تَحْظَى مُنْذُ زَمَن بَعِيد بِـ ***حِصَّة*** (***quota***) «طَائِفِيَّة» في مَنَاصِب «مُسْتَشَارِي المَلِك»، فَكَيْفَ لَا نَتَوَقَّعُ حُصُول هذه «الطَائِفَة اليَهُودِيَة» على ***حِصَص*** (***quotas***) طَائِفِيَة مُمَاثِلَة في مَقَاعِد البَرْلَمَان، والجَمَاعَات التُرَابِيَة ؟ وَهَلْ سَيُؤَدِّي مَنْطِق «تَنْظِيم الطَائِفِيَة اليَهُودِيَة» إلى تَعْمِيم مَنْطِق ***«الحِصَص الطَائِفِيَة اليَهُودِيَة» على مُجْمَل المُؤَسَّسَات التَمْثِيلِيَة في المغرب*** ؟ وَهَل مَا يَحْتَاجُه شعب المغرب هُو إِقَامَة «***المُحَاصَصَة الطَائِفِيَة***»، أم تَشْيِيد «الدِّيمُوقْرَاطِيَة»، و«العَدَالَة المُجْتَمَعِيَة»، وَمُكَافَحَة الرَأْسَمَالِيَة المُفْتَرِسَة ؟

◊ 20) عَلى عَكْسِ رَأْيِ السُّلْطَة السِّيَاسِيَة في المغرب، والتي تُريد تَنْظِيم أَمْن وَطُمَأْنِينَة «الطَّائِفَة اليَهُودِيَة» في المغرب، نُلَاحِظُ أن ***البُلدان التي يعيش فيها اليَهُود مُرْتَاحِين، وَمُطْمَئِنّين، هي بِالضَّبْط البُلدان التي يَعِيش فيها هؤلاء اليَهُود كَمُوَاطِنِين أَفْرَاد عَادِيّين، وَمُنْدَمِجِين، وَمُتَسَاوِين مع بَاقِي مُوَاطِنِي مُجْتَمَعِهِم، وَلَا يَعِيشُون فيها كَـ «طَائِفَة مُتَمَيِّزَة»***. وَنَذْكُر من بين هذه البلدان مثلًا الولايات المتّحدة الأمريكية، وَكَنَدَا، وَأَلْمَانِيَا، وَالمَمْلَكَة المُتَّحِدَة (إِنْجَلْتِرَا)، والنَمْسَا، وَأُوسْتِرَالْيَا، الخ. وَلَا يُوجد في هذه الدول تَنْظِيم خَاصّ بِـ «الطَّائِفَة اليَهُودِيَة». [بَيْنَمَا في فَرَنْسَا، نَجَحَت الحَرَكَة الصَّهْيُونِيَة المُتَخَفِّيَة في تَنْظِيم اليَهُود الفَرَنْسِيِّين كَـ «طَائِفَة يَهُودِيَة سِرِّيَة»، وَلَوْ أن قَوَانِين جُمْهُورِيَة فَرَنْسَا تَمْنَع مَظَاهِر الطَائِفِيَة (communautarisme). بَل فَرَضَت الحَرَكَة الصَّهْيُونِيَة في فَرَنْسَا تَمْرِير قَانُون يُجَرِّمُ نَقْد إسرائيل، وَنَقْد الصَّهْيُونِيَة]. أمّا البُلدان التي يعيش فيها اليَهُود في حَالَة مُتَأَزِّمَة، أو تَصَادُمِيَة، أو عَدَائِيَة، فَهِيَ بِالضَّبْط البُلْدَان التي يعيش فيها اليَهُود ***كَـ «طَائِفَة» مُتَمَيِّزَة، أو اِسْتِثْنَائِيَة***، سواءً كانت هذه الطَائِفَة اليَهُودية سَائِدَة (مثلما هو الحال في إسرائيل)، أم كَطَائِفَة مَسُودَة (مثلما كان الحال مِن قَبْل في بعض البلدان الأَوْرُوبِّيَة، أو بعض البلدان النَاطِقَة بِالعَرَبِيَة). وَمَعْنَى ذلك أنه، ***كُلَّمَا تَشَبَّثَ اليَهُود (أو غيرهم) بِأَن يَعِيشُوا كَطَائِفَة مُتَمَيِّزَة، يُصْبِحُون بِالضَّرُورَة يَحْيَوْنَ في أَزْمَة، وَتَغْدُو مُعَانَاتُهُم مُحْرِجَة، أو مُضْنِيَة، أو مُؤْلِمَة.***

◊ 21) مِنْ بَيْن الاِنْحِرَافَات الأَسَاسِيَة في الصَّهْيُونِيَة، هو أنها تُرِيدُ أن يَعِيشَ اليَهُود كَـ «طَائِفَة دِينِيَة مُتَمَيِّزَة»، وَذَات «حُقُوق اِسْتِثْنَائِيَة». (حيث تُطَالِبُ مثلًا الصَهْيُونِيَة بِحَقّ إِلَاهِي خَاص بِاليَهُود، يَسْمَحُ لَهُم بِغَزْو وَاسْتِيطَان فلسطين وَمَا جَاوَرَهَا). وَمِنْ بَيْن أَسْبَاب شَقَاء اليَهُود، نَجِدُ رَغْبَةَ جُزْء هَامّ منهم في العَيْش كَـ «سُلَالَة دِينِيَة نَقِيَة»، أو كَـ «طَائِفَة دِينِيَة مُتَمَيِّزَة»، أو ذَات «حُقُوق اِسْتِثْنَائِيَة». ***وَمِنْ بَيْن الحُلُول***

لِخَلَاصِ اليَهُود مِن اِضْطِهَادِهِم كَـ «طَائِفَة»، أو مِن كُرْهِهِم، أو مِن إِقْصَائِهِم كَـ «سُلَالَة»، هو أن يَعِيشَ كُلُّ مُجْتَمَع (خاصّة إذا كان يَحْتَوِي على يَهُود)، ***على أَسَاسِ فَصْلِ الدِّين عَنِ الدَوْلَة،*** [*وَكَذَلِك على أساس فَصْل الدِّين عن السياسة، وَفَصْل الدِّين عن الاقتصاد، وفصل الدِّين عن الفُنُون، مَعَ ضَمَان حُرِّيَة العَقِيدَة لِلْجَمِيع، وَحُرِّيَة العِبَادَة، وَحُرِّيَة عَدَم العِبَادَة، وَحُرِّيَة الاختيّار بين الزَوَاج الديني والزَوَاج المَدَنِي، وعدم التَمْيِز بين المُواطنين على أساس الدِّين، أو التَدَيُّن، أو العِبَادَة*]. *ولا يكون مَنْع تنظيم اليَهُود على أَسَاس طَائِفِي عَادِلًا، إِلَّا إذا رَافَقَه مَنْعُ كُلِّ أَنْوَاع التَنْظِيمَات الطَائِفِيَة، سَوَاءً كانت لِلْيَهُود، أَمْ لِلْمُسْلِمِين، أم لِلْمَسِيحِيِّين، أم لِغَيْرِهم. كَمَا يَلْزَمُ مَنْع قِيَام الدَوْلَة على أساس دِينِي* (سواء كان هذا الدِّين هو اليَهُودِيَة، أم الإسلام، أم المَسِيحِيَة، أم غَيْرِهَا). *وَتَحَرُّر المُوَاطِنِين اليَهُود، أو تَحَرُّر أَيِّ جُزْء آخر من المُوَاطِنِين، مَشْرُوطٌ بِتَحَرُّر كُلِّ المُوَاطِنِين، وَبِدُون أَيِّ اِسْتِثْنَاء. وَيَسْتَوْجِبُ الحَلُّ أَيْضًا أن يكون المواطنون سَوَاسِيَة في كلّ حُقُوق المُوَاطَنَة، وَبِدُون أَيِّ تَمْيِيز بَيْن مُعْتَنِقِي هذا المَذْهَب الدِّينِي أو ذاك، وَبِدُون أيّ فَرق بين المُتَدَيِّنِين وغير المُتدّينين. كَمَا يَسْتَوجِبُ الحَلُّ أن تُعْطِيَ الدَوْلَة السِّيَادَةَ أو الأَسْبَقِيَةَ لِلْعَقْل، وليس لِلدِّين. لِأَنَّ تَجَارِب كُلِّ مُجتمعات العالم تُثْبِتُ أنّ تَغْلِيب الدِّين على العَقْل، أو على الدَوْلَة، أو على السِيَاسَة، يُؤَدِّي حَتْمًا إلى الاِسْتِبْدَاد، وإلى المُنَافَسَات، والصِرَاعَات، والصِدَامَات، والمَظَالِم، والاِنْحِطَاط، والخُرُوب، والخَرَاب.*

◊ 22) في كُلِّ مُجْتَمَع تَكُونُ فيه الدَوْلَة خَاضِعَة لِلدِّين، أو مُتَدَاخِلَة مَعَهُ (بِمَا فيها دَوْلَة إِمَارَة المُؤْمِنِين)، أو تَكُونُ فيه السِيَاسَة رَاضِخَة لِلدِّين، يُصْبِحُ بِالضَّرُورَة مُجْمَل المُوَاطِنِين أَشْقِيَّاء، سَوَاءً كَانُوا يَهُودًا، أو مُسْلِمِين، أو مَسِيحِيِّين، أو غَيْر مُتَدَيِّنِين؛ وَذَلِك بِسَبَب المُنَافَسَات، والصِّرَاعَات، والصِّدَامَات الحَادَّة، التي تَحْدُثُ بين أَفْرَاد وَجَمَاعَات تَتَدَيَّنُ بِشَكْل مُخَالِف. وَغَالِبًا مَا ***تَنْتُج هذه الصِرَاعَات عَن التَنَاقُض***

بَيْن المَنْطِق المُنَظِّم لِلدَّوْلَة، أو لِلْمُجْتَمَع، وَالمَنْطِق المُنَظِّم لِلدِّين.
أَفَلَا تُدْرِكُ السُلطة السياسية في المغرب أنه، بِإِدْخَالِهَا «التنظيمات الطَائِفِيَة» إلى المغرب، فَإِنَّهَا تُخْضِعُ آلِيَّات دَوْلَة المغرب لِمَنْطِق الدِّين اليَهُودِي، أو لِهَيْمَنَتِه ؟

◊ 23) ***كلّ اِنْتِمَاء*** لِعَائِلَة، أو لِقَبِيلَة، أو لِمَجْمُوعة، أو لِشَعْب، أو لِوَطَن، وَرَغْمَ مَا يَرْتَبِطُ به مِن عَصَبِيَّة، وَمِن مُعْتَقَدَات، ***فهو مَنْتُوج تَارِيخِي، ويبقى طَيِّعًا*** (***malléable***) ***نِسْبِيًّا***، وفي تَفَاعُل مع التَكْوِين (والتَرْبِيَة)، والثَقَافَة، وتطوّر المُجتمع، والصراع الطَبَقِي، (وكذلك في تَفَاعُل مع تطوّر الأَوْضَاع في العَالَم، على المُسْتَوَيَات السياسية، والاقتصادية، والثقافية). وَكُلّ إِنْتِمَاء لِعَائِلَة، أو لِقَبِيلَة، أو لِجَمَاعَة دِينِيَة، أو لِجَماعة جِهَوِيَة، أو عِرْقِيَة، أو إِثْنِيَة، أو لُغَوِيَة، أو مَا شَابَهَ ذلك، يَتَطَوَّر بِالضَّرُورَة لِيُصْبِحَ في تَنَاقُض مُتَزَايِد مع الْاِنْتِمَاء لِمُجْتَمَع بَشَرِي أو إِنْسَانِي مُوَحَّد. فَيَنْضَافُ «اِنْقِسَام المُجْتَمَع إلى طَوَائِف مُتَصَارِعَة» إلى «اِنْقِسَام المُجْتَمَع كَطَبَقَات مُتَنَاقِضَة». فَيَتَحَوَّلُ المُجْتَمَع إلى جَحِيم. وَلَا يُمكن الخَلَاص من هذا الجَحِيم المُجْتَمَعِي سِوَى عَبْرَ ثَوْرَة مُجْتَمَعِيَة شَامِلَة وَشُمُولِيَة. لِذلك يجب على المُوَاطِنِين أن يَبْذُلُوا جُهُودًا مُتَوَاصِلَة لِكَيْ يُبْقُوا كُلّ اِنْتِمَاءَاتِهِم الدِّينِيَة، والمحلية، والجهوية، وَالْإِثْنِيَة، وَاللُّغَوِيَة، وغيرها، خَاضِعَة، وَتَابِعَة، لِاِنْتِمَاء وَاحِد مُوَحَّد لِلْوَطَن المُشْتَرَك، وَلِلشَّعْب الشَّامِل، وَلِلدَّوْلَة الدِّيمُوقراطية والعَادِلَة.

◊ 24) وَرَغْمَ أن جزءا هَامًّا من اليهود المَيْسُورِين كانوا (أو مَا زَالُوا) يَتَمَتَّعُون بِبَعض الامتيازات الخاصة المَمْنُوحَة من طرف الأَمِير، أو السُّلْطَان، أو المَلِك؛ وَنَظَرًا لِكَوْن جزء هَامّ من اليهود المَغَارِبَة المَيْسُورِين كانوا، إِبَّان استعمار المغرب من طرف فرنسا (بين سنتي 1912 و 1956)، مُنْحَازِين إلى المُستعمرين الفرنسيّين؛ وَنَظَرًا لِكَوْن عَدَدٍ من اليهود المغاربة المَيْسُورِين كانوا آنَذَاك يحملون صِفَة، أو

اِمْتِيَّاز، «المَحْمِيّين» (protégés) من طَرَف الدول الأوروبّية القوية؛ يُوجَدُ اليومَ ***تَخَوُّف جدّي لَدَى كثير مِن المغاربة من خَطَر تَحَوُّل عَدَدٍ من الإسرائيليّين الجُدُد «مِن أَصْل مَغْرِبِي» (العَائِدِين مُؤَخَّرًا من إسرائيل إلى المغرب نَتِيجَةْ لِـ «اِتّفَاقِيَة التَطْبِيع») إلى عُمَلَاء سِرّيين، مُجَنَّدين لِخِدْمَة إسرائيل،*** وَلِخِدْمَة الدُّول الغربية الإمبريالية. فَهَل تَرْقَى السُّلْطَة السياسية في المغرب إلى مُسْتَوَى الاِهْتِمَام بِتَخَوُّفَات المُوَاطِنِين المَغاربة ؟

◊ 25) إن السماح لِأَعْدَادٍ هامّة، وَمُتَزَايِدَة، من الإسرائيليّين، بأن يَسْتَقِرُّوا في المغرب، وأن يحصلوا على الجنسية المغربية، وَأَنْ يَحْظَوْا كَـ «طَائِفَة يَهُودِيَة» بِامْتِيَّازَات خَارِقَة، يُحْتَمَل جِدًّا أن يُؤَدّيَ إلى تَصَاعُد تَأْثِير هؤلاء الإسرائيليّين على باقي سُكَّان المغرب، في مُختلف مَيَادين الحياة (الاقتصادية، والبَنْكِيَة، وَالمَالِيَة، والسياسية، والإِعْلَامِيَة، واللُّغَوِيَة، والمُخَابَرَاتِيَة، والثقافية، الخ). لكن لا أحد يَقدر اليوم على أن يُثْبِتَ، أو أن يَضْمَنَ، أن هذا التَأْثِير لَنْ يكون سَلْبِيًّا، أو مُخَرِّبًا. بل ***المُتَوَقَّع هو أن يتصرّف هؤلاء «الإسرائيليّين مِن أَصْل مَغْرِبِي» كَأَشْخَاص أَوْفِيَّاء لِلْكِيَّان الصَهْيُونِي الإِسْرَائِيلِي. حيثُ أنه، مَا دَامَ «الإسرائيليُّون مِن أصل مغربي» مُنَاصِرِين لِلصُّهْيُونِيَة، وَلِإِسْرَائِيل، فالاحتمال الأكبر هو أنهم سَيَتَصَرَّفُون كَأَشْخَاص أَوْفِيَّاء لِإِسْرَائِيل، وَكَجُنُود مُعَبَّئِين لِخِدْمَة المَشْرُوع الصَّهْيُونِي. وَكُلَّ أَفْعَالِهِم سَتُوَجَّهُ لِدَعْم سِيَاسَات دَوْلَة إِسْرَائِيل، بِاعْتِبَارِهَا دَوْلَة إِسْتِعْمَارِيَة، وَعُنْصُرِيَة، وَإِمْبِرْيَالِيَة.***

26) قَد سَبَقَ أن عَبَّر كَثِير مِن مُوَاطِنِي المَغْرِب على اِنْشِغَالَاتِهِم، وَعَن تَخَوُّفَاتِهِم، مِن أن ***يستفيد هؤلاء «الإسرائيليّين مِن أصل مغربي» مِن علاقاتهم مع دَوْلَة إسرائيل، ومع الدُوَل الغَربية القوية، لكي يُهَيْمِنُوا في المغرب على مُجْمَل الأنشطة*** الاقتصادية، بما فيها ميادين الصناعة، والمُعِدَّات الصِنَاعِيَة، والتجارة، والبُنُوك، والمَالِيَة،

والتِكْنُولُوجِيَّات، والعُلُوم، والإِعْلَام، والسياسة، واللُّغَات المُتَدَاوَلَة، والثقافة، والفنون، والمُؤَسَّسَات التَمْثِيلِيَة، الخ. ومن المُحْتَمَل أن يَتَحَوَّل كَثِيرُون من «الإسرائيلِيّين مِن أصل مغربي» إِلى وُكَلَاء تِجَارِيّين في المغرب، يُمَثِّلُون شَرِكَات إِسْرَائِيلِيَّة، يَرْتَبِطُ مُعْظَمُهَا بِشَكْل أو بِآخَر بِالجَيْش الإِسْرَائِيلِي. لكن السُّلْطَة السياسية في المغرب لَا تَهْتَمُّ بِانْشِغَالَات المُوَاطِنِين.

خُلَاصَة جُزْئِيَة أُولَى : لقد وَجَدَت الدُّوَل الغَرْبِيَة الإمبريالية، والحركة الصهيونية، في السُّلْطَة السياسية القَائِمَة في المغرب، فَرِيسَةً طَازِجَة، وَسَاذَجَة، وَسَهْلَة التَأْثِير. وَسَتَسْتَغِلُّ الإِمْبِرْيَالِيَة وإِسْرَائِيل هذه الفُرْصَة بِلَا شَفَقَة، وَلَا رَحْمَة، لِتَحْقِيق أَهدافها الاِسْتِعْمَارِيَة، وَالإِمْبِرْيَالِيَة. وَسَيَكُون مَصِير شعب المغرب مُعَرَّض لِلْخَطَر.

خُلَاصَة جُزْئِيَة ثَانِيَّة : وَاجِبُ السُّلْطَة السياسية، التي تَطْمَحُ إِلى أن تَكُون «وَطَنِيَة»، وَمُجَنَّدَة لِـ «خِدْمَة الشعب»، هُوَ تَجَنُّب، ***وَمَنْع، تَشَكُّل هَوِيَّات «طَائِفِيَة» دَاخِل المُجْتَمَع،*** سَوَاءً كان ذلك على أساس الدِّين، أم اللغة، أم الجِهَة، أم القَبِيلَة، أم الجُغْرَافِيَة، أم الإِثْنِيَة (éthnie)، أم العِرْق، أم لَوْن البَشْرَة، أم الاقتصاد، أم الوَظِيفَة، الخ. وَإِلَّا، أَصْبَحَ البَلَد المَعْنِي مُعَرَّضًا لِلتَفَكُّك، والْاِنْحِطَاط، والخَرَاب. ***والسَبِيل لِتَلَافِي الْاِنْحِلَال، والتَخَلُّف، هُو تَقْوِيَة «الديمُوقْرَاطِيَة التَشَارُكِيَة»، وَالمُوَاطَنَة المُتَسَاوِيَة، وَ«العَدَالَة المُجْتَمَعِيَة»، وَمُحَارَبَة الرَّأْسَمَالِيَة المُفْتَرِسَة.***

خُلَاصَة جُزْئِيَة ثَالِثَة : الحَلُّ الوَحِيد المُلَائِم لِمُعَالَجَة الْمَشَاكِل المُعَقَّدَة، والمُقْلِقَة، التي تُثِيرُهَا إِشْكَالِيَة «تنظيم الطائفة اليهودية المغربية»، هو التَرَاجُع التَّام لِدَولة المغرب عن كُلّ هذه القَرَارَات، وَإِلْغَاء كل شَكْل مِن أشكال «الطَائِفِيَة» في المغرب، وَمَنْعُهَا كُلِّيًا، وَنِهَائِيًّا، بِقُوَّة القَانُون؛ وكذلك التَرَاجُع الكُلِّي، والنِهَائِي، عَن كُلّ أَشْكَال «التَطْبِيع بين دولة المَغرب ودولة إسرائِيل»؛ والتَعَامُل مَعَ كلّ

الإِسْرَائِيلِيّين، المُنَاصِرِين لِلصَّهْيُونِيَة، وَلَوْ كَانُوا مِن أَصْل مَغْرِبِي، كَأَعْدَاء لِشَعْب فَلَسْطِين، وَلِشَعْب المَغْرِب، وَلِكُلّ الشُّعُوب التَوَّاقَة لِلْحُرِّيَة.

(كتب رحمان النوضة هذا الفصل في 3 شتنبر 2022، وذلك بعد إقدام السلطة السياسية في المغرب على تَقْرِير تنظيم «الطَائِفَة اليَهُودِيَة في المغرب»).

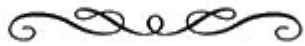

9ـ لَمْحَةٌ مُوجَزَةٌ عن التَّارِيخ القَدِيم لِفَلَسْطِين

أردتُ المساهمة في فضح الظّلم المسلّط على الشعب الفلسطيني، فتطلّب الأمر مني نقدَ الصهيونية. ولمّا أردتُ نقد الصهيونية، تطلب الأمر منّي عرض لمحة موجزة عن أهم أحداث تاريخ فلسطين. ولمّا أردتُ تلخيص تاريخ فلسطين، تطلب الأمر منّي، في نفس الوقت، نقد أهم سلوكيّات الحركة الصهيونية، وكذلك نقد أطروحاتها الفكرية. وفيما يلي هذا المزيج بين التاريخ والنّقد.

61) يُطْلَقُ اِسم «فَلَسْطِين» في التاريخ على المنطقة الموجودة بين البحر الأبيض المتوسط ونهر «الأردن». وكانت هذه المنطقة مَأْهُولَة منذ آلاف السّنين. وتختار الأيديولوجية الصهيونية من التاريخ كلّه فترةً واحدة فقط، وقبائل يهودية دون غيرها، وتمنحها كل الامتيازات، وكلّ الشرعيات التاريخية.

62) وعلى خلاف هذه الانتقائية لدى الأيديولوجية الصهيونية، فقد سكن منطقة فلسطين، واختلط فيها، الكثير من الشعوب. وخضعت هذه المنطقة للعديد من الدُّوَيلاَت، أو المَمْلَكَات، أو الإمَبْرَاطُورِيات

(مثل الكَنْعَانِيّين [Cananéens] من 3000 إلى 2300 قبل الميلاد، وفلسطينيّي السّاحل [Philistins du littoral]، والعِبْرَانِيّين [Hébreux]، والأَرَامِيّين [Araméens de Damas]، والآشُورِيّين [Assyriens]، والبَابِلِيّين [Babyloniens de Mésopotamie]، والسّاسَانيين [Sassanides]، والبَارْثِيّين [Parthes]، والفُرْس [Perses] من سنوات 587 إلى 333 قبل الميلاد، والأَخِمِينِيّين [Achéménides]، والإِغْرِيق [Hellénistiques] من سنوات 333 إلى 134 قبل الميلاد، والرُّومَان [Romains]، والأَدُمِيّين [Edomites] بين سنوات 587 و333 قبل الميلاد، والمُآب [Moabites]، والعَمُون [Ammonites]، والبِيزَنْطِيّين [Byzantins]، والعرب [Arabes]، والصَّليبِيّين [Croisés]، والعُثْمَانِيّين [Ottomans]، والبريطانيين [Britanniques]، إلى آخره).

(63) تمّ العثور في فلسطين على بقايا عظام كائنات شبيهة بالإنسان في موقع "العُبَيْدِيَّة"، في جنوب بُحيرة "طَبَرِيَّا"، ***ويرجع تاريخها إلى أكثر من مليون سنة.***

(64) وبين سنوات 11000 و 9000 قبل ميلاد المسيح، نَمَت حضارة "***النَّطُوفِيّين***" (Natoufien) في مناطق لبنان، وفلسطين، وسيناء. ويعتبر بعض علماء التاريخ القديم أن هؤلاء "النَّاطُوفِيّين" هم أجداد الشعوب التي انتشرت فيما بعد في آسيا.

(65) وفي قرابة 8000 سنة قبل الميلاد، كانت ***مدينة «أَرِيحَا»*** من أوائل مدن العالم. وكان الطقس آنذاك ملائما أكثر. وقد اُكْتُشِفَت أدوات من العظام والفخار، وتماثيل من العاج، وأشياء من النحاس، وأقمشة (من لِين)، تعود إلى فترة ما بين 4500 و 3300 سنة قبل الميلاد. وتظهر هذه الأدوات بعض التشابه مع ما كانت عليه آنذاك

حضارة الفراعنة القائمة في مصر. وكان المَمَرُّ بينهما هو صحراء "سِينَاء".

(66) وامتدّت ***الحضارة "الكَنْعَانِيّة"*** من قرابة سنوات 3000 قبل الميلاد، إلى قرابة سنوات 2300 قبل الميلاد. وازدهرت هذه الحضارة "الكَنْعَانِيَّة"، وتطوّرت فيها التجارة، والخزف، والبنايات. ونشأت فيها مدن تعمل كَدُوَيْلاَت. وكانت تعتمد على مُزارعين مستقرّين، وعلى رُعاة شبه رُحَّل. ونمت من خلال التجارة مع مصر الفِرْعَوْنِية. وكانت مجموعات بشرية تأتي إلى فلسطين من الشمال، أو من الجنوب، أو تغادرها نحو هذه الجهات. وبعض المخطوطات، التي تعود إلى قرابة سنوات 2100 قبل ميلاد المسيح، تتحدّث عن وجود المدينة "الكنعانية" «***أُورُوسَالِيم***» (Jérusalem).

(67) ***وعلى خلاف مزاعم الأيديولوجية الصهيونية، فإن «هِجْرَة» اليهود خارج فلسطين (Diaspora, ou Dispersion)، لم تكن دائما تحت الضّغط.*** فمثلا خلال عهد الإسكندر الأكبر المقدوني (Alexandre le Grand de Macédoine)، أي بين سنتي 333 إلى 323 قبل الميلاد، كان آلاف اليهود يهاجرون طوعًا ويستقرّون في العديد من مدن الإمبراطورية، من البحر الأسود إلى بحر إيجه (la mer Egée)، وفي العاصمة الإسكندرية (في مصر).

10ـ أَسْبَاب صُعُود الحَرَكَة الصَّهْيُونِيَّة

68) تَكَوَّنَت «***المنظمة الصهيونية العالمية***» في سنة 1897، أي خلال فترة تاريخية كانت تتميّز بتسابق الأمم القوية إلى اكتشاف، واحتلال، واستعمار، أكثر ما يمكن من الجزر، والقَارَّات، والأراضي الشاسعة، الموجودة على وجه الكرة الأرضية.

69) وكانت الحركة الصهيونية تريد الإسراع إلى ***تَقليد ما تقوم به الدول القوية من استعمار.*** ونلاحظ أن مجمل الأيديولوجية الصهيونية تدور حول تبرير العودة إلى فلسطين، واحتلالها، واستعمارها. وَلم تَكُن الحركة الصَّهيونية تُعِير أَيَّةَ أَهَمِّيَة إلى السُكَّان الأصليّين في فَلسطين. وكانت استراتيجية الحركة الصهيونية في كل مرحلة تُراهن على التَقَرُّب من، أو التَّحالف مع، أقوى الدول الاستعمارية، أو الإمبريالية، السّائدة في العالم، مثل "بريطانيا العظمى"، ثم فرنسا، ثم الولايات المتحدة الأمريكية.

وكانت الحركة الصهيونية، منذ نشأتها، يمينية متطرّفة، بل رجعية. وعلى خلاف بعض الأطروحات المُرَوَّجَة، لم تكن أبداً الحركة الصهيونية تَقدّمية، أو تحرّرية، أو إشتراكية، أو إِنْسَانِيَة، أو تَوَّاقَة لتوفير العدل والحرّية لمجمل البشر. ***وكلّ عَدْلٍ يكون اِمْتِيَازًا خاصًّا بِمَجْمُوعة بَشرية واحدة، أو بِشعب واحد، أو بِمَنطقة واحدة، يفقد***

صفة العَدل، ويتحوّل إلى ظلم مُسْتَتِر. ولم تهتم الحركة الصهيونية بقيم الإنسانية، ولم تكن تلتزم بحقوق الإنسان كما هي مُحدّدة من طرف الأمم المتحدة. وإنما كانت الحركة الصهيونية مبنية على أساس ***عَصَبِيّة طائفية*** (communautaire)، ومَهْوُوسَة بالدفاع فقط عن مصالح اليهود المساندين للصهيونية. ***ولم تكن الحركة الصهيونية ترى من خلاص لطائفة اليهود إلَّا عبر طرد شعب فلسطين من وطنه،*** ولو أن الفلسطينيين ليسوا هم من كانوا يضطهدون اليهود في بلدان أَوْرُوبَّا.

(70) نَمَتْ الحركة الصّهيونية وسط بعض يهود بلدان أَوْرُوبَّا، ليس بسبب اضطهاد اليهود من طرف العرب والمسلمين، وإنما كَرَدِّ فعل على تزايد "مُعَادَاة السَّامِيّة" (antisémitisme) من طرف السُكّان المسيحيين الموجودين داخل العديد من بلدان أَوْرُوبَّا المَسِيحِيَة، أو الكَاثُولِيكِيَة، أو الْأُرْثُوذُوكْسِيَة. [وتعني ***"مُعَاداة السّامِيّة"*** معاداة اليهود؛ دون أن ننسى أن "العرب" يُعتبرون هم أيضا، مثل "اليهود"، من أصل "سَامِي (sémite)"]. ***وكانت تُخاض حَمَلَات قمعية شرسة ضدّ اليهود، داخل معظم دول أَوْرُوبَّا،*** ومنها مثلاً روسيا، وبولونيا، وألمانيا، والنَّمْسَا، وفرنسا، إلى آخره. وكان المنطق يفرض بأن تناضل الحركة الصهيونية ضد المسحيّين الأوروبيّين الذين كانوا يضطهدون اليهود. لكن بَدَلًا من ذلك، اختارت الحركة الصهيونية استراتيجية التحالف مع مسيحيّي أَوْرُوبَّا لاحتلال واستعمار فلسطين، التي يسكنها غالبة كبيرة من المسلمين.

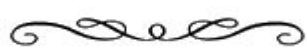

(71) وبطبيعتها الأنانية، حاولت الحركة الصهيونية استغلال كل شيء ممكن لبلوغ غاياتها. فكان مُحَتَّمًا أن تستغلّ الحركة الصهيونية الدّين اليهودي. لأن قوة تأثير الدّين على عقول جماهير اليهود يُسهّل التلاعب السياسي بها. وحرصت الحركة الصهيونية على تحويل الدين اليهودي إل دين خاص بِـ "قومية" واحدة، وبِـ "إثنية (éthnie)" وحيدة، وترفض الصهيونية فتح هذا الدّين اليهودي على مجمل البشرية. واستغلّت الحركة الصهيونية بعض الأطروحات الدّينية، مثل أطروحات «الشعب اليهودي شعب مُفَضَّل من طرف الإله»، ولو أن الإله هو إله مجمل الأمم على السَّوَاء، وليس إله اليهود وحدهم. ولا يُعقل أن يُفضّل الإله شعبًا محدّدا، على باقي الشعوب، كما لَا أن يُخَصّص الإله إِرْثًا مُعيّنًا لشعب دُون الشعوب الأخرى. لأن الانحياز إلى طرف دون آخر يتنافى مع العَدْل، ولا يمكن للإله أن يكون غير عادل، وإلَّا اِنْتَفَت أُلُوهِيَّتُه هذا الإلَه ! وَأُطْرُوحة تَفضيل الإله لشعب واحد على حساب الشعوب الأخرى، هي مُجرّد خُرافة بَشَرِيَة أُبْتُكِرَت لِتَبْرِير أَطماع أَنَانِية، أو انتهازية، وَتَتَنَاقَضُ مع طبيعة الإله الكَوْنِيَة. كما استغلت الحركة الصهيونية أطروحة دينية أخرى، مثل «العَوْدَة إلى الأرض المُقَدَّسَة المَوْعُودَة»، لتبرير استعمار فلسطين، وطرد سكانها الأصليين. ولو أن مجمل الحِكَم، والفلسفات في العالم، تقول: أن من يَسْعَدُ لِشقاء غيره، هو مصاب بالحقد، أو الشَّر، أو الحسد، أو الكراهية، أو الاستلاب (aliénation). وَيستحيل أن يَعِدَ الإله جماعة بشرية مُعيّنة بِبُقْعَة أرض مُحدّدة، لأنه يُفْتَرَضُ في الإله أنه قادر على خلق أعداد لَا مُنتهية مِن البُقَع الأرضية التي يُريد منحها لِمختلف الجماعات البشرية. وأطروحة «العَودَة إلى الأرض المَوْعُودَة مِن طرف الإله، والمُخَصَّصة إلى الشعب المُختار»، تُحَوّل الإله إلى كائن مُنحاز، ومتعصّب لِقَبِيلة مُحدّدة،

وعاجز على توفير المُسَاوَاة بين مخلوقاته البشرية. وهو زعم خُرَافِي مُتَخَلِّف، وانتهازي، وكَاذب.

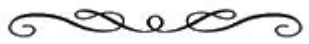

72) وكانت قوّة الحركة الصهيونية تأتي من عدّة عناصر متكاملة فيما بينها، ومنها مثلا: دهاء قادتها، وعلاقاتها الخفية والمُؤَثِّرَة مع النُّخَب الحاكمة، واستفادة هذه الحركة الصهيونية من الدّعم المالي الذي كانت توفّره لَهَا بعض العائلات اليهودية الغنية في مجال الأبناك والتَأْمِين، أو القوية في ميدان الإعلام، أو غيرها.

73) ***وبدلاً من أن تكافح الحركة الصهيونية ضدّ "معاداة السّامية" داخل أوطانها الأصلية في أَوْرُوبَّا، وبدلاً من أن تُناضل من أجل استمتاع المواطنين اليهود بمجمل حقوق المواطنة، وبحقوق الإنسان، فضّلت الحركة الصهيونية الاِسْتقالَة كُلّيًا من بلدان أَوْرُوبَّا، وقرّرت الذهاب إلى أرض فقيرة، أو ضعيفة، أو مستعمَرة آنذاك (هي فلسطين)***. وخطّطت الحركة الصهيونية لتحويل فلسطين إلى «وطن خاص باليهود». وَصَبَّت نِقْمَتَها، وحِقْدها، على ***السكّان الأصليين في فلسطين (العرب)، الذين لا يتحمّلون أية مسؤولية فيما تعرّض له يهود أَوْرُوبَّا من اضطهاد.*** ولا تستطيع الحركة الصهيونية أن تُثْبِتَ بِمَنهج عقلاني: لماذا لا يمكن تحقيق خلاص اليهود سوى عبر احتلال واستعمار أرض فلسطين بالذّات؟

واستغلّت الحركة الصهيونية المفهوم الدّيني اليهودي «العَالِيَا» (أو الصُّعُود)، الذي يعني في اللّغة العِبرية «الهجرة إلى الأرض المقدّسة» (ويُذكّر بِمَفْهُوم «الحجّ» لدى المسلمين). وحوّلت الصهيونية «العَالِيَا»

إلى فريضة دينية تُوجب تَبَنّي الأطروحات السياسية الصهيونية. وسخّرت هذه «العَالِيَا» لخدمة مشروع استعمار فلسطين.

(74) من بين أهم الحُجج التي تنبني عليها الأيديولوجية الصهيونية، زَعْمُها أنه «يحقّ لكلّ يهود العالم أن يعودوا إلى أرض أجدادهم (في فلسطين) التي طُرِدُوا، أو هُجّرُوا منها، قبل خمسة آلاف سنة، ويحقّ لهم أن يحتلّوها، وأن يتملّكوها من جديد»! فلماذا تحقّ هذه «العودة» لليهود، ولا تحقّ نفس «العودة» لفلسطينيّي فلسطين الذين طردتهم الحركة الصهيونية؟ ولماذا نبني حقّ «العودة» على أساس ما كان قبل خمسة آلاف سنة، وليس على ما كان قبل 50 سنة، أو 500 سنة، أو 000 500 سنة؟ ولماذا أرادت الحركة الصهيونية تطبيق «حَقّ العَودة» على فلسطين في الشرق الأوسط، وليس على الأندلس في أَوْرُوبَّا، حيث طُرد اليهود والمسلمون منها في قرابة سنة 1492 م؟! وَبِنَفْس المَنْطِق المتهوّر، يمكن للحركة الصهيونية غداً أن تزعم حقّها في احتلال واستعمار مصر، بِحُجَّة أن بعض اليهود خَرَجُوا في الماضي البعيد من مصر. وإذا كانت أطروحة «حقّ العودة» هذه صحيحة من الناحية المبدئية، أو القانونية، أو الأخلاقية، فسيكون من حق مجموعات بشرية عديدة عبر العالم أن تطبّق نفس الأطروحة. وتنفيذا لهذه الأطروحة، يحقّ مثلًا لسكّان أمريكا الشمالية أن يعودوا إلى أَوْرُوبَّا التي اُضْطُرَّ أجدادهم إلى الهجرة منها قبل قُرابة أربعة قرون، ويحق لهم أن يحتلوها، وأن يمتلكوها من جديد. كما يحقّ أيضا إلى الأندلسيّين والمغاربة أن يعودوا إلى الأندلس التي طُردوا منها قبل قُرابة سبعة قرون. كما يحقّ لشعوب أَوْرُوبَّا أن

تعود إلى إفريقيا، وأن تسترجع، وأن تَتَمَلَّك أراضي أجدادهم، بدعوى أن أجدادهم هجروا من شرق إفريقيا قبل مئات الآلاف من السّنين. إلى آخره. وبما أن مجمل المجموعات البشرية ظلّت تَتَنَقَّل، وتهاجر، عبر التاريخ القديم، فسيصبح بإمكان أية مجموعة بشرية حالية أن تزعم حقّها في احتلال واسترجاع أراضي، أو أوطان غيرها. وهذه الأطروحات ليست سوى مجرّد تحايل فكري لتضليل الناس، ولتبرير الغزو، والاحتلال، والاستيطان، والاستعمار. ومثلًا بعد نهوض ***حركات التحرّر الوطني من الاستعمار الأوروبي***، خلال القرن العشرين، طُرح مشكل الحُدود بين الأوطان، فقال الكثير من العُقلاء: لِتَلَافي فوضى شاملة وغير مُنتهية، تَتَوافق الشعوب فيما بينها على المحافظة على الحُدُود الموروثة عن الاستعمار، وَلَا تُحاول الرجود إلى الحُدُود التي كانت قائمة قبل مِئَة، أو خمسة مِئَة عام.

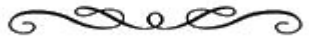

(75) في 2 نونبر 1917، وباسم الحكومة البريطانية، بَعَثَ ***الإنجليزي اللُّوْرْدْ أَرْتِير بَالْفُور*** (Arthur Balfour)، وزير خارجية «بريطانيا العظمى» (المملكة المتّحدة)، (وهي أكبر دولة مستعمِرة آنذاك)، رسالة مفتوحة إلى البَارُون لْيُونِيل رُوتْشِيلْدْ (Lionel Walter Rothschild)، وهو قائد ***الحركة الصهيونية***، والقائد البنكي الرّئيسي الذي يُمَوّلُها. وفي هذه الرسالة، وَعَدَ لْيُونِيل بَالْفُور الحركةَ الصّهيونيةَ بالتزام دولة «بريطانيا العظمى» (وهي الدولة التي تستعمر آنذاك فلسطين) ***بإقامة «وطن قومي لليهود» فوق أرض فلسطين***. وجاء في هذه الرسالة، أن ***«حكومة جلالة مَلِكَة [بريطانيا العظمى]، ستبذل كلّ جهودها لتسهيل تحقيق هدف إقامة وطن قومي للشعب***

اليهودي في فلسطين». كأن فلسطين (التي كانت آنذاك مستعمرة من طرف بْرِيطَانيا العظمى) هي مِلْكِيَّة مُطلقة لهذه الدولة المستعمِرة. ونُشرت هذه الرسالة في جريدة "التّايمز" (Times)، بتاريخ 9 نونبر 1917.

وشكّل ذلك «الوَعْد» مدخلا تشريعيا، وعمليا، لاحتلال فلسطين، من طرف الحركة الصهيونية. وساعدت فعلاً بريطانيا العظمى، (باعتبارها السلطةُ المُسْتَعْمِرَةُ)، الحركةَ الصّهيونيةَ على ترسيخ وتقوية سيطرتها العسكرية، والاقتصادية، واللُّوجِسْتِيكِيّة، على فلسطين.

وكانت قيادات الحركة الصهيونية تُتْقِن فَنَّ دفع الدول الإمبريالية القوية إلى تقديم كل الدّعم الاستراتيجي اللاّزم إلى الحركة الصهيونية. وكان التَّكْتِيك السِّري الذي تستعمله الحركة الصّهيونية هو تقديم خدمات سرّية وثمينة إلى أقوى الدول في العالم، لكي تجني بالمقابل التّحالف معها، ومساعدتها، وحمايتها.

وفي العُمق، لم يكن انحياز بريطانيا العظمى لمشروع الحركة الصهيونية حبًّا في اليهود، وإنما كان يرمي إلى ***تحقيق استراتيجية خفيّة لدولة "بريطانية العظمى"***، تهدف إلى ترسيخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين، بُغْيَةَ ***تسهيل السّيطرة على حقول النفط الموجودة في الشرق الأوسط، واحتلال قناة السّويس،*** التي هي المعبر الرئيسي على الطريق الرّابط بين أَوْرُوبَّا وآسيا.

فكانت «بريطانيا العظمى» تريد استغلال الحركة الصهيونية لتحقيق أهدافها الاستراتيجية الخاصة؛ وفي نفس الوقت، كانت الحركة الصهيونية تُريد هي أيضا استغلال "بريطانيا العظمى" لِتحقيق استراتيجيتها الخاصة، والتي تتجسّد في «إقامة وطن قومي لكل يهود العالم»!

وكان آنذاك ***التسابق والتنافس موجودين، على الخصوص بين ألمانيا و"بريطانيا العظمى"***. فَألمانيا كانت تعمل لإنشاء مشروع

القطار الرّابط بين برلين وبغداد، لِبَسْطِ هيمنتها على منطقة الشرق الأوسط (الغنية بالنفط). بينما بريطانيا العظمى كانت تعمل لإنجاز مشروع الاستيطان في فلسطين بهدف فرض سيطرتها على ***نفط*** الشرق الأوسط. وكانت كذلك فرنسا وإيطاليا، باعتبارهما آنذاك حليفتين لِبْرِيطانيا العظمى، تريدان الاستفادة من تحالفهما مع «بريطانيا العظمي».

وقد تأكّدت هذه النوايا المتعدّدة، والمتشعّبة، مثلاً في ***اتّفاقية سَايْكْسْ بِيكُو*** (Accord Sykes-Picot) بين فرنسا، و"بريطانيا العظمى"، وروسيا، وإيطاليا، في ماي 1916، (وهي الاتّفاقية التي تتعلّق ***بِاقتسام منطقة الشرق الأوسط فيما بين هذه الدول الإمبريالية***). وتأكّدت كذلك في ***معاهدة "سِيفْرْ"*** (Traité de Sèvres)، بين الحلفاء الأوروبيين والإمبراطورية العثمانية، والمتعلّق ***باقتسام بعض مناطق هذه الإمبراطورية العثمانية***، في غشت 1920.

وكانت ***الخُطَّة الاستراتيجية الخفيّة للدول الإمبريالية الغربية آنذاك***، هي تلك التي أَفْصَحَ عنها جَاكُوبْ يِرِيدُورْ (Jacob Yeredor) (في مجلة «Politique étrangère»، العدد 3، سنة 1948)، حيث كتب: «أن وجود وطن لليهود في جزء من فلسطين، [هو الحيلة التي] ستضمن، فيما بعد، وجود مجتمع من أصل أوروبّي، في منطقة الشرق الأوسط، التي يغلب عليها وجود بشري عربي ومسلم». ومنذ قرابة سنوات 2000، أصبحت فعلاً ***«إسرائيل» كأنها ولاية أَوْرُوبّية، أو أمريكية، مغروسة في الشرق الأوسط***، ويختلط فيها يهود من أصل أَوْرُوبّي، وَبُلُوني، وَرُوسِي، وأمريكي (وَيُسَمَّون «أَشْكِينَاز»ashkénazes)، وإِثْيُوبِي (وَيُسَمَّوْن «الفَلَاشَا» falachas)، وكذلك يهود هَاجَرُوا من بُلدان "عربية" (وَيُسَمَّوْن «السِّيفَارْدِيم» séfarades).

11- لَمْحَةٌ عَن تَارِيخِ إحْتِلَال واسْتِيطَان الصَّهَايِنَةِ لِفَلَسْطِين

(76) وَتُطْلَقُ عبارة اليَهُود «السِفَارَاد»، أو «السِفَارْدِيم»، على اليهود اللذين عَاشُوا في، أو إنْحَدَرُوا مِنْ، شبه الجزيرة الإيبيرِيَة (péninsule ibérique). وَيُوجد تَمْيِيز عُنْصُرِي خَفِيٌّ، لكنه قَوِيّ، وَمُتَوَاصِل، بين الإسرائيليّين «الأَشْكِنَاز» (أي اليَهُود مِن أصل أَوْرُبّي) و الإسرائيليّين «السِفَارْدِيم» (أي المُنْحَدِرِين مِن بلدان مُسْلِمَة، أو نَاطِقَة بالعربية). ولم يسبق لأيّ يهودي «سِفَارْدِيم» أن شَغَلَ مَنْصِب رئيس وزراء في إسرائيل (وهو المنصب الذي يَتَحَكَّمُ في السلطة التنفيذية في إسرائيل).

(77) في فبراير 1947، أعادت الحكومة البريطانية إلى هيئة "الأمم المتحدة" (SDN) "الانتداب" الذي كانت تتولاه على فلسطين منذ سنة 1920. وفي 29 نونبر 1947، ***دفع الأعضاءُ الأقوياءُ في الأمم المتحدة جمعَها العام إلى المُصادقة على القرار رقم 181. وهو القرار الذي ينصّ على تقسيم فلسطين*** إلى «دولة لليهود، ودولة للفلسطينيين» المسلمين أو الناطقين بالعربية. [أنظر خريطة سنة 1947 المُرفقة]. وكانت الحركة الصهيونية تعتبر هذا ***الإعلان مجرد بداية لاحتلال واستيطان كلّ فلسطين***، بل واستعمار حتى المناطق التي تُجاورها. [وتَحلم الحركة الصهيونية، وتطمح إلى تَحويل إسرائيل في المستقبل، إلى إعادة إنتاج سيرورة مشابهة لسيرورة غزو، واجتياح،

واحتلال، واستيطان، مستوطنين أوروبيين لِقَارَّة أمريكا الشمالية؛ وهه العملية التي بدأت في ولاية "فيرجينيا (Virginie)"، في ماي 1607 م. وَتَتَمَنَّى الحركة الصهيونية، وبعض مُسانِدِيهَا في البلدان الغربية، أن يصبح مصير بُلْدَان الشرق الأوسط مثل مصير أمريكا الشمالية، أو أُستراليا، أو نْيُو زِيلَانْدَا. أي أن يتحوّل الشرق الأوسط إلى استعمار استيطاني يُبيد السكّان الأصليين، أو يُهَجّرُهُم. ولكن التاريخ، ومقاومة الشعوب، سَوفَ تُفَاجِئُهُم بِتطوّرات لَا تَخْطُر على بالهم.

صُورة توضيحية : تَطَوُّر خريطة اِسْتِعْمَار واسْتِيطَان فلسطين، بين سنوات 1946 و2010 م. الأراضي الفلسطينية باللّون الأخضر، والأراضي المحتلّة من طرف إسرائيل باللّون الأبيض :

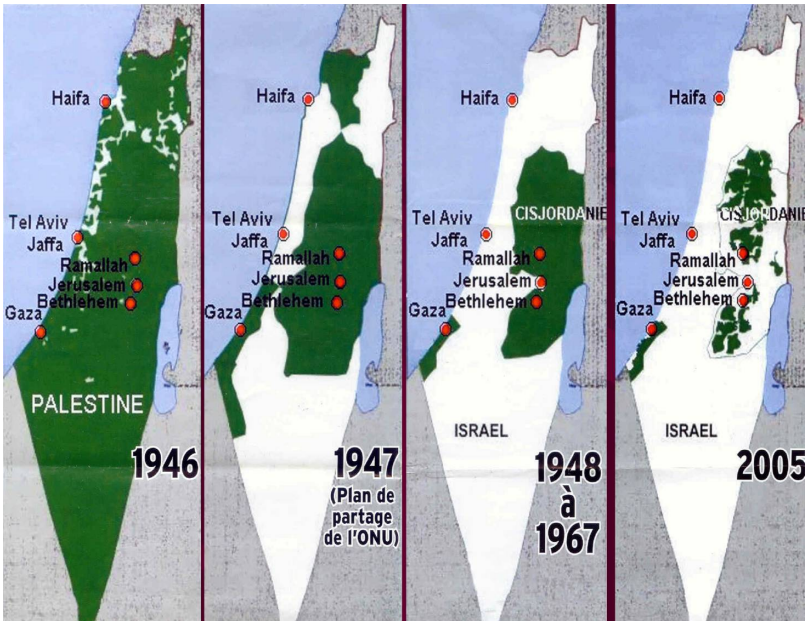

78) منذ قرابة سنة 1917، شَرَعَت الحركة الصهيونية فورًا في تنفيذ خططها. فاندلعت مناوشات عسكرية بين فيالق صهيونية، منظّمة ومدرّبة، وبين فرق فلسطينية، ضعيفة، ومنقسمة. وأكبر نقطة ضعف لدى المقاومة الفلسطينية آنذاك هو أنها كانت تَفْتَقِدُ لِأَيَّة خلفية استارتيجية، تُساندها بالسلاح المتطوّر، وَباللُّوجِستيك؛ بينما كانت الخلفية الاستراتيجية للحركة الصهيونية هي المنظومة البنكية والمالية العالمية، ومجمل الدول الإمبريالية الغربية. وكانت هذه الدول الإمبريالية تُمِدُّ الحركة الصهيونية بِأَحْسن وَأَقْوَى الأسلحة، والأطر العسكرية، والمعدّات الحربية. وكانت الدول الإمبريالية تتعامل مع إسرائيل كَمُسْتَعْمَرَة مُشتركة. الشيء الذي سَيُسَاعد الحركة الصهيونية على احتلال 81 في المائة من فلسطين. وقُتِل الآلاف من الجانبين.

وبالضّبط، في يوم انتهاء «الانتداب» البريطاني على فلسطين، أي ***في 15 ماي 1948، أعلنت الحركة الصهيونية عن تأسيس دَولة الكيان الصهيوني "إسرائيل"***. واستفادت الحركة الصهيونية من الفوضى التي نتجت عن انتهاء "الحرب العالمية الثانية". وحصلت على ***دعم مطلق*** من طرف أقوى الدول الإمبريالية، وأبرزها آنذاك: "بريطانيا العظمى"، ثم الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، وألمانيا.

79) عند بداية ظهور الأيديولوجية الصهيونية، كانت النِّسْبَة المئوية من بين يهود العالم، الذين يُناصرون المشروع الاستعماري الصهيوني، أقلّية قليلة. ثم عملت الحركة الصهيونية على تنمية أعداد

اليهود المؤيّدين للصهيونية. ***واستغلّت الحركة الصهيونية كلّ الجرائم التي كانت تُرتكب ضدّ اليهود*** (مثل مُعاداة السَّامية [antisémitisme]، وإبادة اليهود المُقترفة من طرف النازيين الألمان)، للضَّغط على عامة اليهود، وَلِتَرْهِيبِهم، وَلِدَفْعِهِم إلى الاقتناع بأن الحل الوحيد لِـ "مُعاداة السّامية"، ليس هو مقاومتها في أوطانهم الأصلية في أَوْرُوبَّا، وإنما هو خلق وطن جديد خاص باليهود.

(80) استعملت الحركة الصهيونية كلّ المناورات الممكنة، مثل التفاوض السّري مع "بريطانيا العظمى" المستعمِرة، وشراء بعض المنازل والأراضي الفلسطينية، ***وتهجير أكثر ما يمكن من اليهود الذين كانوا من قبل موجودين في أَوْرُوبَّا، وأمريكا، والبلدان العربية، ونقلهم إلى إسرائيل.*** وخلقت الحركة الصهيونية «الصندوق الوطني اليهودي» لتمويل شراء بعض المنازل والأراضي الفلسطينية.

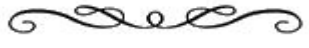

(81) في سنة 1881 م، كان في فلسطين قرابة 25 ألف يهودي. وكانوا يعيشون على الخصوص في مدن: القُدس، وصَفَد، وطَبَرِيَّا، والخَلِيل. وبين سنتي 1890 و1903 م، أي قبل خلق إسرائيل، هَرَّبَت الحركة الصهيونية قرابة 40 ألف يهودي روسي من رُوسيا، بمبرِّر الإفلات من مظاهر مُعاداة السّامية الموجودة في رُوسيا. وبعد احتلال فلسطين، اِعْتَمَدَت الحركة الصهيونية ***منهج تقتيل وقهر الفلسطينيين، بهدف إجبار جماعات وأفواج متتالية من الفلسطينيين على الهجرة إلى خارج فلسطين.*** ومارست إسرائيل

التطهير العرقي في المناطق التي احتلّتها. ومثلاً بين نونبر 1947، ويوليوز 1949، هجّرت الحركة الصهيونية أكثر من 720 ألف فلسطيني إلى خارج فلسطين. وسَنَّ «الكْنِيسِيت» الإسرائيلي قوانين تمنح امتياز الاستيطان داخل فلسطين لكل يود العالم، وتمنع كلّيا «حقّ العودة» على كلّ الفلسطينيين. وجوهر هذا القانون هو التّالي: «يدخل اليهوديُّ فلسطينَ بحرية، أمّا الفلسطيني (العربي)، فيجب أن يخرج من فلسطين، ويمنع عليه العودة إليها»! وبشكل مواز، وعلى امتداد عشرات السّنين، قامت الأجهزة الصهيونية السّرية، وبمساعدة الدول الإمبريالية، قامت بتهجير ملايين اليهود من أَوْرُوبَّا، ومن البلدان العربية، إلى داخل إسرائيل. وفي ما يلي نعرض أهمّ الأرقام عن تهجير اليهود نحو إسرائيل:

ـ بين سنتي 1903 و 1914، هُجِّرَ 40 ألف يهودي من روسيا.

ـ بين سنتي 1919 و 1923، هُجِّرَ 36 ألف يهودي من بلدان أَوْرُوبَّا الشرقية.

ـ بين سنتي 1924 و 1928، هُجِّرَ 80 ألف يهودي من بولونيا.

ـ بين سنتي 1929 و1939، هُجِّر 40 ألف يهودي من ألمانيا والنّمسا.

ـ بين سنتي 1929 و 1939، هُجِّر 140 ألف يهودي من أَوْرُوبَّا الوسطى الشرقية.

ـ بين سنتي 1939 و1948، هُجِّر 80 ألف يهودي من المناطق التي استولى فيها النازيون على الحكم.

وتنامت حاجيات الحركة الصهيونية إلى وسائل ضخمة لتنفيذ تهجير يهود العالم إلى فلسطين المحتلّة. وفي سنة 1939، كَوَّنت إسرائيل جهازا سرِّيًا (سمَّته: «المُوسَاد عَالِيَّا بِيتْ»، «Mossad l'Aliyah Beth»)، وخصَّصته ***لتهجير اليهود إلى داخل إسرائيل.***

ـ وبين سنتي 1948 و1952، تمّ تهجير قرابة 700 ألف يهودي، نصفهم من الناجين من الإبادة النازية في أَوْرُوبَّا، ونصفهم هُجِّرُوا من بلدان عربية، وبتواطؤ الأنظمة السياسية العربية.

ـ بين سنتي 1949 و 1950، تمّ تهجير 49 ألف يهودي من اليمن.

ـ بين سنتي 1950 و 1952، تمّ تهجير 125 ألف يهودي من العراق.

ـ بين سنتي 1956 و 1966، وإبّان تأثير "الحرب الإسرائيلية العربية" في سنة 1956، هُجّر 500 ألف يهودي، أقلّية منهم من البلدان الشيوعية في أَوْرُوبَّا، ومعظمهم من بلدان عربية، وخاصة من المغرب. [وكان اليهود المغاربة النّاطقين بالفَرَنْسِية، أو الميسورين، أو المثقّفين، يفضّلون الاستقرار في فرنسا، بينما اليهود المغاربة الأكثر فقرًا، أو الأقلّ تكوينا، يختارون الذهاب إلى إسرائيل].

وكان الجهاز الإسرائيلي ***"المُوسَاد عَالِيَّا بِيتْ"*** يقوم بتهجير اليهود من البلدان العربية، وذلك ***بِعِلم، بَل وَبِتَواطُؤ، الحكّام العرب.*** رغم أن هؤلاء المواطنين اليهود كانوا يعيشون في هذه البلدان العربية منذ مئات، أو آلاف السّنين. وقد ترك الحُكّام العرب المواطنين اليهود العرب فريسة معزولة وسهلة للدّعاية الصهيونية. وبمساعدة سفارات الدول الغربية، كان "المُوسَاد" الإسرائيلي يعبث مثلما يريد داخل مجمل البلدان العربية. لأن مُعظم الأنظمة السياسية العربية كانت تابعة، أو خاضعة، للدول الإمبريالية القوية.

ـ بين سنتي 1967 و 1969، تَمّ تهجير 50 ألف يهودي، وذلك في ارتباط بِ «حرب الستّة أيام في 1967»، من بلدان عربية، ومن أَوْرُوبَّا الشرقية.

ـ بين سنتي 1970 و 1979، تمّ تهجير قرابة 400 ألف شخص، من بلدان أوروبية، وخاصة من الاتحاد السّوفياتي.

ـ بين سنتي 1982 و 1985، تمّ تهجير موجة أولى من اليهود السّود "الفَالاَشَا (Falachas)" من إثيوبيا.

ـ بين سنتي 1990 و 2005، هاجر قرابة 1 مليون مهاجر إلى إسرائيل، على الخصوص من قدماء الاتحاد السوفياتي، والباقية من "فَلاَشَا" إثيوبيا.

ـ بين سنتي 2006 و 2013، انخفض المعدّل السّنوي لِعدد المهاجرين إلى إسرائيل إلى قرابة 20 ألف مهاجر.

ـ آخر يهود العالم الذين لا يهاجرون إلى إسرائيل إلاّ بصعوبة، هم يهود فرنسا، وبلجيكا، والولايات المتحدة الأمريكية.

ـ لُوحِظَ أن نسبة هامة من المهاجرين إلى إسرائيل، ومن المستوطنين فيها، كانوا في الأصل، وعلى العموم، من "الكادحين" (prolétaires)، أو من "المسحوقين" (lumpenprolétariat). وفي غالب الحالات، كانت تحرّكهم أهداف انتهازية. وفيما بعد، أصبح بعض المستوطنين يبحثون عن ظروف عيش أحسن، فقاموا ***بهجرة مضادة***، من إسرائيل إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أو إلى كندا، أو غيرها.

وحسب إحصائيات إسرائيلية، فقد هاجر إلى إسرائيل، بين سنتي 1948 و 1994، قرابة 2،5 مليون يهودي. 65 في المائة منهم هاجروا من أَوْرُوبَّا وأمريكا، و 19 في المائة منهم هاجروا من إفريقيا، و 15 في المائة هاجروا من آسيا (الاتحاد السّوفياتي). وَتُهَيْمِنُ فئات سكّان إسرائيل المنحدرة من أَوْرُوبَّا، وأمريكا، وروسيا، بسبب تكوينها الجامعي، أو بسبب قربها من الرأسمال. بينما فئات سكّان إسرائيل المنحدرة من البلدان العربية (وإيران)، ومن إثيوبيا تَبْقَى عُمومًا مُسْتَغَلَّة وَمَسُودَة. وتُحارب الحركة الصهيونية البلدان العربية على الخُصوص بيهود عرب، أو بيهود من أصل عربي.

لَوْحَة حَوْلَ عَدَد المُهاجرين إلى إسرائيل حسب قَارَّة المنشأ :

الفترة الزمنية	أمريكا	أُوْرُوبَّا	إفريقيا	آسيا	المجموع
1948–1994	191 193	1 394 999	461 368	364 394	2 443 325

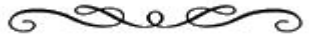

توزيع سكّان إسرائيل، حسب بَلَد المِيلَاد، في سنة 2014 :

سُكّان إسرائيل في سنة 2014، حسب الإحصائيات الإسرائيلية : 8 296 000. والإسرائيليون المَوْلُدُون داخل إسرائيل (حسب إسرائيل) : 6 478 900 فرد. والأفراد المَوْلُودُون خارج إسرائيل: 1 817 000 فرد. ويتوزّعون كالآتي: الاتحاد السوفياتي سابقًا: 859 400. المغرب: 143 100. الولايات المتحدة الأمريكية: 90 500. إثيوبيا: 85 600. رومانيا: 80 800. العراق: 54 900. فرنسا: 51 100. إيران: 46 000. بولونيا: 39 700. الأرجنتين: 36 000. تونس: 28 600. المملكة المتحدة: 23 500. تركيا: 22 800. اليمن: 22 500. ألمانيا: 19 200. بلدان أخرى: 213 400.

وبعد سنوات 2000، أصبحت العوامل التي تضغط عادةً على نسبة هامّة من آخر اليهود المُتَبَقّين في بلدان أَوْرُوبَّا وأمريكا، لِدَفْعِهم إلى الهجرة إلى إسرائيل، هي على الخصوص: 1) اشتداد الأزمة الاقتصادية. 2) نُمُوّ الحركات السياسية اليمينية المتطرّفة (المُعادية لليهود). 3) ترويج الدّعاية الصهيونية لِخُطُورَة ظَاهِرَة "مُعَادَاة السَّامِيَّة". 4) التَّسهيلات والإمتيّازات المادية التي تمنحها الحركة الصهيونية لليهود، بِهَدَف حَثّهِم على الهجرة إلى إسرائيل. وتمنح إسرائيل عادةً لهؤلاء اليهود (الذين يترشّحون للهجرة إلى إسرائيل) عدّة امتيازات، منها مثلاً: تذكرة السفر مجّانية بالطّائرة، و 3000 يورو، وخمسة شهور من دروس تعلّم العِبْرِيّة، ثم تسهيلات أخرى في مجالات اِقْتِنَاء السّكَن،

ودراسة الأبناء، والتَّشغيل، والنّقل، والعلاج الطِبّي، إلى آخره. بينما تمنع إسرائيل فلسطينيي الشّتات من العودة إلى بلادهم. وَتَسْتَوْلِي على أَرَاضِيهم، وَعَقَارَاتِهم. وَتقطع أشجارهم. وَتَتَمَلَّكُ مِيّاهِهِم السَّطْحِيَة والجُوفِيَة. وتمنع الفلسطينيين، الموجودين داخل إسرائيل، من ترميم منازلهم، أو توسيعها. بل تهدّم هذه الدّور فوق رؤوس الفلسطينيين إذا طمع فيها المستوطنون الصهاينة.

82) ***أبرز الحروب*** التي تعرّضت لها منطقة فلسطين في العصر الحديث هي:

◊ 1) حرب سنتي 1948 و 1949 م. ويسمّيها الصّهاينة «حرب تحرير إسرائيل» (أي انتزاع فلسطين من الفلسطينيين)، بينما يعتبرها الفلسطينيون «نَكْبَة»، أو «حرب استعمار فلسطين».

◊ 2) حرب محاولة احتلال قناة السّويس، في سنة 1956، من طرف التحالف الثلاثي المُكوّن من : إسرائيل، وفرنسا، و"بريطانيا العظمى".

◊ 3) حرب الستّة أيام في 1967.

◊ 4) حرب "يوم الغُفْرَان" في 1973.

◊ 5) احتلال لبنان في 1982. وانطلقت «انتفاضة الحِجَارة» الأولى في سنة 1988. وامتدّت «الانتفاضة» الثانية بين سنتي 2000 و 2006.

◊ 6) تَلَا الانتفاضة الثانية هجومُ إسرائيل على لبنان في سنة 2006.

◊ 7) شنّت إسرائيل «حرب غزّة» بين سنتي 2008 و 2009.

◊ 8) هجوم نونبر (تشرين الثاني) 2012.

◊ 9) «حرب غزّة» خلال شهري يوليوز وغشت 2014.

◊ 10) خلال شهر رمضان، وبين 10 أبريل و 25 مايو 2021، قامت انتفاضة فلسطينية شعبية شاملة، خلال 11 يومًا، ضد محاولة السيطرة

على المسجد الأقصى بِالقُدس، وضدّ مُحاولة استيطان منازل في حي "الشيخ جَرَّاح" بالقدس. وَرَدّت حركة "حَمَاس"، و"الجهاد الإسلامي"، وفصائل أخرى، مِن غَزَّة، بِإطلاق صواريخ من صُنع محلّي. وتميّزت هذه الصواريخ الجديدة بِتَحْسِينَات نِسْبِيَة على مستوى دِقَّتِهَا ومَدَاهَا (قرابة 200 كيلومتر). وفاق عدد هذه الصواريخ 4000 صاروخ ضد مدن مُختلفة في إسرائيل. وادّعت إسرائيل أنها أسقطت 90 في المِئَة من هذه الصواريخ. لكن كل صواريخ إسرائيلي مُضاد يُساوي قرابة 50 ألف دولار أمريكي، بينما الصواريخ الفلسطينية تُساوي كُلْفَتُها قرابة 300 دولار أمريكي. وردت إسرائيل بِقصف جوّي مُدَمّر لِجزء هام مِن غزة. وَتُوفِّيَ أكثر من 260 فلسطيني (وضمنهم 66 طفلًا)، و 1900 جريح فلسطيني، و 72 ألف مُهَجَّر فلسطيني، و 13قتيل إسرائيلي، و 200 جريح إسرائيلي. وساند بعض الإسرائيليين المُنتمين إلى حركات يساريّة (مثل حركة "مِيرِيتْز" Meretz) احتجاجات الفلسطينيّين.

◊ 11) في 7 أكتوبر/تشرين الأوّل 2023، وَرَدًّا على الهَجَمَات المُتَكَرِّرَة التي قامت بها مَجْمُوعات من الحركات الْإِسْرَائِيلِيّة الصَهْيُونية اليَمِينِيَة المُتَطَرِّفَة (على مَسْجِد القُدْس وَأَهْلِه، وَتَحْتَ حِمَايَة الجيش الإسرائيلي)، وَرَدًّا على مُجْمَل الاعتداءات السَّابِقَة، هَجَمَتْ فرق من المُقاومة الفلسطينية "حَمَاس" على التَحْصِينَات والمُسْتَوْطَنَات المُجاورة لِقِطَاع غَزَّة. وقالت "حماس" أنها ضربت قُرابة 1200 جُنْدِي إسرائيلي، وأَسِرَت قُرابة 220 من بين الجُنود والاِحْتِيَاطِيَّاتِيّين الإسرائيليّين، ونقلتهم إلى داخل غَزَّة. وَرَدَّت إسرائيل (بِمُسَانَدَة وَمُسَاعَدَة حلفاءُهَا الإمبرياليّات الغَرْبِيَة، أيْ الولايات المتّحدة الأمريكية، وابريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، الخ) بِشَنِ قَصف جَوّي مُدَمِّر على قِطَاع غَزَّة، خلال أكثر من ثلاثة شهور. وكانت حصيلة هذه الحَرب (إلى حُدُود 8 نونبر 2023)، (وحسب القناة التَلْفَزِيَة "الميادين") : 10600 قَتِيل فلسطيني، و 26000 جَرِيح فلسطيني،

مُقَابِل 1500 قتيل إسرائيلي (لكن إسرائيل لا تَعْتَرِف سِوَى بِـ 220 قَتِيل)، و 6270 جريح إسرائيلي. ولِلضَّغْط على إسرائيل لِكَيْ تُوقِف إسرائيل قَصْفَ قِطَاع غَزَّة، تَحَرَّك مِحْوَر المُقَاوَمَة في كلّ من جنوب لُبْنَان (حزب الله، وكتائب القَسَّام)، و"المُقاومة الإسلامية في العِرَاق"، وحَرَكَة الحُوثِيِّين "أنصار الله" في اليَمَن، وَاسْتَعْمَلُوا صَوَارِيخ لِرَشْقِ مَوَاقع إِسْرَائِيلية، أو أمريكية مُتواجدة في العراق. وانْتَشَرت مُظاهرات اِحْتِجَاجِيَّة في عِدَّة مُدُن عالمية، لِلتَّنْدِيد بِقَصْف غَزَّة، وَضِدَّة محاولات إِبَادَة الفَلَسْطِينِيِّين في غَزَّة، أو مُحاولات تَهْجِيرِ الفلسطينيّين إلى سِينَاء في مَصْر.

(83) ***العنصر الأوّل المُفَسِّر لقوة إسرائيل،*** وانتصاراتها على الدول العربية، هو دعمها المُطلق من طرف مُجمل الدّول الإمبريالية الغَربية. لكن تُوجد عناصر أخرى تُفسّر هذا التّفوّق، ومنها أن قوّة إسرائيل تأتي من تخلّف الدول العربية، وكذلك من التخلّف المُجتمعي لِلشُّعُوب العربية، ومن اِنْقِسَامِهَا.

(84) في يوم 17 أكتوبر 2017، نشر موقع "تيل كيل" ملخّصًا لمقال سبق أن صدر (في 15 أكتوبر 2016) في الجريدة الإسرائيلية "يَدِيعُوتْ أَحَرُونُوتْ" (Yediot Aharonot). ويوضّح هذا المقال، أن ملك المغرب الحسن الثاني، تجسّس على الملوك والرّؤساء العرب، أثناء لقاء القمّة، المنعقد في مدينة الدار البيضاء، في العام 1965.

حيث أمر الحسن الثاني بتسجيل المحادثات المغلقة التي جرت بين الزعماء العرب، بحضور رؤساء الجيوش والمخابرات العربية. وكان أحد مواضيع التشاور السرّي هو التنسيق لتهيئ خوض حرب ضدّ إسرائيل. ثم أعطى الحسن الثاني هذه التسجيلات السرية إلى المخابرات الإسرائيلية. وقال عدّة مسؤولين كبار في الجيش الإسرائيلي، وكذلك في المخابرات الإسرائيلية، أن هذه المعلومات السّرية (التي منحها لهم الملك الحسن الثاني) ***هي التي مكّنت إسرائيل من هزم البلدان العربية في حرب "الأيام الستّة" في العام 1967***[9]. حيث علمت إسرائيل نوايا الحكّام العرب، وَنِيَّة هُجُومهم على إسرائيل، وَعَرَفَت نُقَط ضُعْف الجيوش العربية. وفي 5 يونيو 1967، قامت إسرائيل بهجومات استباقية سريعة، ومفاجئة، حطّمت معظم الطيران الحربي لمصر، والأردن، وسورية. فأصبحت الجيوش العربية بدون حماية جوّية، وَسَهُلَ على إسرائيل تحطيم القدرات القتالية لهذه الجيوش. واحتلّت إسرائيل معظم فلسطين.

(35) ظلّت إسرائيل، وكذلك الدول الإمبريالية، حريصة على ***تشجيع كل ما يُبْقِي البلدان العربية والمسلمة متخلّفة.*** وهكذا، فرضت الولايات المتحدة الأمريكية 10 سنوات من الحصار الاقتصادي على العراق. ثم ورّطت الولايات المتحدة الأمريكيةُ وإسرائيلُ العراقَ في حرب ضدّ إيران، دامت من 1980 إلى 1988 م. وكان ***الهدف من هذه الحرب هو إضعافهما معًا***، عبر ضرب أحدهما بالآخر، وخلق عداوة دائمة بين العراق وإيران. [ومن الممكن أن تُكرّر الإِمْبِرْيَالِيات

(9) Source : http://telquel.ma/2016/10/17/hassan-ii-a-t-il-aide-israel-a-remporter-la-guerre-des-six-jours_1519506

الغربية في المستقبل ***نفس الخُدعة بين إيران والسعودية، ثم بين السعودية ومصر***].

﴿86﴾ كان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية جورج بوش الابن (Georges Bush)، وكذلك مساعدوه، ينتمون إلى تيّار «المحافظين الجدد». وكانوا من اليمين المتشدّد المناصر لإسرائيل. وهدّدوا بِـ «أن يُرجعوا العراق إلى العهد الحجري»، حسب تعبير جورج بُوش الإبن. ونفّذوا تهديدهم. حيث استغلّوا الهجمات الإرهابية التي شنّها التنظيم الإسلامي «القاعدة» في ***11 شتنبر 2001*** (على عمارتي "المركز العالمي للتجارة" [World Trade Center] في مدينة نيويورك)، لكي يُبرّروا ***غزو العراق*** في سنة 2003. ولو أنه لم يثبت أيّ تورّط للعراق في هذا الهجوم. وتلاعبت الولايات المتحدة الأمريكية بمنظمة الأمم المتّحدة، وبمجلس الأمن الأممي، وخدعتهما بسبق الإصرار. واستعملت الولايات المتّحدة الأمريكية مبرّرا كاذبا، هو «حيازة العراق لأسلحة الدَّمَار الشَّامل». وحشدت أمريكا لذلك «تحالفا عالميا» ***شاركت فيه بعض الدول عربية،*** مثل المغرب، والسعودية، والإمارات، والكويت، وقطر. ***ثم احتلّوا العراق، ثم خرّبوه، ثم نهبوه، ثم خَلَقُوا وَرَسَّخُوا «الطائفية» في العراق*** (مثلما فعلوا في لُبْنَان)، لكي تبقى "الحرب الأهلية" مشتعلة في العراق. وساعدت إسرائيل والدول الغربية كُرْدِسْتَان العراق على التسلّح، وعلى الانفصال عن العراق. ولا زالت إسرائيل تخطّط (في الخفاء)، ومعها الدول الإمبريالية، لكي

ينجزوا خرابا مشابها، في سوريا (وهو ما بدأ منذ سنة 2012)، ثمّ في إيران، ثم في مصر.

87) نُظِّمت عدة ***مفاوضات*** بين الفلسطينيين والإسرائيليين، تحت رعاية أقوى الدول الغربية (أبرزها الولايات المتحدة الأمريكية). وكان الفلسطينيون (بما فيهم ياسر عرفات، ومحمود عبّاس) يثقون في هذه المفاوضات، ويلتزمون بمقرّراتها. بينما بيّنت التجربة أن الإسرائيليين لا يثقون في هذه المفاوضات، ولا يلتزمون أبداً بنتائجها. بل كانت إسرائيل تستعمل هذه المفاوضات لِتَمْدِيد الْاِحْتِلَال، وَلِتَوْسيع الاستيطان، ولِتَرْسِيخ مكتسبات الاحتلال. وَبَيَّنَت هذه التجارب أنّ الإمبرياليات الغَربية لم تَكُن أبداً حكَمًا مُحَايِداً، وإنما كانت مُساندة، للصَهْيُونِيَة، وَمُنَاصِرَة لِلكِيّان الصهيوني إسرائيل.

88) لا يُعقل أن ننكر أن اليهود عانوا بعض المضايقات داخل البلدان العربية والمسلمة. لكن المثير للانتباه، هو أن ***ظاهرة اضطهاد اليهود كانت مُمَنْهَجَة، وعدوانية، وقويّة، وعنيفة، وراسخة، على الخصوص في بلدان أَوْرُوبَّا*** (وليس في البلدان العربية أو المسلمة). وحينما أقدم المسيحيّون، المنتصرون في الأندلس (سنة 1492 م)، على إجبار اليهود على «إمَّا اعتناق المسيحية، وإمّا الهجرة إلى خارج الأندلس»، وجد اليهود المهجّرون سهولة اللّجوء والاستقرار داخل

أقاليم الإمبراطورية العثمانية المسلمة، وداخل بلدان عربية أو مسلمة في شمال إفريقيا (وليس في بلدان أَوْرُوبَّا).

وبدلاً من أن تلجأ دول أَوْرُوبَّا إلى تجريم ومعاقبة اضطهاد اليهود داخل بلدانها، انحازت إلى مساندة الحركة الصهيونية، ودعّمت أطروحتها القائلة بأن «حل مشكل اضطهاد اليهود في بلدان أَوْرُوبَّا، هو إقامة وطن خاص باليهود في مستعمرة فلسطين»! بمعنى أن الدول الأوروبية كانت آنذاك تفضّل حلّ تهجير اليهود، والتخلّص منهم، بدل الحفاظ على هؤلاء المواطنين اليهود، وبدل تعميم حقوق المواطنة على المواطنين اليهود، وبدل تَقْنِين ومعاقبة كلّ من يضطهد اليهود.

وعوض محاسبة مُضْطَهِدي اليهود (في أوطانهم الأصلية في أَوْرُوبَّا)، اكتفت الحركة الصهيونية باللّجوء إلى احتلال وَاسْتِعْمَارِهَا وَطَن جديد في فلسطين، وتحويله إلى وطن بديل. الشيء الذي يؤكّد أن ما كان يهمّ الحركة الصهيونية، ليس هو النضال ضدّ أسباب اضطهاد اليهود في بلدان أَوْرُوبَّا، وإنما هو استغلال هذا الاضطهاد لليهود، لتبرير مشروع استعمار فلسطين !

(89) تزعم الصهيونية وأنصارها أن «إسرائيل ديمقراطية». لكن، إذا كانت عِصابة مُحدّدة تمارس «الديمقراطية» فيما بين أعضائها الداخليين، وَتُمارس على ضحاياها الخارجيين الاحتلالَ، أو الاستعمارَ، أو العنصريةَ، أو القهرَ، فسيكون ***من غير المعقول أن نعتبرها "ديمقراطية"***. والدول الغربية تدرك ذلك، وتتجاهله. وَتُصِرُّ

الْإِمْبِرْيَاليات الغَربية على تَوْصِيف إِسْرَائِيل بِـ "الدِّيمُوقْرَاطِيَة". وهذا نفاق مفضوح.

(90) من ميزات إسرائيل أنها تشترط في كلّ تطوّر يحدث في منطقة الشرق الأوسط «***أن يضمن أمن إسرائيل***». ولا يتصوّر الكيان الصهيوني «إسرائيل» أمنه إلاّ على حساب أمن الشعوب والدول العربية والمسلمة. والاستراتيجية التي تَـتَّـبِعُهَا إسرائيل لِـ «ضمان أمنها»، تتلخّص في ما يلي: 1) أن تُوَفِّر الدول الإمبريالية الغربية لإسرائيل تفوّقًا عسكريا مطلقا، على كلّ الدول العربية والمسلمة مُجْتَمِعَةً. 2) أن تكون كل الدول العربية والمسلمة مَنْزُوعَة من أيّ سلاح فعّال، وممنوعة من الوصول إلى أيّ سلاح حاسم (مثل الطائرات المتطوّرة، والدفاع الجوّي، وتكنولوجية الصواريخ البَالِيسْتِيكِيّة، والرَّادَارات، والتكنولوجية النَّوَوِيّة، والتَجَسُّس على الْاِتِّصَالَات، إلى آخره). 3) ***أن تبقى كل الدولة العربية أو المسلمة مُتَخَلِّفَة***، عبر منعها من الوصول إلى العلوم، وإلى التكنولوجيا، وإلى التنمية الاقتصادية، أو عبر تقسيمها، أو عبر توريطها في "الطّائفية"، أو عبر تقسيمها (مثلما حدث في العراق، والسودان، الخ)، أو عبر تخريبها بواسطة "الحرب الأهلية" (مثلما حدث في العراق، ولبنان، وسوريا، والصومال، وليبيا، الخ). بينما تَضَخُّ إسرائيل أموالا ضخمة في مؤسّساتها التعليمية، وفي مقاولاتها، وفي بحوثها العلمية، وَتَحُثُّ الدول الغربية على منح الأفضلية للمنتوجات والصّادرات الإسرائيلية.

12ـ لِمَاذَا يَجِبُ القَضَاء على الكِيَان الصَّهْيُونِي؟

صورة لِحَيٍّ في قطاع غزَّة، قبل، ثم بعد، قصف الطيران الإسرائيلي، في أكتوبر 2023.

(91) لَيْسَ الحَلُّ هو تَعَايُش الفَلَسْطِينِيّين مع الصَّهَاينَة، وَإِنَّمَا الحَلّ هو القَضَاء على إِسْرَائِيل، وعلى الصَّهْيُونِيَة.

الهَدَف السِرّي لَدَى الصهَاينَة وَمُنَاصِرِيهِم، هُو تِكْرَار تَجْرِبَة غَزْو، وَاسْتِيطَان، شَمَال القَارَّة الْأَمْرِيكِيَّة. وقد اِمْتَدَّت تَجْرِبَة اِسْتِيطَان أَمْرِيكَا الشَمَالِيَة خلال قُرَابَة ثَلَاثَة قُرُون. وَأَدَّى اِسْتِيطَان أَمْرِيكَا إلى إِبَادَة السُكَّان الْأَصْلِيّين الّذين هُم «الهُنُود الحُمْر» (amérindien)، بِحُجَّة أنهم «مُقَاوِمِين إِرْهَابِيّين»، وَ«مُتَوَحّشِين». وَيُرِيد المَشْرُوع الصَّهْيُوني، هُو أيضًا، أن يَصِل، تَدْرِيجيًّا، إلى إِبَادَة الفَلَسْطِينِيّين، واللُّبْنَانِيّين، وَالْأُرْدُنِيّين، والسُّورِيّين، وَتَعْوِيضهم بِمُسْتَوْطِنِين «يَهُود»، يَأْتُون من كلّ دول العالم، الخ. سَوَاءً كان هؤلاء المُسْتَوْطِنِين «يَهُودًا» حقيقيّين، أم «يَهُودًا» مُزَوَّرِين.

وهدف الصهاينة المُعْلَن، وهدف إسرائيل الفِعْلِي، حسب كثيرين مِن زُعماء الحركات الصهيونية هم أنفسهم، هو تَوْسِيع الغَزْو، والْاِسْتِيطَان، بِالتَدْرِيج، من نَهر النِّيل في مَصْر، إلى نهر الفُرات في العراق.

وَكُلّ المُعْطَيات (التي أَوْضَحْتُهَا في كتاب "نَقْد الصَّهْيُونِيَة") تُثْبِتُ أن ***الكيّان الصَّهْيُوني (إسرائيل)، كَانَ دَائِمًا، وَسَيَبْقَى، غَازِيًّا، وَمُحْتَلًّا، وَاسْتِعْمَارِيًا، وَاسْتِيطَانِيًا، وَعُنْصُرِيا، وَعُدْوَانِيا، وَمُجْرِمًا، وَتَابِعًا لِلْإِمْبْرِيَاليات الغربية، وَخَادِمًا لها.*** وَكُلّ كلمة من بين هذه التَوْصِيفَات السياسية السَّابِقَة، لها أهمية كُبْرَى.

وطبيعة الصَّهْيُونِيَة، وكذلك طَبِيعَة الكيّان الصَّهْيُونِي، هي التي تَفْرِضُ ***اِسْتِحَالَةَ التَعَايُش*** فيما بين الصَّهَاينَة من جهة أُولَى، ومِن جهة ثانية نَقِيضِهِم الفلسطينيّين، والعَرب، والمُسلمين. بَل مَا دَامَ الكيّان الصّهيوني مَوْجُودًا، فإنه سَيُؤَدّي حتمًا إلى تَهْجِير، وَقَتْل، وَإِبَادَة الفلسطينيّين، بالإضافة إلى قَتْل مَن يرتبط بهم من العرب.

صورة لِحَيٍّ في قطاع غزّة، قبل، ثم بعد، قصف الطيران الإسرائيلي، في أكتوبر 2023.

وَ«ضَمَان أَمْن» الكِيَّان الصَّهْيُونِي، هو الذي يُوجِبُ دَائِمًا (في المَنْطق الصَّهْيُونِي والْإِمْبرْيَالِي) التَوَسُّعَ الْغَيْرَ مَحْدُود في الغَزْو، وَالْاِحْتِلَال، وَالْاِسْتِيطَان، والْاِسْتِعْمَار، في منطقة الشّرق الأوسط.

كما أن طَبِيعَة الكِيّان الصّهيوني هي التي تَفرض اِسْتِحَالَة وُجُود أَيّ حَلّ تَوْفِيقِي لِلتَعَايُش فيما بين الصّهاينة والفلسطينيّين.

فَمَا هو الحَلّ ؟ فَإِمَّا أَنْ نَدَعَ الصَّهَايِنَة يُحَقِّقُون جَمِيعَ أَهدافهم غَير المَحدودة، في مَجَالَات الغَزْو، والاحتلال، والْاِسْتِيطَان، والاستعمار، والعُنْصُرِيَة؛ وَإِمَّا أَنْ نَقْضِيَ كُلِيًّا وَنِهَائِيًّا على الكِيَّان الصهيوني، (وكذلك على الصَّهْيُونِيَة كَأَيْدِيُولُوجِيَة مَرَضِيَة، وَحَمْقَاء، وَمُجْرِمَة). وَيَسْتَحِيل وُجُود أَيّ حَلٍ ثَالِث قَابِل لِلدَّوَام !

والعَـقِيدة الصَّهْيُونِيَة، مَبْنِيَة على أساس خُرَافَات دِينِيَة وَمُـقَدَّسَة. مثل خُرَافَة «الشعب اليهودي»؛ وخُرافة «الشَّعب المُختار» مِن طَرف الْإِلَه؛ وَخُرَافَة «الأرض المَوْعُودَة» مِن طرف الإله لِـ «لِلشّعب اليَهُودي المُفَضَّل»؛ وَخُرَافَة «أَرْض بِلَا شَعْب، لِشَعْب بِلَا أرض»؛ وخُرافة «الدّولة اليَهُودية»؛ وَخُرَافَة «حَقّ إِسْرَائِيل في الدِفَاع عن نَفْسِهَا»، والذي يُبَرِّر إِلْغَاء حَقّ الفَلَسْطِينِيّين والعَرب في الدّفَاع عن أَنْفُسِهِم؛ الخ.

والصِراع القائم فيما بين الشّعب الفلسطيني، والشُّعوب النَاطِقَة بالعربية، من جهة أُولى، ومن جهة ثانية الكِيَّان الصَّهْيُونِي، والْإِمْبِرْيَالِيَات الغربية، ليس صِرَاعًا بين قَوْمِيَّات، ولا صراعًا بين إِثْنِيَّات، ولا صراعًا بين أَدْيَان، ولا صراعًا بين حَضَارَات، وَإِنَّمَا هو ***صِراع بين شُعُوب مُسْتَعْمَرَة، وَدُوَل مُسْتَعْمِرَة؛*** وهو أيضًا صراع بين كِيَّانَات تَوَّاقَة إلى التَحَرُّر الوَطَنِي، وَكِيَّانَات مُسْتَغِلَّة، وَمُضْطَهِدَة، وَإِمْبِرْيَالِيَة.

وفي مَنْطِق التفكير الاستراتيجي، المُسْتَعْمَل من طَرف الصَّهَايِنَة، وكذلك من طرف الإمبرياليات الغربية، فإن إسرائيل هي مُسْتَعْمَرَة مُشْتَرَكَة فيما بين الدُوَل الغربية، وَقَاعِدَة عَسْكَرِيَة مُتَقَدِّمَة في الشّرق الأوسط، وَمُشتركة فيما بين الدُوَل الغربية؛ وهدف هذه القاعدة العسكرية المُتقَدِّمَة، هو غَزْو، وَاسْتِيطَان، جزء هَام من مناطق الشرق الأوسط، على اِمْتِدَاد عُـقُود، أو حتّى قُرُون.

وفي مَنْطِق التفكير الاستراتيجي لدى الصَّهَايِنَة، وكذلك لدى الإمبرياليات الغربية، فإن الحلّ الوحيد لضمان استمرارية، وأمن، مُستعمرة إسرائيل، يَستوجب تَوفير «تَفَوُّق استراتيجي شَامِل لإسرائيل» على جيرَانِها الدُوَل النَاطِقَة بِالعربية.

وبعبارة أخرى واضحة، لكي يَستمرّ وُجود إسرائيل بشكل آمن، يجب (في مَنْطِق الصَهَايِنَة وَالْإِمْبِرْيَالِيَات) أن تَبْـقَى كلّ البلدان النَاطقة بالعربية مَسُودَة، وَمُـقَسَّـمَـة، وَمُحَاصَرَة، وَضَـعِـيـفَة، وَمُتَخَلِّفَة.

والثَّمَن الذي يجب أَدَاءُه لكي تكون «إسرائيل مُتَفَوِّقَة وَقَوِيَّة»، هو إِبْقَاء مُجمل البُلدان الناطقة بالعربية في حالة تَخَلُّف شُمُولِي، وَفي حالة انْحِطَاط مُجتمعي (سِيَّاسِيًّا، واقتصاديًا، وَعِلْمِيًّا، وَتِكْنُولُوجِيًّا، وَثَقَافِيًّا، وَأَخْلَاقِيًّا).

وفي مَنْطِق الصَهَاينَة والْإِمْبِرْيَالِيّين، كلّ تَقَدُّم سِيَّاسِي، أو اِقْتِصَادِي، أو عِلْمِي، أو تِكْنُولُوجِي، يحدث في أيّ بَلد ناطق بالعربية، أو في أيّ بَلد مُسلم، «يُشَكِّل تَهْدِيداً استراتيجيا لِوُجُود إسرائيل». وبالتَّالِي يجب مَنْعُه، أو عَرْقَلَتُه، بكلّ الوسائل المُتَاحَة.

صورة لِحَيّ في قطاع غزّة، قبل، ثم بعد، قصف الطيران الإسرائيلي، في أكتوبر 2023

وبعبارة أخرى واضحة، «ضَمَانُ أَمْن وَاسْتِمْرَارِيَة وُجود إسرائيل»، يستوجب (في مَنْطِق الصَّهَاينَةُ وَالْإِمْبِرْيَالِيَات) إِبْقَاء كلّ البلدان الناطقة بالعربية في حالة اِنْحِطَاط مُجتمعي، واقتصادي، وَعِلْمِي، وَتِكْنُولُوجِي، وَثَقَافِي، وَأَخْلَاقِي.

وَعَلَيْه، فَكُل بَرْنَامَج لِـ «التَّعَايُش السِلْمِي» فيما بين الكيّان الصّهيوني والبلدان الناطقة بالعربية، هو مُجَرَّد وَهْم سِيَّاسِي، أو مُجَرّد خُدْعَة سيّاسية. وَلَا يُؤْمِنُ بِإِمْكَانِيَة هذا «التَعَايُش السِلْمِي» المَزْعُوم، سِوَى الجُهَّال، أو المُغَفَّلُون، أو العُمَلَاء.

وَلَا يَقْبَل الصَّهَاينَةُ، ولا الْإِمْبِرْيَالِيُّون، التَمْيِيز بين الْإِثْنِيَّات (ethnies)، والطَوَائِف (communautés)، المُتواجدة في هذه المناطق المُسْتَهْدَفَة (الناطقة جُزْئِيًّا، أو كُلِّيًّا، باللّغَة العربية)، مِثْل العَرَب، والأَكْرَاد، وَالْأَمَازِيغ، والطَوَارِق، والدرُوز، والمَوَارِنَة، والكَنْعَانِيّين، والأَقْبَاط، وَالْآرَامِيّين، وَالسرْيَانِيّين، والآشُورِيّين، والكَلْدَان، والشّيعَة، والسُنَّة، والعلويّين، والإسماعيليّين، والمسيحيين، وَالْغَيْر مُتَدَيّنِين، الخ...

وَحَتَّى لَوْ أَرَادت مَجموعات إِثْنِيَة مُحَدَّدَة، من داخل البلدان المُسْتَهْدَفَة الناطقة بالعربية، أن تَتَمَيَّز عن الْإِثْنِيَّات أو الطَوَائِف الأخرى، فإن الصهاينة، وكذلك الإِمْبِرْيَالِيات الغربية، يُصِرُّون على اعتبار تلك المَجموعات وَالْإِثْنِيَّات جَمِيعًا شَعْبًا واحداً، عَرَبِيًّا أو مُسْلِمًا، أو قَوْمِيَة وَاحِدَة، أو عَدُوًّا وَاحِداً مُشْتَرَكًا.

وَكُلَّمَا «تَحَالَفَت» إسرائيل أو الْإِمْبِرْيَالية، مع أَحَد هذه الدُوَل، أو مع أَحَد هذه الْإِثْنِيَّات المُسْتَهْدَفَة (الناطقة جزئيًّا أو كُلِيًّا بالعربية، أو المُتَدَيّنَة بِالْإِسْلَام)، مثلما سَبَقَ أَنْ حَدَث مع بعض الْأَحْزَاب المَسِيحِيّة في لُبْنَان، أو مع بعض الحَرَكَات الْكُرْدِيَة، أو مع بعض الحَرَكَات الْأَمَازِيغية، الخ، فإن هدف هذا «التَحَالُف» المُؤَقَّت، هو فقط خُدْعَة «فَرِّقْ تَسُدْ»، لِغَايَة اِسْتِخْدَام هذه الْإِثْنِيَّة كَمُرْتَزِقَة، أو كَ «طَابُور خَامِس»، أو كَ «وَقُودٍ لِلْمَدَافِع»، أو كَ «عُمَلَاء» يُنَفّذُون الْمَشَارِيع الصهيونية أو الإمبريالية. وهو أَيْضًا مَا فَعَلَتْهُ الْإِمْبِرْيَالِيَّات الغربية مع المِيلِيشْيَا الْإِسْلَامِيَة «دَاعِشْ»، وَ«جَبْهَة النُصْرَة»، وَأَمْثَالِهَمَا كَثِيرَات.

وعندما نَقول أن المَنْطِق الاستراتيجي (لَدَى الصَّهَاينَة، ولدى الْإِمْبِرْيَالِيَات الغَربية)، يَسْتَوجِب تَحْقِيق «أَمْن إسرائيل»، عَبْرَ إِبْقَاء فَلَسْطِين والبُلدان النَاطِقَة بالعَربية في حَالَة ضُعْف وَتَخَلُّف شَامِل، فإن هذا المَنْطِق هو بالضّبط الذي بَرَّرَ، في الماضي القَرِيب، تَخْرِيب لُبْنَان بين سنتي 1975 و 1990؛ وَبَرَّر تَخْرِيب العراق في سنة 2003؛ وَبَرَّر تَخْرِيب سُوريا بين سنتي 2011 و 2018؛ ثم بَرَّر تَخْرِيب لِيبْيَا في سنة 2012؛ وهو الذي يُحْتَمَل أن يُبَرِّر، في المُستقبل القَرِيب، تَخريب إيرَان، ثمّ تَخْرِيب مَصْر، ثم تخريب السّعودية، الخ. والحَلّ لِإِيقَاف سَيْرُورَة هذا «التَخْرِيب الْاِسْتْرَاتِيجِي»، يَتَطَلَّبُ خَوْضَ ثورة مُجتمعية شَامِلَة، في مُجمل البُلدان المُسْتَهْدَفَة، ضِدَّ اِنْقِسَام الشُعوب الناطقة بالعربية، وَضِدّ الصَّهْيُونية، وضدّ إسرائيل، وضدّ الْإِمْبِرْيَاليات الغَربية.

وخلاصة هذا التحليل، هي إِذَنْ أنّ خُرُوج الشُّعوب النَّاطِقَة بالعربية من التَخَلُّف المُجتمعي، ومن الْاِنْحِطَاط الشُمُولي، وَمِن التَبَعِيَة لِلْإِمْبِرْيَالِيَات، يَقْتَضِي، بالضَّرُورة، تَوْحِيد هذه الشُعُوب الناطقة بالعربية، مثلا في إطار نوع من الفِيدِيرَالِيَة الثورية، وخوض كِفَاح ثوري عَنِيد، وَطَوِيل النَفَس، بهدف القضاء التَامّ على الكِيَّان الصَّهْيُونِي (أي على مُسْتَعْمَرَة إسرائيل)، وكذلك القضاء التَام على هَيْمَنَة الْإِمْبِرْيَالِيَّات الغَربية. وَلَوْ أنّ هذا الكِفَاح سَيَتَطَلَّب، بالضّرورة، تَضْحِيَّات هَائِلَة.

لَا فائدة إِذَن مِن مُحاولة إعادة إِنْتَاج الحَلّ التَوْفِيقِي (الذي أُسْتُعْمِلَ في قضية جنوب إفرقيا) لِمُعَالَجَة قضيّة فلسطين المُحتلّة. لأن ما وقع في جنوب إفريقيا، مع قيّادة نِلْسُون مَانْدِيلَا، وحَرَكَة "المُؤتَمَر الوَطَنِي الإفريقي" (ANC)، هو تَحْرِير الرَّأْسَمَالِيَة في جنوب إفريقيا من العُنْصُرِيَة، لكن مع إِبْقَاء هذه الرأسمالية كما هي. وعليه، فإن "الشعب الأسود" في جنوب إفريقيا لم يَسْتَفِد كثيرا، وَبَقِي مَسُودًا وَمُسْتَغَلًّا كما كان من طرف المُسْتَغِلّين البِيض المُهَيْمِنين. وعليه،

بَقِيَ التَحرير ناقصًا في جنوب إفريقيا. أمّا في قضية فلسطين المُحتلّة من طرف الحركة الصّهيونية، ***يَسْتَحِيل أن يَتَعَايَشَ الفلسطينيون مع الصهاينة. لأنه يستحيل أن يتعايَشَ المُسْتَعْمَر مع المُسْتَعْمِر،*** خاصّة وأن هذا المُسْتَعْمِر الصَّهيوني يظلّ غَازِيًّا، وَقَتَّالًا، وَغَدَّارًا، وَتَوَسُّعِيًّا. فَلَا يُمكن أن يتحرّر الشّعب الفلسطيني سِوَى عَبْر القَضَاء التَّام على كِيَّان إسرائيل، وعبر القضاء التّام على الأَيْدِيُولَوجِيَة الصهينية، وعلى هَيْمَنَة الإِمْبِرْيَالِيات العالمية على المِنْطَقَة.

والقضاء على الكيّان الصّهيوني (إسرائيل)، لا يَتطلّب بالضّرورة قَتْل مُجمل الإسرائيليّين. لأن مُجَرَّد ***مُقاومة وَمُقَاتَلَة إسرائيل، خلال بِضعة شُهور، أو خلال بضعة سَنَوَات مُتَوَالِيَة، سَتَكْفِي لِخَلْق دِينَامِيَة تَحَلُّل، وَتَفَكُّك، وَانْهِيَار، مَنْظُومَة إسرائيل المُصْطَنَعَة، والاستعمارية، والاستيطانية، والعُنْصُرِيَة.*** وَسَيَفِرُّ مُعظم الإسرائيليّين إلى "الولايات المتحدة الأمريكية"، أو إلى بُلدان "الاتحاد الأوروبّي". خاصّة وأنهم يَمْلِكُون فيها جَوَازَات سَفَر، وأَقَارِب، وَعَقَارَات، وَأَمْوَال، وَمَصَالِح، الخ. ولأن «الْأَنَانِيَة» التِلْقَائِيَة لدى الصّهاينة، تَجعلهم يَتَلَافَوْن المَوتَ من أجل إسرائيل.

وَانْهِزَام إسرائيل، وَانْهِيَارُها، هو مَصيرها التاريخي المَحْتُوم. ولماذا ؟ لأن إسرائيل كِيَّان مُصْطَنَع، مَبْنِيٌّ على أَسَاس مَبَادِئ عُدْوَانِيَة، وَعُنْصُرِيَة، وَظَالِمَة، واستعمارية، وَغَيْر عَقْلَانِيَة، وَغَيْر عَادِلَة. بَل الْأَيْدِيُولُوجِيَة الصَّهْيُونِيَة هي مَرَض نَفْسِي، أو هَذَيَان عَقْلِي، مُفْرِط في «الْأَنَانِيَة». وَيَتَّضِحُ أن خُرَافَة «الشعب اليهودي الذي يَلِدُ العَبَاقِرَة»، هي مُجرّد دِعَايَة صَهْيُونِيَة. لأن الواقع يُؤَكِّد أن غالبية اليَهُود في العالم يُؤْمِنُون بِـ «الصَّهْيُونِيَة»، رغم أنها أَيْدِيُولُوجِيَة مُتَخَلِّفَة، وَمَرَضِيَة، وَحَمْقَاء، بَلْ بَلِيدَة.

وما دامت الولايات المُتّحدة الأمريكية الْإِمْبِرْيَالية (53 ولاية) مُتَّحِدَة في إِطَار فِيدِيرَالِيَة، وما دامت دول أَوْرُوبَّا الغربية الْإِمْبِرْيَالية (

27 دولة في الاتحاد الأوروبّي) مُتَّحِدَة هي أيضًا في إطار نَوْع من الفِيدِيرَالِيَة، وما دامت الدُوَل الناطقة بالعربية مُشَتَّتَة، وَمُقَسَّمَة، وَمُتَنَافِرَة، فإن الشُعُوب الناطقة بالعربية ستبقى ضَعِيفَة، وَمُتَخَلِّفَة، أو مُنْحَطَّة. وَلَا يُمْكِنُها أن تَخْرُجَ مِن تَخَلُّفِهَا سِوَى عَبْر تَوَحُّدِهَا في نَوْع مُعَيَّن مِن الفِيدِيرالية. وَمُجْمَل الحُدُود الحالية، الفَاصِلَة حَالِيًّا فيما بين الدُوَل الناطقة بالعربية، هي من صُنْع الْاِسْتِعْمَار، أو من صُنع الْإِمْبِرْيَالِيَات الغربية.

والاحتمال الكبير، هو أنّ ***توحيد الدُوَل الناطقة بالعربية***، في إطار فِيدِيرَالِيَة وَاسِعَة، لا يُمكن تَحقيقه سوى بِالثَّوْرَة المُجتمعية، وَبِالقُوّة الثّورية. خَاصَّة تُجَاه القِوَى الْإِمْبِرْيَالِيَة، وَتُجاه الأَنْظِمَة وَالقِوَى العربية المُحافظة، أو الرِجْعِيَة. وكل ما يُمكن تَحقيقه، في مصلحة الشُعوب النّاطقة بالعربية، بواسطة الحوار، والْإِقْنَاع، إِنْ وُجِدَ فِعْلًا، فَسَيَكُون مُرَحَّبًا به. وَإِنْ لَمْ يُوجَد، يَبْقَى الحلّ الوحيد، هو الثَّوْرَة المُجتمعية، والقُوَّة الثَّوْرِيَة.

وأصدقاء الشُعوب الناطقة بالعربية هم عُمُومًا إيران، وروسيا، والصين، والهند، والبرازيل، وربما جنوب إفريقيا. وكان بالإمكان أن تكون تُورْكِيَا صديقة للشعب الفلسطيني، وَلِلشُعُوب النَّاطقة بالعربية، أو المُسلمة. لكن النظام السياسي القائم في تُورْكِيَا اِنْحَازَ، منذ قُرابة سنة 1945، إلى مُعَسْكَر الدول الغربية الإمبريالية (OTAN, OCDE, OSCE, UE, G20, etc). وَرَغم كلّ ذلك، لَا تَتِق أبدًا الدول الغربية الإمبريالية في تُورْكِيَا، لأن غالبية شعبها مُسلمة. وَتَبْقَى تُرْكِيَا، حسب نَوْعِيَة الحزب الحاكم فيها، مُتَنَاقِضَة، وَمُتَذَبْذِبَة، تُجاه اَلْإِمْبِرْيَالِيَّات الغربية. وَتُسانِد تُورْكِيَا لَفْظِيًّا الشعب الفلسطيني، لكنها لا تفعل شيئًا ذِي أهمّية في هذا المجال. ونجد أيضًا ضِمْن أَصْدِقَاء الشعوب الناطقة بالعربية الحركات التَقَدُّمِيَة والثورية المُتَوَاجِدَة عبر العالم. خَاصَّةً وأن العالم الحالي في طَوْر التَحَوُّل من «عَالَم أُحَادِي القُطْبِيَّة»، تحت هَيْمَنَة

الْإِمْبِرْيَالِيَة الأمريكية، إلى «عَالَم مُتَعَدِّد الْأَقْطَاب»، تُوجد فيه قِوَى صَاعِدَة، وَمُسْتَقِلَّة، وَمُتَنَافِسَة. ومع هذا التَحَوُّل على الصّعيد العالمي، تُصْبِحُ شُروط اِنْهِيَّار الكِيَّان الْإسرائيلي أَكْثَر سُهُولَةً بِالمُقَارَنَة مع مَا كانت عليه في الماضي.

وأعداء الشُعوب الناطقة بالعربية، هم الإِمْبِرْيَالِيات الغربية، وأبرزها إِمْبِرْيَالِيَات الولايات المتّحدة الأمريكية (USA)، والمملكة المتحدة (UK)، وكندا، وأستراليا، والاتحاد الأوروبي (UE) (بما فيه فرنسا، وألمانيا، الخ)، وإسرائيل، والأنظمة السياسية العربية المُحافظة، أو الرجعية، أو العَمِيلَة لِلْإِمْبِرْيَاليات.

فَمِن غير العَدْل أن يَكُون حَلّ القضية الفلسطينية هو تَعَايُش الفلسطينيّين مع الصهاينة. وَكُلّ حَلّ يَنْبَنِي على أَسَاس «تَعَايُش سِلْمِي (مَزْعُوم) بين الفَلَسطينيّين والصَهَاينَة»، سَيَكُون مُجَرَّد وَهْم غَيْر قَابِل لِلتَحْقِيق. لَا «حَلّ الدَّوْلَتَيْن»، وَلَا «حَلّ الدّوْلة الوَاحدة». بَل الحلّ الوَحِيد العَادل، يَسْتَوْجِبُ القَضَاء على إسرائيل، وعلى الصَّهْيُونِيَة كَأَيْدِيُولُوجيَة. وَمَا أُخِذَ بالقُوّة، لا يُسْتَرَدُّ سوى بالقُوّة. والشُعوب التي تُقَاوِم الظُّلم، وَتُكَافِح ضِدّ الاضطهاد، وَتُضَحّي بِأَبْنَائِهَا، تَنْتَصِر، وَلَا تُهْزَم.

(نَشَر رَحْمَان النُوضَة هذا النَصّ كَمُقْتَطَف مِن كتاب "نَقْد الصَّهْيُونِيَة"، في يوم 4 نُوَّنبر/تشرين الثاني 2023).

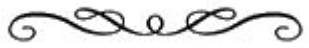

13ـ خُلَاصَةٌ:
تَسَاؤُلَات وَدُرُوس
مِن تَارِيخ فَلَسْطِين

92) كَمْ من مرّة يُخْطِئُ البَشَرُ، وَيُخَيِّبُ آمالنا ! أرادت الحركة الصهيونية أن تُحرّر اليهود (مِمَّا كانوا يُعَانُونَه من اضطهاد في دُوَل أَوْرُوبَّا)، فاستعمرت فلسطين (***في الشرق الأوسط***) ! مثلما يقول المثل المُرَّاكشي: «اِنْهَارَت الصَّوْمَعَة، فَشَنَقُوا الحَجَّامَ»! بمعنى: لا علاقة منطقية بين هذا وذاك.

وأرادت الصهيونية أن تجمع مجمل يهود العالم فوق أرض فلسطين، فأصبح السكان الأصليون لفلسطين إمّا مقتولين، وإمّا مسجونين، وإما لاجئين، أو مشرّدين، عبر مجمل بلدان العالم! وتصدق على هذه الحالة عبارة : الفِعْل يُنتج نَقِيضَه.

ولِضمان أمنها، أَغْلَقَت إسرائيل البَقَيَّة الحيّة من الشعب الفلسطيني (سواءً في غزّة، أم في الضِّفَّة الغربية، أم داخل حدود سنة 1948) في سجن قاهر، وغير مرئي، يَحْرُمُهُم من كلّ مقوّمات الحياة. كما أن هذا السِجْن الغَيْر مَرْئِي، يَحْرُم الفلسطينيّين من كلّ مُقَوِّمَات المُجْتَمَع، أو الشَّعْب. لأن ***أمن إسرائيل، حسب الصهاينة، لا يتحقّق سوى عبر إلغاء أمن الفلسطينيين*** (***وكذلك عبر إلغاء أمن العرب والمسلمين***) ***! بَل تُريد الحركة الصَهْيُونِيَة أن يَتَحَقَّقَ أَمْن إسرائِيل***

عبر إلْغَاء وُجُود الشّعب الفَلَسْطِينِي (والشُّعوب الأخرى المُجاورة له).

وَغَدَى الفلسطينيون، تحت حكم الكيَّان الصهيوني، مضطهَدين، مثلما كان اليهودُ مضطهَدين تحت حكم النازيّين (nazis) في ألمانيا ! وأصبح فلسطينيو اليوم، مثل يهود الأمس! وَهَكذا ***تحوّل اليهود، بواسطة الصهيونية، مِن مُضْطَهَدِين*** (بفتح حَرْف الهَاء) ***إلى مُضْطَهِدِين*** (بكسر حَرْف الهَاء). وهذا نَمُوذَج آخر لِمَبْدَأ المَادّيَة الجَدَلِيَة القَائِل بِـ «تَحَوُّل الشَّيْء إلى نَقِيضِهِ».

وزَعَمَ الصهاينة أن مشكل اضطهاد اليهود قد حُلَّ بشكل «أبدي» (طبعًا، عبر إلغاء مُطلق لحقوق الفلسطينيين) ! وتعمل دولة إسرائيل الصهيونية لِتَوْفِير الرَّفَاه لِذَوِيها اليهود، وَتُسَلِّطُ الهَلَاك والموت على الفلسطينيّين. دُون أن تَثُور حفيظة الدول الغربية، التي تُدَعِّم بشكل مطلق الحركة الصهيونية. وفي نفس الوقت، تزعم هذه الدول الغربية أنها «ديموقراطية» جدًّا، و«متحضّرة» جدًّا، و«غَيُورَة جدًّا على حقوق الإنسان» ! كأنّ الشعب الفلسطيني، أو الشعوب المُسلمة، أو الشعوب النَاطِقَة بالعربية، لَا تدخل ضمن قائمة «الإنسانية»! وذلك، دون أن يَغْضَب إلَه اليَهُود، ودون أن يحتجّ إله المسيحيّين، ودون أن يتدخّل إله المسلمين لِتَغْيِير هذا المُنكر. لأن الْإِلَه لَا يَتَدَخَّل في شُؤُون البَشَر[10].

وقد اِرْتَكَب "النَّازِيُّون" الألمان وحلفاؤهم «مَذْبَحَةَ اليَهُود» (holocauste, shoah). حيث كانوا يصطادون اليهود، ويقتلونهم بأعداد كبيرة. وزعمت الحركة الصهيونية، بِأَنَانِيَة مُتَمَيِّزَة، أن «مذبحةَ اليهود» هي «جريمة فريدة من نوعها»، وأنه «لم تحدث قطّ أيّة جريمة مشابهة

(10) أنظر كتاب رحمان النوضة : "نَقْد الشعب". ويمكن تنزيله من مُدَوَّنَة الكاتب (http://LivresChauds.Wordpress.Com).

لها في تاريخ البشرية» ! وَأَمَام هذه الكَذْبَة العُظْمَى، نُلَاحِظُ بِاسْتِغْرَاب أن ***الصَهَاينَة لَا يَرَوْا أنهم يُعَالِجُون «مَذْبَحَة اليَهُود» بِوَاسِطَة اِرْتِكَاب «مَذْبَحَة الفَلَسْطِينِيّين» !*** لكن هذه المُعْطَيَات التَفْصِيلِيَة لَا تَهُمُّ لَا الإسرائيليّين، ولا الإمبرياليّين الغَرْبِيّين. وَكَذْبَة «مَذْبَحَة اليَهُود جريمة اِسْتِثْنَائِيَة في تاريخ البَشَرِيَة»، تَهْدِفُ إلى تبرير الأيديولوجية الصهيونية. لأن الأَيْدِيُولُوجِيَة الصهيونية تحتاج إلى اعتبار اليهود «اِسْتِثْنَائِيّين» في كلّ شيء. بينما الحقيقة التاريخية هي أن "النَّازِيّين" كانوا يسحقون، ويقتلون، وبنفس الطُّرُق، وبنفس الأدوات، كل من اعتبروه "شِيُوعِيًّا"، أو "اِشْتِرَاكِيًّا"، أو "مُعارضا"، أو "مُقاوما"، أو "غَجَرِيًّا"، أو "مِثْلِيًّا"، إلى آخره. لكن اليَهُود الصَهَاينَة، وكذلك المُتَصَهْيِنِين مِن غير اليَهُود، يعتبرون أن ضحايا الصهيونية المذكورين سابقًا، لَا قِيمَة لهم بالمُقَارَنَة مع الضحايا اليَهُود. ثم ***استعملت الحركة الصهيونية «مذبحة اليهود» لتبرير مذبحة للفلسطينيين !*** ولو أن الفلسطينيين ليسوا هم الذين اضطهدوا اليهود في دول أَوْرُوبَّا، وآسيا ! وهنا يظهر جُبْن الصّهاينة، وانحطاطهم، وكذلك بَلَادَتَهُم السياسية. حيث أنه، بَدَلًا من مُكَافحة النازيّين والنازية، وبدلا من مُحاربة الفاشيّين والفاشية، مَارَسُوا النازية والفاشية على شعب ضَعِيف، وَبَعِيد، وَبَرِئ، هو الشعب الفلسطيني. وَتَفَنَّنَ الْإِسْرائيليّون في اِحْتِلَال الشعب الفَلسطيني، وَاسْتِعْمَارِه، وَتَعذيبه، واضطهاده، وَقَهْرِه، وَتَهْجِيره، وَقَتْلِه.

وحوّلت الصهيونيةُ اليهودَ إلى نقيضهم. حيث أنها حوّلت اليهود من مُضْطَهَدِين (بفتح حَرْف الهَاء) إلى مُضْطَهِدِين (بكسر حَرْف الهَاء) ! مثلما يتحوّل الشيء جَدَلِيًّا إلى نقيضه. وهذا بواسطة مُوَافَقَة، وَدَعْم، وَمُبَارَكَة، الدول الغربية الإِمْبِرْيَالِيَة، وَحُكَّامِها، وبرلمانيّيها، ونُخبها، ومُثَقَّفيها، وَصَحَفِيّيهَا، وفَنَّانِيها، وعلمائها، وفلاسفتها ! بِاسْتِثْنَاء أَقَلِّيَة قَلِيلَة مِن المُثَقَّفِين في الدول الغربية. ولا يجرؤ على نقد الصهيونية سوى أقلّية قليلة من مُواطني الدّول الغَربيّة.

وكل شخص في البلدان الغربية ينتقد الصهيونية، أو إسرائيل، يُصبح مَمْنُوعًا من التعبير عبر وسائل الإعلام، بما فيها العُمومية، والخُصوصية !

وعلى خلاف مجمل الدّيانات الأخرى (مثل المسيحية، أو الإسلام، أو غيرهما)، فإن اعتناق الدّين اليهودي لا يُعْتَرَفُ به إلّا إذا جاء عبر أمّ يهودية. الشيء الذي يُشجّع كِيَّان إسرائيل (وكذلك حلفاؤها في دول أَوْرُوبَّا وأمريكا) على التعامل مع اليهود، ليس كحاملين لدِين عَادِي، وإنما كَ «سُلاَلَة»، أو كَ «إثنية (ethnie)» بيولوجية خَالِصَة. وهذا ***وَهْمٌ عُنصريّ.*** لأن العِلْمَ أثبت أن «الأجناس» البيولوجية، أو «الإثنيّات» البشرية الخالصة، لا توجد في الواقع، وإنما توجد في خيال الأيديولوجيات (سواءً كانت دينية، أم سياسية). وتعتبر إسرائيل أن «إثنية» اليهود هي «أعلى درجة» من الفلسطينيين، ومن العرب، ومن المسلمين، ومن كلّ إِثْنِيَّات العالم. واعتبر بعض زُعماء الحركة الصهيونية أن الفَلسطينيّين هم «حَيَوَانَات بِرِجْلَيْن»، أو «حَيَوَانَات في شَكْل بَشَرِي». واعتبر الصّهاينة أن «إثنية» اليهود تستحق امتيازات خارقة ! الشيء الذي يُبرّر، من وجهة نظر الصهاينة، مُمَارَسَة دولة إسرائيل لِسِيَاسَة "عُنصرية" (تُجاه الفلسطينيين، والعرب، والمسلمين). وحينما استوردت إسرائيل اليهود السّود "الفالاشا" من إثيوبيا، فذلك الاستيراد لم يَنتج عن حُدوث تَقَلُّص في "عنصرية" إسرائيل، وإنما نتج عن حاجة الرأسمالية في إسرائيل إلى أعداد كبيرة من الجُنود، ومن البوليس، ومن اليد العاملة الرخيصة، التي تَقبل الاشتغال في مهن يحتقرها، وَيَتَهَرَّبُ منها، باقي الإسرائيليين. ويُشبه حال اليهود الفَلاَشَا في إسرائيل حَالَ السُّود في الولايات المتّحدة الأمريكية العنصرية.

وكان يُفترض في الحركة الصهيونية (لو كانت تريد حقيقةً تحرير اليهود من الاضطهاد) ***أن تكافح ضدّ جميع أشكال التّمييز، والإقصاء، التي يتعرّض لها أيّ بَشَر كان.*** لكن الحركة الصهيونية

خلقت دولة إسرائيل لفائدة "إثنية (ethnie)" واحدة، هي إثنية "اليهود الصّهاينة". وهي إِثْنِيَة وَهْمِيَة، تَجمع بين البَيُولُوجِيَة والدِّين اليَهُودي. وَبُنِيَ كيّان "إسرائيل" بالضبط على أساس التّمييز، والإقصاء، المُوجّهين ضدّ السّكان الأصليّين لِفَلسطين (الذين لا يحملون الدّيانة اليهودية). فلا يتحقّق مشروع الصهيونية إلاّ عبر تهجير الشعب الفلسطيني، أو قتله، أو إبادته. وذلك بِمُوافَقَة، وَتَحْتَ أنظار الدول الغربية المتحضّرة جدًّا، والدِّيمُوقْرَاطِيَة جِدًّا جِدًّا.

فإسرائيل كيّان استيطاني، استعماري، عنصري، إمبريالي. ولا تنمو إسرائيل، ولا تَتَقَوَّى، سوى عبر الاستيطان، والاستعمار، والعُدوان، والحَرب، وبثّ الخَراب حَولها، وفرض الدَمَار، والتَخَلُّف، على جيرانها.

وَمِن وَقْت لِآخَر، تَقُوم الحَرَكَة الصَهْيُونِية هي نَفْسُهَا بِاعْتِدَاءَات اِرْهَابِيَة ضِدَّ بعض اليَهُود. لأن إسرائيل تَحْتَاج إلى إِثَارَة، وَتَهْيِيج، ظاهرة «مُعَادَاة السَّامِيَة» (anti-sémitisme). إذ بدون ظاهرة «معاداة السّامية»، تَفْقِد الأيديولوجية الصهيونية إحدى مبرّرات وجودها. ورغم أن مَظاهر «معاداة السّامية» زالت نِسْبِيًّا منذ نهاية "الحرب العالمية الثانية" في سنة 1945، فإن الحركة الصهيونية تَقوم بدعاية مُسْتَمِرَّة وَقَوِيَّة لإيهام العالم كلّه بأن «معاداة السّامية» مَا زالت موجودة بكثافة، بل وأنها تتفاقم يومًا بعد يوم، وذلك بهدف ترهيب اليهود، وتسويق المشروع الصهيوني، وإجبار اليهود على الهجرة إلى إسرائيل، وتبرير السياسات العدوانية لإسرائيل. كما تحتاج الحركة الصهيونية لِإِثَارة «مُعاداة السَّامِيَة» لِتَبْرِير الجَرَائِم المُتَوَاصِلَة التي ترتكبها إسرائيل.

يتصرّف إذن الصهاينة ***كأن الإنسان لا يستفيد من تجاربه !*** وها هو «الشعب اليهودي» المزعوم، الذي يُقَالُ عَنْهُ أنه أنتج العلماء، والعباقرة، يتصرّف بشكل أناني، وظالم ! وَيَتَبَنَّى هذا «الشّعب اليَهودي العَبْقَرِي» المَزْعُوم أَيْدِيُولُوجِيَة الصَهْيُونِيَة، والتي هي أَكْثَر

الْأَيْدِيُولُوجِيَّات بَلَادَةً وَقَسْوَةً في العالم. ويرتكب الصَهَاينَة جرائم ضدّ الإنسانية. ورغم أن مُعظم كبار العلماء مِن أصل يهودي (مثل كَارْلْ مَارْكِسْ، وَأَلْبِيرْتْ أَيْنِشْتَايْنْ، وَنَعُوم شُومْسْكِي، إلى آخره)، عبّروا صراحةً عن رفضهم التّام لأيّة أيديولوجية دِينية، أو طائفية، أو عُنصرية، أو صهيونية. لكن هذا الرَّفض من طرف علماء مِن أصل يهودي، لم يكن كافيا لدفع قادة الحركة الصهيونية إلى مراجعة أنفسهم. وكلّما غَلَبَ الجُهّالُ الحُكَمَاءَ، تكون سُلُوكِيَّاتُهم مُنْحَطَّة. وَلَا يسعنا سوى أن نَسْخَرَ من هؤلاء البشر الأنانيّين، الذين يُخَيِّبُون آمَالَنَا فيهم كجزء مِن الإنسانية الحالية.

فَتَتَبَادَر في الذِّهْن ***بعض التساؤلات*** : بعد مرور قرابة 70 سنة على بِدَايَة احتلال فلسطين، لماذا لا يعي الصهاينة (وحلفاءهم)، أنهم يظلمون الشعب الفلسطيني؟ وإن كانوا يَعُونَ ذلك، لماذا لا يدفعهم ضميرهم، أو عقلهم، إلى الكَفّ عَن مُمارسة الظُّلْم ؟ ***لماذا تُعْمِيهِم مَصالحهم الأنانية الضَّيِّقَة إلى هذه الدَّرَجَة مِن الانحطاط ؟*** لماذا يتحايل الصهاينة على القانون الدولي، وعلى الديمقراطية، وعلى مَبَادِئ حقوق الإنسان ؟ لماذا يَنْزَلِقُ اليهود الصهاينة في هذه النَزْعَة القَبَلِيَة الضَيِّقَة ؟ لماذا يتهرّب الإسرائيليون الصهاينة من تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ؟ لماذا لا تأخذ إسرائيل من قرارات الأمم المتحدة سوى ما هو في مصلحتها ؟ ***لماذا لا يلاحظ الصهاينة أنهم أصبحوا مثل أشدّ أعدائهم، أي مثل النّازيين الألمان بين سنوات 1938 و 1945 ؟*** أَلَمْ يكُن المَثَل النَمُوذَجِي للصهاينة هو أن يصبحوا مثل النازيين الألمان الأَشِدَّاء (SS) ؟ ***لماذا لا يرى الصهاينة أن أيديولوجيتهم تَحُثُّهُم على انتهاك الأخلاق الكَوْنِيَة، وحقوق الإنسان، والقانون الدولي ؟ هل الخَلَل يوجد في الإنسان، أم في فكره، أم في أيديولوجيته، أم في دِينه، أم في وَعْيِه، أم في تَرْبِيَتِه، أم في عَقْلِه، أم في نِظامه السياسي، أم في نظامه الاقتصادي ؟ أم أن الخَلَلَ يُوجد في كلّ***

هذه العَنَاصِر ؟ هل يُمكن للإنسان أن يتحضّر، أم أنه، مَهْمَا تحضّر الإنسان، فإنه يبقى حيوانا مُجتمعيا، وَمُعَرَّضًا لِكُل الانحرافات السياسية ؟ ولماذا غريزة المَصالح المادية هي قويّة إلى درجة أنها تُوصل الإنسان إلى الاسْتِلَاب (aliénation)؟ وهل مُشكل هذا الظّلم يُوجد فقط في فَلسطين المُحْتَلَّة ؟ ألا تُوجد مثل هذه المظالم في مناطق أخرى من العالم، وفي مجتمعات شَتَّى، وَبِأَشْكَال مُتَنَوّعَة، وبدرجات مُتفاوتة ؟ وهل نحن أيضا، مثل الصهاينة، نَظْلُم غَيرنا، دون أن نَعِيَ ذلك ؟

ولماذا نتضامن نحن مع الفلسطينيين؟ على خلاف ما تعتقده بعض الحركات الإسلامية الأصولية، نحن لا نتضامن مع الفلسطينيين لأنهم مسلمون مثلنا. وعلى عكس ظنّ بعض الحركات الأمازيغية، نحن لا نُساند الفلسطينيين لأنهم عرب. وإنما ***نَتَضَامن مع الفلسطينيين لأنهم بشر مظلومون. وهذا يَكْفِي.*** وغايتنا من التضامن مع الفلسطينيين، ليست هي نُصرة الإسلام، ولا هي الرَّغْبَة في غَلَبَة القومية العربية. وإنما هدفنا هو فقط مقاومة الظّلم، وإحقاق الحقّ، وَالمُسَاهَمَة المُتَوَاضِعَة في تَحَرُّر مُجمل الإنسانية.

ويوجد أشخاص كثيرون، عبر مختلف بلدان العالم، لا يهمّهم الإسلام، ولا تعنيهم العروبة، ورغم ذلك، يتضامنون هم أيضا مع الفلسطينيين. فقط لأن الشعب الفلسطيني مظلوم. ***وهذا النّوع من التضامن الإنساني، المبني على أساس مبادئ العَدْل، والمُساواة بين البشر، والدّيمقراطية، وحقوق الإنسان، هو صِنْف التضامن الذي نـتمنّى أن ينتشر إلى كلّ سُكَّان العالم.***

ولكي لا نُـقَـلِّدَ بعض أخطاء الحركة الصهيونية، يلزمنا، نحن أيضًا، أن نَحْذَر من عواطفنا، وأن نحتاط من قَبَلِيَّتِنَا، أو من تَعَصُّبِنَا لأهلنا، أو من مُيولنا المتحمّس للدفاع عن ديننا، أو عن أهلنا، أو عن إِثْنِيَتِنَا، أو عن قَوْمِيَّتِنا. ***يجب علينا جميعا أن نُكافح ضدّ الظّلم، حيثما***

وُجد، ومهما كان مُرتكبه، سواءً كان مِن بين خُصومنا، أم مِن بَيْن أَهْلِنَا.

وما هو الحل لتحرير فلسطين والفلسطينيين ؟ هل يمكن تحرير فلسطين بِالوَعْظِ فقط، أو بِالحِوَار، أو بِالتَعَايُش السِّلْمِي بين الفَلسطينيّين والصَهَاينَة، أو بِالمُرَاهَنَة على الاتِفَاقات الدولية، المَرْعِيَة من طرف القوى الإمبريالية المُهيمنة على العالم ؟ وَهل يُمكن أن نُقْنِعَ الأشخاص المُتَصَهْيِنين بأن يَتَخَلَّوْا عن يَقِينِيَّاتِهِم الصَّهْيُونِيَة ؟ أَلَيْسَت المُقاومة العنيفة ضرورية ؟ أَليس الكفاح المُسَلَّح، والثوري، هو السَّبِيل الوحيد لِتحقيق التَحَرُّر المُجتمعي، أو الإنساني ؟ أَلَا تُوجد السُّلْطَة على فَوْهَة البُنْدُقِيَة ؟ وَهَل يُمْكِن لِمَا أُخِذَ بِالقُوَّة أنْ يُسْتَرَدَّ بِغَيْر القُوَّة ؟ ***أَلَا يَستوجب تحرير فلسطين خوض حرب تحرير شعبية، غير نظامية، وغير مُتَمَاثِلَة (non symétrique)، وطويلة الأمد ؟***

وهل تحرير فلسطين يتطلّب قتل كُلّ الأشخاص الصهاينة، أو المُتَصَهْيِنين ؟ وهل تحرير فلسطين يتطلّب تغيير أكبر نسبة مُمكنة من الصهاينة لِجَعلهم يُدركون أنهم يرتكبون جرائم ضدّ الإنسانية، وأن العالم الحُرّ كُلُّه يُعارضهم ؟ ***هل يمكن تحرير الفلسطينيين من الاستعمار الصَهْيُوني دون تحرير الصهاينة من الأيديولوجية الصهيونية ؟ وهل يمكن تحرير الصهاينة من الأَيْدِيُولُوجِيَة الصهيونية دون هَزْمِهِم عَسْكَرِيًّا ؟*** وهل يُمْكِن فَكُّ التحالف بين الصهاينة والإمبريالية العالمية، دون نَقْدِهِمَا، ودون فضحهما، هما معًا ؟ وهل يمكن أن نُحَرِّر فلسطين، دون أن نتحرّر، نحن أيضا، من الكثير من عيوبنا، سواءً كانت ظاهرة، أم خَفِيَة ؟ وهل يكفي نَقد الصهاينة وحلفائهم الغربيين؟ وكيف نُقاوم الصهاينة والإمبريالية الغربية، دون أن نُتَّهَمَ بِـ «الإرهاب»، أو بِـ «الفَاشِيَة» ؟ وبأية وسائل يَلْزَم أن نُقَاوِم ؟ وبأية أساليب؟ وَبِأَيّ حُلَفَاء؟ وَبِأَيَّة خَلْفِيَة

اِسْتِرَاتِيجية مُساندة ؟ وهل حَقِيقةً كُلّ حَرَكَة مُقَاوِمَة لِلْاسْتِعْمَار أو لِلصَهْيُونِية هي حَرَكَة «إِرْهَابِيَة»، أو «فَاشِيَة» ؟ وهل يمكن أن تكون الحركات الفلسطينية الإسلامية الأصولية مُؤَهَّلَة لكي تكون بديلًا معقولًا، ومقبولًا، عن التنظيمات الفلسطينية التَقَدُّمِيَة، أو الجذرية، أو الثورية، أو اليسارية، أو الاشتراكية ؟ أَلَا يَنْبَغِي الفَصْل بين الدّين والسِيَاسَة ؟ لماذا لا يُدرك كثير من المواطنين (العرب أو المسلمين) أن الحركات الإسلامية الأصولية، رغم صِدْقِهَا، وَنَزَاهَتِهَا، وَحَمَاسِهَا، وَتَضْحِيَّاتِهَا، لتحرير فلسطين، تُؤَدّي حتمًا إلى طريق مسدود ؟ حيث أن قضية فلسطين، ليست قضية دينية، وإنما هي قضية تحرر وطني من الاستعمار، ومن الصهيونية، ومن سيطرة الإمبرياليات العالمية ؟ قد يَقول بعض أنصار الحركات الإسلامية، إن اِسْتِعْمَال الدّين الإسلامي كأساس لِلمُقاومة الفَلسطينية، بهدف تَعْبِئَة الجماهير الشعبية المُسلمة الواسعة، هو ضرورة اِستراتيجية. لكن أَسْلَمَة المُقاومة الفلسطينية يُحْتَمَل أن يَسْجُنُها داخل حُدُود ضَيّقَة لِأَيْدِيُولُوجِيَة دِينِيَة إسلامية، وقد يُحَرّفُهَا عن أهدافها التَحَرُّرِيَة الأَصْلِيَة. والحلّ البَدِيل، هو بناء المُقاومة على أسس وطنية، وشعبية، وَتَحَرّرِيَة، وَإِنْسَانِيَة، وَدِيمُوقْرَاطِيَة، وليس على أسس دِينِيَة، مع المُطالبة، في نفس الوقت، بِفَصْل الدّين عن السياسية، وفَصْل الدّين عن الدَّوْلة، وَضَمَان حُرّيَة العَقِيدَة، وَحُرّيَة العِبَادَة، وَحُرّيَة عَدَم العِبَادَة، وعدم التَمْيِيز بين المُواطنين على أساس الدّين.

ومن الغرائب أيضًا، أن الدول الغربية تزعم أنها تلتزم بِـ «الديمقراطية»، وَبِـ «حقوق الإنسان»، وَبِـ «القانون الدّولي». لكن، بمجرّد أن يتعلّق الأمر بالأيديولوجية الصهيونية، أو بأفعال إسرائيل، تتناسى فَوْرًا الدول الغربية الإمبريالية مبادئ الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والقانون الدولي. فتعجز عن نَقد إسرائيل، وتتجاهل جرائمها، وتتحاشى مُعَارَضَتَهَا. كأن هذه المبادئ (أي الديمقراطية، وحقوق الإنسان،

والقانون الدولي) تتحوّل فجأةً إلى نقيضها، كلّما تعلّق الأمر بالصهيونية، أو بإسرائيل. وكأن إسرائيل هي استثناء لا يخضع لهذه المبادئ المرجعية. بينما إسرائيل هي مُجرّد مُغامرة ظَالِمَة !

بَل اِنْحَرَفَت كثير من الدُوّل الغَربية إلى وَضْع قَوَانين جديدة، تُعَاقِب نَقد إسرائيل، وَنَقد الصَهْيُونِيَة، بِدَعْوَى أنها تَتَسَاوَى مع «مُعَادَاة السَّامِيَة».

وكيف نُفسّر اِنْحِيَّاز الدُّول الغربية إلى جانب إسرائيل ؟ هل نُفَسّرُه بتحالف المسيحيين مع اليهود ضدّ المسلمين (مِثلما يُريد بعض أنصار «صِرَاع الحَضَارات»، أو مثلما تَظُنّ بعض الحركات الإسلامية الأصولية) ؟ هذا الظَنُّ غَيْر مَعْقُول. لأن نِسَبًا كَبِيرَة من سكان أَوْرُوبَّا، وَلَوْ أنّهم يَتَفَهَّمُون وَيَتَعَاطَفُون مع المَسِيحِيَة، فإنهم لا يلتزمون بأيّ دين.

وبالإمكان أن نُفَسّرَ اِنْحِيَّاز الدول الغربية إلى صالح الصهيونية وإسرائيل، بِخَمْسَة عناصر:

أَوّلاً، هَيْمَنَة اللُّوبِي اليهودي الصهيوني في مجالات البَنْك المَالِي، والرَّأْسَمَال المَالِي، والتَأْمِين، والإِعْلَام (جرائد، مجلّات، إذاعات، تَلْفَزَات، وسائل تواصُل رَقْمِي)، في اقتصادات الولايات المتّحدة الأمريكية، وفي دوّل أَوْرُوبَّا الغربية.

وَثَانِيًا، تَلاقِي، أو تَرَابُط، المصالح المَادّيَة لِلدُّوَل الغربية مع مصالح الحركة الصهيونية (في مجال استراتيجية السّيطرة على ثروات الشرق الأوسط).

وَثَالِثًا، شعور مجمل المرشّحين في الانتخابات العامّة في الدول الغربية بِكَوْن نَجاحهم يبقى مشروطا بِمُسَانَدَة إسرائيل، وبِمُساندة اللُّوبِي (lobbying) الصهيوني العالمي، نظرًا لقوّة تأثير هذا اللُّوبِي الصهيوني على وسائل الإعلام، وعلى المؤسّسات البَنْكِيَة، وَالمالية. ومن بين أقوى هذه اللّوبِيَّات في "الولايات

المتحدة الأمريكية"، نَجد «لجنة الشؤون الأمريكية الإسرائيلية (AIPAC)».

وَرَابِعًا، «عُـقْدَة الإحساس بالذَّنْب» التي يُحِسّ بها المسؤولون الكبار في هذه الدولة الْأَوْرُوبّيَة الغربية، إزَّاء ما سَبَقَ لِدُوَلِهِم أن اِرْتَـكَـبَتْـه من اضطهاد عُنصري تُجاه اليهود، خلال القرن 19، وبداية القرن 20 م ! وهذا الإحساس بالذَّنْب، يجعلهم يَتَسَامَحُون مع كلّ مَا يَقوم به الصهاينة وإسرائيل من جرائم. وهذا سُلُوك غَرِيب، وَمَرْفُوض. حيثُ لَا يُعْقَل أن يَكُون سَبِيلُنَا إلى الْاِعْتِذَار عن الظُّلْم الذي اِرْتَكَبْنَاهُ سَابِقًا ضِدَّ ضَحِيَتِنَا، هُوَ السَّمَاح لِضَحِيَتِنَا السَّابِقَة بِأَنْ تَرْتَكِبَ، هي أَيْضًا، مَجْمُوعَة من المَظَالِم ضِدَّ غَيْرِهَا.

وَخَامِسًا، لأنه ينتشر في أَوْرُوبَّا وأمريكا، "رأي مُسْبَقٌ" (préjugé)، يتجلّى في كَرَاهِيَة مُضْمَرَة تُجاه العَرب والمُسلمين، وَيَتَجَلَّى حَتَّى في اِعْتِبَارِهِم أَعْدَاءً إثْنِيّين أَبَدِيّين.

وانحياز مُعظم الدول الغربية المطلق، والدّائم، لصالح إسرائيل، يعني أن هذه الدول الغربية تَقول لإسرائيل: «نحن الدول الغربية، نعتذر عن اضطهادنا السّابق لليهود، عبر السّماح لإسرائيل، وللصّهَاينة، بأن يضطهدوا، هم بدورهم، الفلسطينيينَ، والعربَ، والمسلمينَ» ! وهكذا، تُخطئ الدول الغربية ثلاث مرات: تُخْطِئُ في ***المرّة الأولى***، لأنها تَتَهَرَّب من تَقديم نَقد ذاتي صريح على اضطهادها السّابق لليهود. وتُخْطئ في ***المرّة الثانية***، لأنها ***تَضع تَطابُقًا خاطِئًا بين اليهود والصهاينة***، كأن الدول الغربية تمنح للحركة الصهيونية حقّ احتكار تمثيل كلّ يهود العالم. وتُخْطِئُ في ***المرّة الثالثة***، لأن الدول الغربية تُساند الصَّهَاينَة في اضطهادهم للفلسطينيين، ولو كان هذا الاضطهاد يخرق الأخلاق الكونية، ومبادئ العَدْل، والديموقراطية، والقانون الدولي، وحقوق الإنسان. وفي نفس الوقت، تَتَفَاخَرُ هذه الدول الغربية، خاصّة في مَجال تَنَافُسِهَا مع رُوسيا والصّين والهند والبرازيل، تَتَفَاخَرُ بكونها هي

«الوحيدة في العالم التي تُطَبّقُ، وتَحْمِي، الأخلاق الكونية، والديموقراطية، والقانون الدولي، وحقوق الإنسان» !

فنقول للصّهاينة، مِثْلَمَا نَقُول لِحُكّام الدول الغربية الإمبريالية : «نَعم، أنتم اليوم أقوياء! وَتَفْعَلُون مَا يَحْلُو لكم، لكنكم أنتم ظَالِمُون» ! وَاللّوْم الجَوْهَرِي، لا يرجع إلى الصّهاينة وَحْدَهُم، ولا إلى الدول الإمبريالية الغربية وَحدها، وإنّما يرجع إلى الشعوب العربية والمسلمة. أي أن اللّوم يرجع إلى تَخَلُّف الشعُوب المُسلمة، وإلى اِنْحِطَاط الشعُوب النَاطِقة بالعربية، ويرجعُ إلى جَهلهم، وإلى تَشَتُّتِهم، وإلى فَرْدَانِيَّاتِهِم الأنانية، وإلى نُزُوعِهِم نَحْو مُمَارَسَة الغِشّ ! ***فَلَوْ لَم يَكُن العرب والمسلمون متخلّفين، لما كان الصهاينة أقوياء ! والكارثة هي أن غالبية العرب والمسلمين يتشبّثون بالبقاء في انحطاطهم المُقدّس، والمُزمن !***

والسؤال المَطروح، هو: كيف نَتحرّر جميعا، إِنْ كَان هذا التَحَرُّر مُمْكِنًا ؟ وبالتّدقيق، كيف تَتحرّر جميع مكوّنات البشرية (بما فيهم المسلمون، والمسيحيون، واليهود، وغير المتديّنين، وحتّى الصهاينة)، دون الحاجة إلى تَقَاتُل وَاسع، وَمُتَبَادَل، وَطَوِيل الْأَمَد، ودون أن يتحوّل أيّ مُكَوّن من بين مُكوّنات هذه البشرية، إلى عَدوّ، أو إلى مُنْتَقِم، أو إلى مُضْطَهِد (بكسر حرف الهاء)؟ هذا هو التحدّي الكبير.

رحمان النوضة

(حُرّرت الصيغة الأولى لِـ وثيقة "نقد الصهيونية" في الدار البيضاء، في 17 مارس 2017. وَنُشِرَت على شكل مقالات جُزئيّة. ورقم الصّيغة الحالية المُحَيّنَة هو: 20).

[***ملاحظة*** : الأحداث، والأرقام، والتفاصيل التاريخية، الواردة في هذه الوثيقة، مأخوذة من عدّة مَصادر، أو مقالات، موجودة خُصُوصًا في الموسوعة الرّقمية "وِيكِيبِيدْيَا"، باللغتين الإنجليزية والفرنسية. بينما

التحاليل، والأطروحات، والتساؤلات، والتَقْيِيمَات، والانتقادات، هي من إنتاج الكاتب، وهو وحده مسؤول عنها].